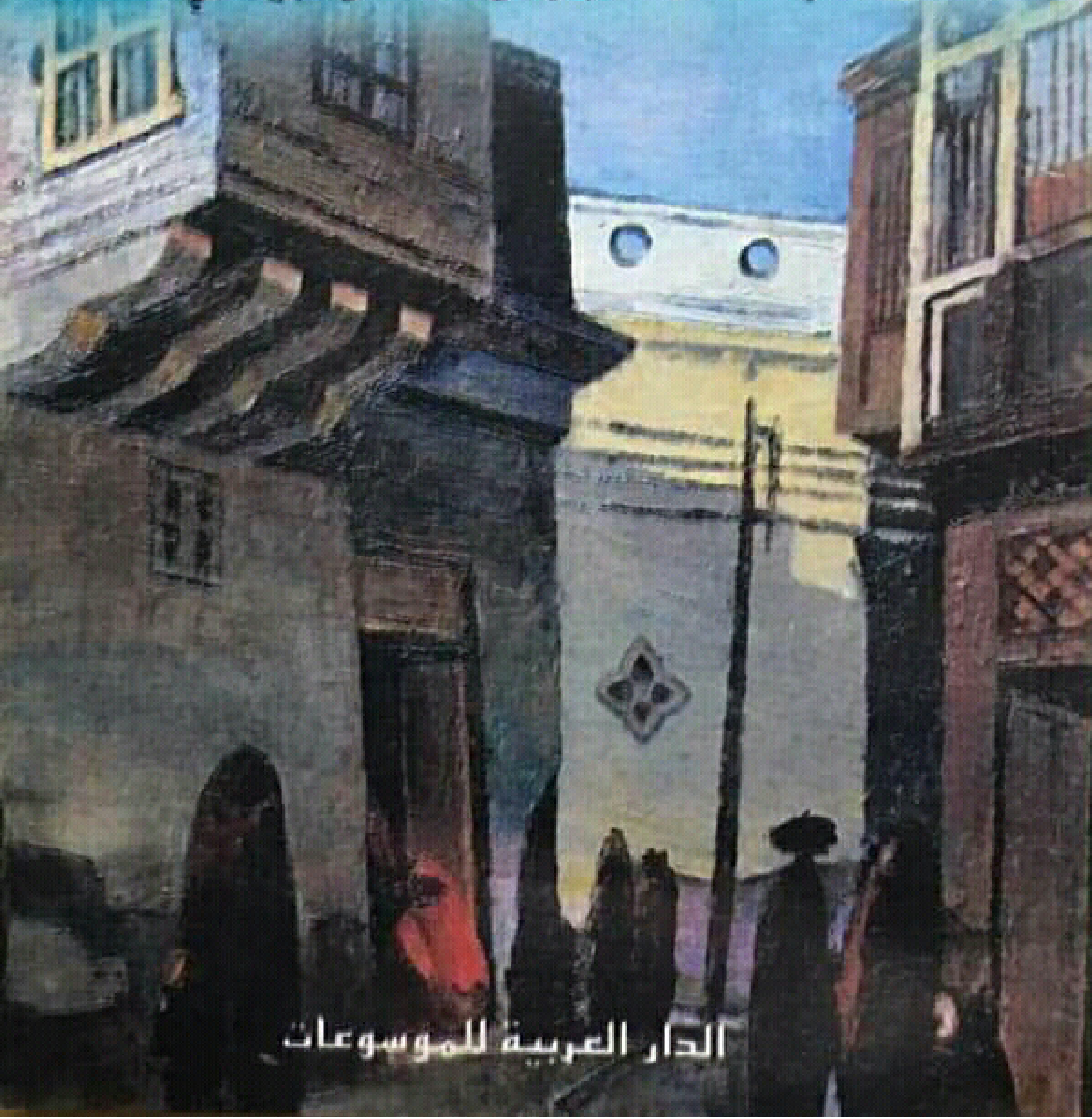
عبد الكريم العلاّف

بغداد القديمة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني



الدار العربية للموسوعات

بغداد القديمة

بغداد القديمة

كتاب مصور ضم صفحات مطوية عن الحالة الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والسياسية من عهد الوالي مدحت باشا إلى عهد الاحتلال البريطاني.

من سنة 1286 هـ 1869 م
من سنة 1335 هـ 1917 م

تأليف
عبد الكريم العلاّف

تصدير
العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي

تقديم
السيد إبراهيم الواعظ

الدار العربية للموسوعات

الطبعة الثانية

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

كافة المراسلات تعنون بإسم:

الدار العربية للموسوعات

ص.ب: 13/5348 تلفاكس: 05/459981 - 05/459982
هاتف خليوي: 03/388363 - 03/525066

بيروت . لبنان

تصدير

بقلم الاستاذ الكبير الشيخ محمد رضا الشبيبي

بين ظاهر الحياة من شتى نواحيها الاجتماعية والعمرانية والثقافية والسياسية في الجيل الماضي وما يماثلها في الجيل الحاضر فروق بعيدة فنحن لانعيش اليوم كما عاش آهل جيل آو أجيال مضت لشانها. وكثير منا لا يعرف كيف كان يعيش الناس في تلك الفترة الماضية. ولا يعلمون ماهي عاداتهم في مطاعمهم ومشاربهم أوفي ملابسهم ومساكنهم آو في مراتبهم. ولايعرفون كذلك ماهي وسائلهم في الثقافة. وماهي صنائعهم آو حرفهم ومهنهم.وماهي مكانتهم التي يتبوأونها في سلم المدينة والحضارة إلي غير ذلك من الأحوال والأوضاع.

اجل ما اكثر من يجهل منا أوضاع بلادنا في جيل مضى. ومن أمتع البحوث التاريخية واكثرها فائدة واحسنها عائدة آن يتصدى كاتب آو أديب من الذين عاصروا آهل تلك الفترة واخذوا عن أهلها آو تحدثوا عنهم. وراقبوا سير التطور والتجدد الطارئ على مظاهر الحياة المذكورة.

لقد احسن الأديب المتفنن السيد عبد الكريم العلاف صنعا في وضع هذا السفر الذي تضمن نبذة صالحة من أخبار تلك الفترة الماضية. ووصف أوضاع بغداد،وأحوالها والإلمام ببعض خططها وهندستها المعمارية على ما كانت عليه في ذلك الحين . هذا إلى التعريف بطبقة

من رجالها على اختلاف مناحيهم سواء أكانوا من الحكام آو الوجـهاء أم من العلماء والشعراء والأدباء.والمقرئين المجوديـن وحفظـة الكتـاب الكريم. ولم يغفل التعريف ببعض ألذ عار ومخيفـي السـبل وقـاطعي الطرق على وجه لا يخلو من الطرافة.ومرد كثرة عدد هؤلاء إذ عـار ومخيفي السبل في رأي هذا الأديب إلى مظالم الحكام والى فساد السياسة وضياع العدالة.وهو يدعو الى التزام العفو والصفح عـن العقوبـة لان فرض العقوبة الشديدة في كثير من الاحيان يدل على الضعف اكثر ممـا يدل على القوة.

عنى المؤلف مضافا الى ذلك بذكر جملة من الأنديـة والمجـالس الأدبية حتى مجالس الأنس والطرب. ولم ينـوه بـهذا الضـرب مـن المجالس على علاوتها .بل استهجن ما تشمل عليه أحيانا من الجنـون والخلاعة والخروج عن الآداب.ونـدد بذلـك ودعـى الـى الحشـمة والمحافظة على الاتزان.

وللاطلاع على رأي المؤلف الأديب في هذا الشان يحسـن قـراءة الفصول التي كتبها عن الملاهي في بغداد.

لذلك يسرنا تقديم هذه الطرف التاريخية العراقية الى القراء ولا شك انهم سيرون فيها جهدا لطيفا لمؤلف الكتاب والله ولي التوفيق.

المقدمة

بقلم المرحوم الأستاذ السيد إبراهيم الواعظ

الأستاذ الأديب عبد الكريم العلاف أحد أولئك الكثيرين الذين تخرجوا على يد أستاذهم الكبير والعالم المتضلع والفقيه الممتاز والشاعر الأديب الشيخ عبد الوهاب النائب عليه رحمة الله ورضوانه فان هذه المدرسة وهي مدرسة جامع الفضل وقد أسست على العلم والتقوى وكان علمها المفرد وعيلمها الفذ الأستاذ النائب مستمرا على التدريس فيها ليلا ونهارا مدة تجاوزت الخمسين عاما تخرج منها مجموعة قيمة من رجالات العلم والأدب ببغداد فمن أديب لايجارى وأديب لا يبارى وشاعر ملهم وكاتب بليغ وخطيب مصقع وفقيه متضلع ومفسر محقق ومحدث صادق ومدرس حاذق وقد اصبح كثير من المتخرجين من هذه المدرسة ذوي مناصب مرموقة وشهرة ذائعة في الأوساط العراقية وقد كان للأستاذ العلاف صفة خاصة من المتخرجين وله ولع في الموسيقى وتحبير المذكرات عن الحوادث المختلفة فمن جملة ما ألف وكتب كتابه الفريد في بابه (الطرب عند العرب) طبع هذا الكتاب واصبح مرجعا مهما للموسيقى العراقية والموسيقيين وكتاب (المواهب في ذكرى عبد الوهاب النائب) والذي يدلنا على خلق سام ووفاء لأستاذه النائب رحمه الله واخيرا لم يرد أن يختم حياته بدون أن يخلدها تخليدا يبقى على كر العصور ومر الدهور فقد وضع هذا الكتاب الذي أقدمه اليوم الى قراء

العربية عامة والعراقية خاصة فقد جمع في فصولـــــه وبيـــن ســـطوره حوادث لم تكتب وقضايا لم تسجل وصورا عــــن الحالـــة الاجتماعيـــة والمعاشية في بغداد خاصة والعراق عامة تعيد الى الكـــهول والشـــيوخ ذكريات قيمة مرت عليهم مرور صور السينما وكأنها لم تقع

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا　　　أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وتوضح للشباب العراقي ما كانت عليه بلاده في السنين الماضيـــة من حالة اجتماعية ومعاشية وغيرها من سجلات الحياة. واني اقدم هـــذا الكتاب القيم الى القراء الكرام اكبر في المؤلف الفـــاضل هـــذه الهمـــة القعساء والجهد العظيم الذي صرفه في جمع ما جمع بين صحائف هـــذا الكتاب رغم المرض الذي لم يزل يلازمه وقد عطل يده اليمنـــى التـــى كانت ناصره وعضده في التأليف والكتابة سائلا المولى تعالى أن يشفيه مما هو فيه ويوفقه لاخراج أمثال هذه النـــوادر اللطيفـــة والمواضيـــع الظريفة انه سميع مجيب.

السيد إبراهيم الواعظ

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك المتعال الدائم بلا زوال والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وعلى اله وصحبه اولي الرفعة والكمال.

وبعد لقد عنى المؤرخون بتدوين أحوال سكان بغداد منذ أول تشييدها واتخاذها عاصمة وعنوا بتدوين تطوراتها الاجتماعية والسياسية والعمرانية والجغرافية ولذلك رأينا المكتبة العربية زاخرة بالمجلدات الضخمة التي حفلت بأخبار بغداد وما يتصل بأحوال أهلها وولاتها وحكامها وعلمائها. وامتلأت بطون الكتب بأحاديث شتى عن تصوير وقائعها وكانت الأجيال تتناقلها حتى اليوم وتستزيد منها، غير أن فترة قصيرة من أيام العهد العثماني في بغداد تدون عنها الأخبار بما تنفع الغلة وتشفي العلة واخص تلك الأيام والعهد ما يبدا من سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م حيث كان مدحت باشا المصلح الشهير واليا عليها فلا تجد ألا نتفا قليلة من أوضاع سكان وأحوال هذه المدينة التاريخية الخالدة وما فيها من ثقافة وعادات وتقاليد واعمال وأزياء ومدارس ومعاهد وعمارات وطرق وطوائف واجتماعات ومجالس ومقاهي ونوادر ومتاجر ومصانع واسواق وخشية أن تظل هذه الفترة مجهولة لدى الأجيال القادمة انتهزت الفرصة لجمع ما تفرق من أخبارها والاستماع إلى روايات المعمرين من الجيل الماضي وأحاديث ممن

يروون عنهم طبقة عن طبقة كما رجعت إلى الصحف التي كانت تنشـو في تلك الفترة والرسائل المتفرقة المخطوطة والمطبوعة وجمعتها إلــى بعضها وصنفتها وحصلت على تصاوير شمسية(فوتغــراف) للتعريــف ببعض تلك الأحوال وأولئك الرجال لعلي أكون قـــد خدمــت الناحيــة التاريخية للباحثين والمتطلعين إلى معرفة شئ من هذه الحقيقة في تاريخ بغداد حتى لا تنقطع سلسلتها وتنطوي صفحات كتابها ولعلي أيضاً قـــد بذلت جهداً في هذا السبيل يحقق الغاية المتوخاة ويلقي ضوءا في ظــلام التاريخ القريب والله من وراء القصد .

المؤلــــــــــــــف

تأريخ بناء مدينة بغداد

ومن الأسماء التى أطلقت على مدينة بغداد اسم بغداذ وبغدان ومغدان وبغداد والمنصورية نسبة لمؤسسها الخليفة المنصور واشتهرت كذلك بدار السلام والزوراء ومما جاء في تاريخ الأمم والملوك للطبري أن مدينة بغداد حين أمر المنصور ببنائها أراد أن ينظر إليها عيانا فأمر أن تخط بالرماد ثم أقبل يدخل من كل باب ويمر في فصلاتها وطاقاتها ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ودار عليها ينظر إلى ما خط من خنادقها ثم أمر أن يجعل على تلك الخطوط حب قطن ويصب عليه النفط فنظر إليها والنار تشتعل ففهمها وأمر أن يحفر الأساس على ذلك الرسم ثم ابتدئ في عملها ، وقيل إن أبا جعفر لما أمر يحفر الخندق وإنشاء البناء واحكام الأساس أمر أن يجعل عرض السور في أسفله خمسين ذراعاً وقدر أعلاه بعشرين ذراعا وبنيت المدينة مدورة وذلك عام ١٤٥هـ وجعل أبوابها أربعة على تدبير العساكر في الحروب وبنى قصره في وسطها والمسجد (الجامع) حول القصر ،وان الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فضة و(الروزكاري) أي العامل اليومي بحبتين إلى ثلاث حبات وقد عمل في البناء نيف ومئة الف عامل وتوسط قصر الخليفة (باب الذهب) أو (القبة الخضراء) ولم يلبث المنصور إن بنى قصر الخلد ، والواقع أن المنصور هو باني القسمين الغربي والشرقي من بغداد على كلتي الضفتين وتوالى خلفاء العباسيين

بعد ذلك وكان همهم أن يعلوا شأن بغداد ويرفعوا قدرها ويجعلوا منها قبلة العلماء ومحطاً للناظرين.

ولعل أصدق وصف لما بلغته بغداد من شأو في ذلك الزمن ما جاء في كتاب (الأعلاق النفيسة) لابن رسته إذ يقول إنها وسط الدنيا وسرة الأرض والمدينة العظمى التى ليس لها نظير في مشارق الأرض ومغاربها سعة وكبراً وعمارة سكنها أصناف الناس من جميع البلدان وهي مدينة بني هاشم ودار ملكهم ومحل سلطانهم وباعتدال هوائها وعذوبة مائها حسنت أخلاق أهلها ونضرت وجوههم وتفتقت أذهانهم حتى فضلوا الناس في العلم والفهم والنظر والتميز .

وذكر الجاحظ في بغداد على لسان بعض الجند إنها الدنيا كلها معلقة بها وصائرة إلى معناها وجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها لأهلها وفتا كها لفتا كها الخ..

ووصف ابن خلكان وابن الأثير لشارع أبي جعفر انه أحسن ما يكون واحفله من الشوارع واتساع بلغ آنذاك أربعين ذراعا طوله من دار الخلافة إلى محلة باب الشام على استقامة واحدة ليس في الإمكان أصح منها.

وجاء في مقدمة ابن خلدون وصف لبغداد في ذلك العصر ولبغداد جسران معقودان والناس يعبرونها ليلا ونهارا رجالا ونساء فلهم من ذلك نزهة متصلة من المساجد التي يخطب فيها وتقام فيها الجمعة أحد عشر مسجداً منها بالجانب الغربي ثمانية وبالجانب الشرقي ثلاثة والمساجد سواها كثيرة جداً وكذلك المدارس إلا أنها خربت ، وحمامات بغداد كثيرة وهي من أبدع الحمامات وأكثرها مطلية بالقار مسطحة به

فيخيل لرائيه انه رخام اسود وهذا القار يجلب من عين بين الكوفة والبصرة تنبع أبدا به ويصير في جوانبها كالصلصال وفي كل حمام منها خلوات كثيرة كل خلوة منها مفروشة بالقار مطلي به نصف حائطها مما يلي الأرض والنصف الأعلى مطلي بالجص الأبيض الناصع الضدان بها مجتمعان مقابل حسنهما ، وفي داخل كل خلوة حوض من الرخام فيه أنبوبان أحدهما يجري بالماء البارد .

هذا قليل من كثير مما جاء عن بغداد في كتب التأريخ وقد أرخت عام بناء مدينة بغداد بقولي :

بغداد مشرقة وفي	إشراقها عمَ الصفاء
فيها الخلافة والثقا	فة والضيافة والسخاء
قد شادها المنصور لما	ضاق بالوطن الفضاء
وسعى لنهضتها فلم	يوقفه كدُ أو عناء
فالكرخ يزهو والرصا	فة منعش فيها الهواء
غنت بمربعها القيا	ن وقد سما فيها الغناء
وبنى الحصون لكي تؤ	من في المقاصير النساء
مذ راق صرح بنائها	تاريخها نجز البناء

سيرة الولاة العثمانيين وإصلاحات

مدحت باشا

انتزع العثمانيون بغداد من أيدي الفرس الذين حكموها من سنة ٩١٤ هـ يقابلها سنة ١٥٣٥ م فظلت بغداد تحت حكمهم ٤٠٠ سنة إلى احتلالها من قبل الجيش البريطاني وقد تولى ولاة كثيرون وهم في الغالب من ذوى العقليات الصغيرة الضيقة ولم يكونوا من ذوى النزعة الإصلاحية فتركوا بغداد في غمرة من الفقر والجهل والمرض والحالة الاقتصادية المتدهورة وكان الشعب يعاني ألواناً من الاضطهاد والاستبداد والتعسف ولم يكن هم الولاة إلا جباية الضرائب وجمعها وإرسالها إلى عاصمة السلطنة العثمانية أستانبول ، ولكن بعض الولاة وهم أفراد قلائل يبذلون جهوداً في نشر العلم وتكريم رجاله كما أن أغلبية الشعب كانوا كالبقرة يستدر لبنها ويؤكل لحمها لا إرادة لها في شئون السياسة ولا سلطان لهم في حكم أنفسهم ولا يرتفع لهم صوت إلا في النادر وقد كان مصير من يدعو إلى الإصلاح والتحرر الاضطهاد والسجن والنفي فكانت طبقات هذا الشعب من علماء وحكام وتجار وزارعين وملاكين وفلاحين وعمال مسخرين جميعا لخدمة السلطة والعمل على تثبيت قدمها وليكن الشعب بعد ذلك في ظلام دامس ونوم

عميق وسبات مطبق حتى ظهور الوالي مدحت باشا في عهد السلطان عبد العزيز بن السلطان عبد المجيد.

وفي ١٨من شهر المحرم سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م استقبلت بغداد طلائع عهد جديد أعقبه تباشير نهضة شاملة انتشرت بسرعة في أطراف العراق.

مشاريع مدحت باشا:

قام مدحت باشا في أول يوم تسلمه منصة الحكم بحملة إصلاحية واسعة النطاق مستنيرا بعقله الراجح وثقافته العالية، وبذر بذور صالحة في تربة بغداد البكر فقامت في غضون ثلاث سنوات من حكمه مشاريع عمرانية وثقافية دلت على عظمته وحسن إدارته وسنذكر هذه المشاريع واحدة بعد الأخرى.

جريدة الزوراء:

كان لمدحت باشا مشاريع لها مكانتها تستحق الذكر وقد أراد أن يدون ما يقوم به من المشاريع النافعة والأعمال الخالدة فاصدر جريدة باسم الزوراء في وقت كان العراق لا يعرف عن الصحافة شيئا وقد صدر العدد الأول منها في بغداد نهار الثلاثاء ٥ربيع الأول سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م وكانت تنشر في اللغتين التركية والعربية

واستمرت تصدر طول أيامه وبعده حتى احتلال البريطانيين بغداد سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م.

طرق المواصلات:

وعلى ضوء جولة مدحت باشا العمرانية شرع في تبليط سوق(البلانجيه) ويسمى (بولنجيه) وهو اليوم شارع المأمون وجرى تبليطه تبليطا بارزا بجلاميد من الصخر وفي ذلك الوقت أطلق عليه(عقد الصخر) وقد شعر مدحت باشا أن وساط النقل لا زالت بدائية لا تكاد تسد حاجات الذين كانوا يتطلعون إلى ما يخفف عنهم عناء السير والانتقال بواسطة ركوب الحيوانات من بغداد للوصول إلى الأمكنة النائية أو زيارة المراقد المقدسة في ضواحيها كبلدة الكاظمية التي دفن فيها الأمام موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام فبادر مدحت باشا إلى مشروع (الترامواي) بين بغداد والكاظمية وجعله شركة مساهمة اشترك فيها جماعة من سكان بغداد والكاظمية ومدت سكة الحديد التي تسير عليها عربات (الترامواي) التي تجرها الخيل.

ونظمت الشركة إدارة للنقل وظلت سائرة بانتظام حتى سنة ١٩٤١م حيث تقرر تصفية أعمال الشركة وانتهى هذا المشروع بعد أن استعيض عنه بالسيارات الكبيرة والصغيرة التي بدأت تنقل الركاب من الزائرين وغيرهم حتى استحدثت مصلحة نقل الركاب في العاصمة واستعملت السيارات الضخمة المريحة لتسهيل نقل الركاب في

شوارع بغداد وضواحيها البعيدة وتخليص الناس من حرارة القيظ وقـــر الشتاء في الليل والنهار.

النقل النهري:

تقع بغداد في قلب العراق وفي ملتقى الطرق النهرية نظرا إلـــى مركزها التجاري فان البضائع المستوردة إلى إيران من طريق الموصل والبصرة لابد أن تدخر في المستودعات ببغداد وخانتها وكانت وســائط النقل التي تنقل الأموال بين بغداد والبصـــرة مختصـــرة فـــي الســفن الشراعية.

وان الذهاب والإياب يستغرق وقتا إذ لا تقل المدة عن شهر كـامل وان على الذي يريد السفر إلى البصرة يعد العدة كاملة من الزاد والغذاء لهذه الرحلة ناهيك مشقة السفر لاسيما إذا كان الهواء معاكسا لمجـــرى النهر فيضطر الملاحون إلى سحب السفينة بواسطة الحبال التـــي تشـد بأعلى ساريتها ورأس مقدمتها وكثيرا ما كنت أســمع الملاحيــن وهــم يجرون السفينة يرددون كلمة (ياموليسة) ولم أدر ما معنى هذه الكلمـــة وبعد التحري الدقيق عنها علمت أنها مجرد دعاء إلى الله تعالى وهو يـا مولاي سهل ولكثرة ترداد هذه الكلمة خففت وصارت (ياموليسة) ولقـد وقعت على قصيدة بمجموعة خطية يصف ناظمها أولئك الملاحين الذين يجرون السفينة وهي.

رأيتهم في غروب كئيـــــب   يعز على شمسهم أن تغيـب

حدتهم بأشلاء ضوء ذبيـــــح — يعصفر أشباحهم باللهيـــب
جبابرة عوذوا للهوســـــاء — وبثـوا رقاهم لريح المغيـب
يلوحون صفا وئيد الحــــراك — كأنهمو صلبوا فـي الكثيـب
يسيرون سير الهوان المريـــب — ويمشون مشي الزمان الكئيب
فتحسبهم أوغلوا في الخيـــال — وعيناك تأخذهم من قريـب
على صدرهم من غضون الكفاح — أفاعي حبال تلف الجنـوب
تجاذبهم خطوهم للــــوراء — فهم من عناء بقايا طـروب
سواعدهم موثقات الزنـــود — ولكنها عـدة للهـــبوب
تشق الفضاء بأظفارهـــا — فتنشق أجـواره أو تــذوب
وأجسادهم حانيات لهـــا — ركوع المحمل ثقل الذنـوب
كأنهم في سفوح الزمـــان — شياطين تحدو المساء الرهيب
سقاهم سليمان من ســـره — فكادوا يمسون سمع الغيـوب
أقاموا جنازا يئن الفضـــاء — بأصدائه وينـوح الغــروب
يكاد ليغري ويمشي النخيــل — وراءهم وتذوب السهـــوب
شدوا واستجاروا وطاب النداء — ففاحت خطاهم وشقـوا الجيوب
ومروا حفـاة عراة لهـــم — شهيق الثكالـى وزفر الغريـب
على الأرض خرس وإن همهموا — فهذى صلاة تـذيب القــلوب
يجرون أيامهم خلفهـــم — وذكرى شقاوتهم والكــروب
عبـيد الرياح كلانا رقيـــق — فغنوا وسلوا عبيــد الخطـوب

وكذلك كان السفر بين الموصل وبغداد مقتصرا علـى طريـق النـهر (بالكلاك) جمع كلك ويقوم الطراحون جمع طراح بتسيير الكلك بواسطة

المجاديف، كإخوانهم ملاحي السفن الشراعية .وفي سنة ١٢٧٢ هـ يقابلها ١٨٥٥ م اشترت الحكومة باخرتين لنقل الأموال التجارية والركاب من الآهلين بين بغداد والبصرة .

وفي أيام الوالي مدحت باشا سنة ١٢٨٦ هـ يقابلها ١٨٦٩م ازداد عدد البواخر حتى بلغ ثماني بواخر وعهدت أدارتها إلى دائرة المراكب وسميت إدارة(النهرية)، وكان محل هذه الإدارة في جناح من أجنحة المدرسة المستنصرية المطلة على نهر دجلة ودامت المراكب تسير بين بغداد والبصرة إلى أن حدثت قضية بيع الإدارة النهرية لشركة (لنج) الإنكليزية وهذه القضية من القضايا الهامة وقد أصبحت موضوع حديث كل اثنين في بغداد الأمر الذي يخشى على بيعها خروج نهري دجلة والفرات من سيادة الدولة العثمانية فقام أهل بغداد وقعدوا لهذا الحادث المريب لأن وسائط النقل ستكون منحصرة في أيدي الشركة تتحكم بها كيفما تشاء فاحتج الأهلون على هذا الأمر الذي يضر أضرارا كليا بالتجارة وفي مقدمتهم الوجيه عبد القادر باشا الخضيري ووجهة احتجاجهم أن لا يرجع الأجانب على الآهلين فكتبت برقيات عديدة إلى أستانبول وقد تداولها المجلس وطلب نواب العراق أن ينظر في هذا الطلب بوجه العدل فرد طلبهم ووردت برقية كان فحواها لم تكن رغبة الحكومة أن تبيعها وإنما غرضها توحيد المساعي بصورة شركة لا غير وأخيرا بيعت اغلب الحصص وأخذت تسلمها رويدا رويدا.

واما وسائط النقل بين جانب الرصافة والكرخ ببغداد فكان عبارة عن (القفف) جمع قفة و(البلام) جمع بلم بالتحريك وهو القارب وكان استعمال القفف شائعا أكثر من القوارب البلام.

النقل البري :

أما النقل البري فلا يختلف عن النقل النهري فكلاهما مصدر الأتعاب وكانت القوافل البرية على وضعها البدائي تتألف من البغال والحمير والخيل والإبل ويقال للمجموع السائرة منها (كروان) أو قافلة وعرب البدو يسمونه ضعن . والكروان المؤلف من مجموعة بغال وحمير وخيل وفي ضمنه (التخت روان) و(الكجاوة)و(المحمل) ويتألف (التخت روان) من عريش خشبي كالغرفة من مواد خشبية مجهزة بفراش وأثاث يحمل من الأمام والخلف و(الكجاوة) عبارة عن هودج مستور بالقماش يقي راكبه من الحرارة الشمس وهطول الأمطار ويشد أحدهما على بعير أو بغل من جهة اليمين واليسار و(المحمل)على غرار الهودج إلا أنه غير مستور، وكان السفر بين بغداد وكربلاء والحلة وبعقوبة بواسطة عربات خشبية تجرها خيول أو بغال تستغرق مدة سفرها أثنى عشر ساعة أو اكثر من بغداد أو الحلة أو كربلاء.

وكان وجهاء بغداد وأغنياؤها يعنون بتربية الخيول الأصيلة يمتطونها في أسفارهم إلى الأرياف بين المدن في حالة أنسهم ولهوهم وقد أتخذ لها اصطبلات خاصة يقوم بإدارتها احذق السائسين المشهورين بتربية الخيول والطبقة المتوسطة تمطي حميراً من نوع الحسابات نسبة إلى مدينة الحسا وعندما تذهب إلى الميدان بالاسم المعروف الآن بالقرب من جامع الميدان تشاهد أصحاب الحمير مهيئين حميرهم للكراء.

المتنزه العام:

من أعمال الوالي مدحت باشا الطيبة اتخاذه متنزها عاما في حديقة البلدية وكانت هذه الحديقة بستانا لنجيب باشا وتسمى (النجيبيـــة) وقــد أطلق عليها (المجيدية) وهي كائنة عبر الشاطئ الأيسر من دجلـــة فـــي محل بناية المستشفى الحالي ولقد اعتنى بها اعتناءً تاما فأصبحت متنزها لاهل بغداد يتمتعون بنسيمه وهوائه وأزهاره النضره في حين لم يكونوا يعرفون قبل ذلك شيئا عن المتنزهات وانمـــا يقضـــون أيـــام عطلـــهم وأعيادهم في البساتين خارج بغداد على ساحل دجلة.

مصنع الغزل والنسيج:

لقد أدرك الوالي مدحت باشا إن من عوامل زيادة الرغبـــة فـــي الخدمة العسكرية الترفيه عن الجنود وأول ما اعتنى في ملابسهم وتهيئة المقادير الكافية من الأقمشة والنسيج لخياطتها فاستورد الآلات الحديثـــة (مكائن) للغزل والنسيج بدلا من الحياكة اليدوية (الجومة) فأسس معمـــلا ينسج أقمشة ملابس الجنود ويسمى هذا المعمل(العباخانة) وفـــي محلـــه اليوم مصلحة إدارة التنوير والكهرباء لمدينة بغداد.

المعاهد العلمية

الكتاتيب:

لم يكن للمعاهد العلمية شان يذكر في ذلك العهد ولا يتعدى الكتاتيب لتعليم القران ومبادئ القراءة والكتابة وهذه أيضا قليلة وكانت دراستها مقتصرة على القران الكريم ومبادئ الدين الإسلامي في العبادات وعلم الخط، وكان الناس يتهافتون بإرسال أولادهم إليها واذكر جيدا كيف كنا نكتب الخط ويسمى (مشق) في قطعة من الصفيح(التنك) وبعد أن يطلع (الملا)على الخط ويكسب رضاءه نغسله بالماء ونعود نكتب غيره وكذلك اذكر كيف كنا نطرح أرضا وتربط أقدامنا في (الفلقة) وينهال عليها (الملا) بسوط (خيزرانة) والسعيد الذي يتقن درسه ويلازم الهدوء والسكينة لينجو من عذاب (الفلقة) والام السوط، وهذه الكتاتيب ظهرت قبل ظهور المدارس حيث قامت الحكومة بتشيد مدارس ذات نظام جديد ومنها مدرسة الصنائع.

مدرسة الصنائع:

في سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م أيام الوالي مدحت باشا أسست مدرسة الصنائع لأيتام المسلمين الذين لا معيل لهم يتعلمون صناعة النجارة والحدادة والنسيج وغيرها وعين لها أساتذة وظلت هذه

المدرسة قائمة حتى احتلال بغداد سنة ١٩١٧م ومحل بنايتها اليوم اتخذ مقرا للبرلمان وهي في محلة الميدان تطل على نهر دجلة.

المدرسة الرشدية:

أسست المدرسة الرشدية سنة ١٢٨٦هـ يقابلها سنة ١٨٦٩م أيام الوالي مدحت باشا وبقيت حتى إعلان الدستور (المشروطية) سنة ١٣٢٤هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م ثم صارت بنايتها كلية الحقوق ولما انهدمت شيد بمحلها متصرفية لواء بغداد الان.

المدرسة الرشدية العسكرية:

أنشئت المدرسة الرشدية العسكرية سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م أيام الوالي عبد الرحمن باشا ويتخرج طلاب هذه المدرسة للدخول في مدرسة الإعدادية العسكرية ودامت إلى احتلال الجيش البريطاني بغداد وتقع في محلة المبدان أي محل المدرسة الإعدادية المركزية الآن أمام دائرة البريد ومقابل النادي العسكري.

المدرسة الإعدادية العسكرية:

تم بناء المدرسة الإعدادية العسكرية سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م لتخرج الطلاب وإرسالهم إلى الكلية العسكرية في استانبول

لاكمال دراستهم ليتخرجوا ضباطا عسكريين وقد ظلت مستمرة حتى الاحتلال البريطاني وقد اتخذت بنايتها مقرا للمحاكم المدنية والجزائية الان.

المدرسة الإعدادية الملكية:

تم بناء المدرسة الإعدادية الملكية سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م أيام الوالي حسين جلال بك وفي هذه السنة بدل إسمها وصارت تعرف (بمكتب السلطاني).

المدرسة الرشدية بجانب الكرخ:

تم بناء المدرسة الرشدية في جانب الكرخ وافتتحت في ١٥ربيع الثاني سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م أيام الوالي عبد الرحمن باشا.

وقد جرى على هذه المدرسة تطورات عديدة وبالأخير جعلت لتخرج ضباط الصف العسكريين وأطلق علها باللغة التركية عبارة (كوجك ضابطان مكتبي).

المدرسة الحميدية:

في أيام الوالي سري باشا سنة ١٣٠٧هـ يقابلها ١٨٨٩م كانت محلة الفضل في طليعة محلات بغداد وكان أبناؤها محرومين من

ارتشاف العلم فتقدم شيخ علماء زمان العلامة المرحوم عبد الوهاب النائب وشيد مدرسة فيها من خالص ماله وبعد أن أتم تعميرها وهبها إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فتقبلتها منه قبولا حسنا وقامت بتأثيثها وتعيين مدرسين لها واطلق عليها اسم(حميدية مكتبي) لأنها شيدت في عهد السلطان عبد الحميد واول مدير عين لها المرحوم الشيخ عبد المحسن الطائي والد الأستاذ الحاج كمال الدين الطائي مدرس جامع الحيدر خانة حاليا وهي باقية إلى ألان واطلق عليها(مدرسة الفضل الابتدائية).

دار المعلمين:

في أيام الوالي نامق باشا أسست دار المعلمين وكان عدد الطلاب فيها ٤٠طالبا ومدة الدراسة فيها لاتزيد على السنتين وكان أول مدير لها عبد الله أفندي وحسب ما اعتقد هو المرحوم عبد الله أفندي الخطيب الأسبق لجامع المرادية بالميدان وبعده المرحوم الشيخ نوري الشيرواني وبقي فيها مدة وعين لها بالوكالة الأستاذ حسن رضا خريج كلية الحقوق بدرجة على الأعلى ثم عين لها عادل بك وهو تركي الأصل وقد ألحقت بهذه الدار مدرسة ابتدائية للتطبيق وهي مدرسة تطبيقات دار المعلمين وكانت تشغل البناية الواقعة قبالة نادي الضباط اليوم. أما دار المعلمين نفسها فقد كانت تشغل مكان بناية متصرفية لواء بغداد الحالية ثم انتقلت إلى بناية المدرسة الرشدية في الكرخ وظلت مستمرة في الدراسة حتى توقفت عند إعلان الحرب العالمية الأولى.

مدرسة ابتدائية:

عمرت مدرسة ابتدائية سنة ١٣١٢هـ يقابلها سنة ١٨٩٤م أيام الوالي الحاج حسن باشا وهذه المدرسة في محلة الميدان وهي ملاصقة للمدرسة الرشدية العسكرية تجاه النادي العسكري اليوم على ساحل دجلة والتي أصبحت تطبيقات دار المعلمين.

مدرسة الجعفرية:

لم يكن لابناء الطائفة الجعفرية غير مدرسة دينية واحدة يرتادها الطلاب لارتشاف مناهل العلم أسسها المرحوم الشيخ شكر في أواخر القرن التاسع عشر في دواخانة السيد حسين السيد حيدر ببغداد وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م والمنادات بالحرية والمساواة ونهوض الحكومة في فتح المدارس المختلفة شعر أبناء الجعفرية بضرورة وجود مدرسة خاصة بهم فاخذ يعمل بها جماعة من العلماء والوجهاء منهم المرحوم السيد عبد الكريم الحيدري والمرحوم الشيخ شكر والمرحوم الحاج سلمان أبو التمن فعقدوا اجتماعا لهذا الغرض وانتخبت هيئة تتألف من ذوات لهم مكانة سامية وبعد المداولات حرروا طلبا إلى الوالي نجم الدين منلا يطلبون به الإجازة في فتح المدرسة وبعد موافقة الوالي على منح الإجازة فتحت في ٧ ذي القعدة سنة ١٣٢٦هـ يقابلها ١٩٠٩م واطلق عليها اسم(المكتب الترقي الجعفري) وهو الاسم الذي اطلقه عليها مؤسسها

المرحوم الشيخ شكر واصبح مديرا لها واتخذ مقرا لـــها دار مجـاورة لمسجد الحاج داود أبو التمن وفي نهاية الحرب الأولــى سـنة ١٩١٨م فرغ من إنشاء بناية لها وغيرت إليــها اسـمها واصبحـت(المدرسـة الجعفرية) وهي إلى ألان تؤدي رسالتها العلمية بكل جد واخلاص حتـى أصبحت تضاهي المدارس العالية ببغداد.

مدرسة تحفة المأمورين:

في سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالـي جمـال باشـا أسست مدرسة تحفة المأمورين وقد أجريت مراسيم افتتاحـها برعايـة جمال باشا وحضر المراسيم القائد سليمان عسكري بـك وتقـع هـذه المدرسة في محلة الميدان وعلق على بابها لوحة كتب عليــها باللغـة التركية(تحفة مأمورين مكتبي).

مدرسة ابتدائية ثانية:

في ٢٧ شعبان سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م حضر الوالـي جاويد باشا ووكيل مدير المعارف الأستاذ حكمت سليمان وقـد تولـى منصب رئيس الوزراء سنة ١٩٣٦م لوضع الحجـر الأسـاس لتشـييد مدرسة ابتدائية بالقرب من جامع الخاتون ببغداد وهي ألان مدرسـة دار المعلمات الابتدائية.

ومما يجدر الإشارة إليه أن سبب تأسيس هذه المدرسة هو أن أهالي مدينة النجف تبرعوا بمبلغ أربعة آلاف ليرة ذهب عثمانية بمناسبة تنصيب سادن (كليدار)جديد للروضة الحيدرية في عهد الوالي جاويد باشا فرفضها الوالي خوفا من أن تعتبر رشوة ولما سمع الأستاذ حكمت سليمان وهو يوم ذاك مدير مدرسة الحقوق ووكيل مدير معارف لواء بغداد خف إلى الوالي وفاوضه في قبولها وتقديمها إلى دائرة المعارف لبناء مؤسسات علمية وفي الحال استدعى الوالي الوفد وعرض عليه هذه الفكرة فقدم المبلغ الذي تبرع به وتشكلت هيئة قوامها كل من عبد القادر باشا الخضيري والتاجر عبد الوهاب محمد أغا وتحت إشراف هذه الهيئة بنيت هذه المدرسة كما بنى مخفر في جهة الباب الشرقي (البتاوين)اليوم.

مدرسة الاتحاد والترقي:

أسست هذه المدرسة سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م أيام الوالي جاويد باشا من المبلغ الذي تبرع به أهل النجف وقام بتعميرها أوسطه علوان الدوري وكانت هذه المدرسة قبل تعميرها من اشهر المقاهي في الميدان وتسمى (قهوة البلدية)وقد أرخت عام بنائها بقولي:

بشرا كم يا أهل بغداد في — مدرسة شيدت بفضل الجواد
رائدها العلم ونبراسها — يهدي الورى إلى طريق الرشاد
قولوا لمن يطلب تاريخها — عنوانها مدرسة الاتحاد

١٣٣٢ هـ

وبعد نزوح العثمانيين من بغداد انتقلت إلى مدرسة ابتدائيــة باســم المدرسة (المأمونية) ولهذه المدرسة بذل الأستاذ حكمت سليمان قصارى جهده في توسيعها إذ حصل على قسم من حديقة (القلعة)المجاورة لــها وضمه إلى فناء المدرسة حتى أصبحت مدرسة فخمة تضم خير الطلاب وأكابر الأساتذة وأخيرا انتقلت إليها مديرية معارف لواء بغداد المركزي ولازالت تشغلها.

مدرسة التهذيب للبنات:

في سنة ١٢٩٣هـ يقابلها سنة ١٨٧٦م أسســت جمعيــة الاتحــاد الإسرائيلي ببغداد مدرسة للبنات أطلق عليها أســم (مدرســة التــهذيب للبنات)وعينت لها مدرسات ودامت إلى أن وقع الاحتلال البريطاني فــي بغداد .

مدرسة الكاثوليك للكلدان:

في سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م أسست مدرسة الكـــاثوليك للكلدان وعرفت باسم (مدرسة الاتفاق الكاثوليك الشرقية).

مدرسة لورا خضوري:

شيد اليعازار مدرسة للإناث الإسرائيليات وكان الانتهاء من تشييدها سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م وأجريت مراسيم افتتاحها برعاية الوالي جمال باشا وجعلها باسم قرينته لورا خضوري ودامت حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني .

المستشفيات

مستشفى المجيدية:

كانت هذه المستشفى في أول أمرها بستانا ويسمى بستان (نجيب باشا)قد اتخذه والي بغداد مدحت باشا متنزها عاما كما ذكرنا واطلق عليه(حديقة البلدية) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م صدر الأمر من نظارة الداخلية العثمانية (وزارة الداخلية) لاتخاذ هذا المنتزه مستشفى عسكريا وكانت المستشفى العسكري يومذاك في محلة الميدان وهي اليوم نادي الضباط العسكري وبقيت هذه المستشفى وهي تزخر بالمرضى العسكريين إلى آخر العهد العثماني وأهل بغداد يعبرون عنها (بخستخانة المجيدية) وهي اليوم المستشفى الجمهوري يؤمه الأهليون للتداوي به.

مستشفى الغرباء بالكرخ:

لقد شعر مدحت باشا أبان النهضة العراقية التي أخذ على عاتقه أن بغداد خالية من مستشفى للغرباء ولما كانت نفقات تشييد هذه المستشفى تتطلب مبالغ جسيمة تنوء بها ميزانية الدولة شحذ همة الأهليين في بغداد للتبرع لهذا المشروع الإنساني فانهالت التبرعات من الأغنياء والوجهاء فشيد بها مستشفى للغرباء بجانب الكرخ في الحديقة التابعة إلى وقف

سليمان باشا وقد أرخ بناءها المرحوم العلامة عبد الوهاب النائب ولا يزال التاريخ بأعلى بنائها وهو:

لله ما أطيب هذا البنا في وضعه ليس له من مثيل
على التقى مذ تم أرخته أطيبه هذا شفاء العليل
١٢٨٦ هـ

ولم تبق هذه المستشفى على ما هي عليه وإنما أصابها تقلبات كثيرة أدت إلى إهمالها وفي عهد الوالي قدري باشا سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م قرر تعمير هذه المستشفى وإصلاحها وقبول المرضى فيها وبعد ذلك في سنة ١٩٢٥م اتخذت مقرا للمجلس التأسيسي العراقي الذي سن القانون الأساسي وصدق على المعاهدة العراقية البريطانية وبعد ذلك أصبح مقرا لمجلس الأمة مدة غير يسيرة إلى أن أعيدت بصفتها مستشفى الكرخ وانتقل مجلس الأمة إلى بناية مدرسة الصنائع العثمانية التي بناها الوالي مدحت باشا وهي بالقرب من دار الضباط العسكري.

مستشفى الغرباء بجانب الرصافة:

في أيام الوالي نامق باشا الصغير شيدت مستشفى ثانية للغرباء في جانب الرصافة خارج باب المعظم وقد غرست أمامها حديقة غناء وفي صباح يوم الخميس ١٥ذي الحجة سنة ١٣١٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٠م أجريت مراسيم افتتاحها ودامت مدة وهي تزخر بالمرضى ثم انقلبت

مستشفى للأمراض العقلية (المجانين) والآن فيها بناية السجن المركزي للواء بغداد.

مستشفى مئير الياس:

شيدت هذا المستشفى مئير الياهو الياس وتقع خارج باب المعظم مقابل ثكنة الخيال (الكرنتينة) بالسابق وفي يوم ٩ شعبان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩١٠م أجريت مراسيم افتتاحها وقد فتح بابها الوالي ناظم باشا بيده وهذه المستشفى باقية إلى الآن.

الأطباء:

كان الأطباء قليلين بالنسبة إلى سكان بغداد في ذلك العهد وأهل بغداد يسمون الطبيب(دختور) واشهر الأطباء في الأربعين سنة التي تسبق عهدنا هذا كل من(مظفر بك) و(نظام الدين بك) و(ادلر) النمساوي و(أرسطو) و(يانقو) وهذا الطبيب حينما يذهب لفحص المريض يمتطي(بغلة شهباء) وبعد إعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م جاء إلى بغداد عدد من الأطباء عسكريين ومدنيين وأشهرهم الطبيب(بلال بك) وهذا نطاسي بارع وعلى جانب عظيم من حسن الخلق فضلا على زهده وتقواه والطبيب(كاني بك) وهو جراح ماهر ولم يكن في بغداد قبل مجيء(كاني بك)جراح عليه المعول

غير(عزت بك) وكان في بغداد جراح أهلي يدعـــى(اوســطه عبـــاس) وامرأة يهودية إسمها فرحة خاتون تمارس طب العيون.

أما طب الأسنان فهو منوط بالحلاقين في بغداد.

تخطيط بغداد وأحوالها العمرانية

يروي العارفون من طبقة المعمرين في بغداد عن أسلافهم بعد آخر نكبة نكبت بها بغداد من الغزوات كانت على جانب عظيم من الحضارة والعمران ولكن الوباء (الطاعون) الذي فتك بأهلـــها وطغيـان دجلـة (الغرق) في عين الوقت كانا في خرابها أكثر من غزوات (هولا كــو وتيمورلنك)وكان الوباء يذهب بـ ١٥٠٠ نفس في الأســبوع والذيـن ينجون منه ذهبوا ضحية الغرق والفيضان وبعد هذه الكارثة أخذ أجـداد سكانها الحاليين يعيدون ما خرب منها ويبنونها كل على ذوقه وحسـب اقتداره بدون تصميم وبغير اتساق فنشأت معوجــة الجـدران وعلـت السطوح علي السطوح ولاذت الأواوين بالغرف واشرأبت الشرفات إلى الشرفات وأمدت بعضها إلى بعض فتوسعت البيوت وضـاقت الطـرق وصارت تدعى بلغة البغداديين (درابين).ومـا كـان الـولاة والحكـام ليكترثوا بهذا الحال ما دام أبناء البلد يدفعون الضرائب وهم صاغرون.

لقد ظهرت بغداد بهذا المظهر المزري مظهر الفوضى في البنـاء وصارت الدور متراصة مبعثرة تكتنفها (الدرابين) كما عـبروا عنـها بادية بضيقها واعوجاجها وفي هذه المظاهر من نشأتها تبدو بوضـوح أنها غير ما كانت عليه أولا فهي قديمة جديدة وهي متراصة مبعثرة.

لقد كانت الدور يومذاك تتكون على الأغلب مـن طبقـة واحـدة وطبقتين فذات الطبقة الواحدة تتألف من قاعة مفتوحة في الوسط بشـكل مستطيل أو مربع تحيط بها الأواوين والغرف ، وذات الطبقتيـن ففـي

الطبقة الأولى قاعة وطارمة أو طارمتان وسرداب وغرفة المؤن والمطبخ وفي الطبقة الثانية غرف للنوم متصلة بعضها ببعض بواسطة الطارمات ولغرف الطبقة الفوقانية منافذ للخارج يدخلها الهواء والضوء وبعض نوافذ شبابيك بارزة تسمى (شناشيل) وتشرف على الطريق.

والأغلب من دور بغداد تبنى بالطين والآجر ومثل هذا البناء لا يدوم كثيرا فهو سريع الانصداع والانهيار لأن البنائين يومذاك يركمون الحجارة بعضها فوق بعض دون أن يراعوا علم القياس وقاعدة الامتزاج.

وقد أطلق البناؤون أسماء متعددة لأقسام هذه الحجارة منها ما يقال له (وسطاني) و(جبل) و(محير) و(بابلي) نسبة إلى مدينة (بابل) وللشاعر المرحوم عبد الرحمن البناء قصيدة يحث فيها البنائين على إتقان العمل نثبتها هنا لعلاقتها ببحثنا واستدلالا على وضع البنائين في بغداد وهي:

أساتذة التعمير أنتم أولي الحزم كفاكم فخارا أن زففت لكم نظمي
لأني أنا البناء للشعر والعلى بنيت لكم مجدا على قمة النجم
أقول لأرباب الصناعة منكم مقال حكيم لا يروغ عن الحكم
خذوا الصدق أما والآباء لكم أبا وخلوا أكاذيب التغامز بالعظم
ولا تجعلوا إلا العفاف شعاركم لأن عفيف النفس خال عن اللؤم
ولا تظلموا العمال منكم برشوة فان اغتصاب الحق من أقتل الظلم
فداروا ذوي الأشغال والدور منكم برفق وأنصاف وحلم على حلم
وراعوا بني دار السلام برأفة وسلم لأن الحر يجنح للسلم
فان بني الأوطان سد عليهم دخيل غريب منبع الرزق والعلم

فرفقا بهم رفقا فان حياتهـــــــم … من البؤس باتت وهي في حالة السقم
و(رباز) أمسى قارئا في جيوبهم … يغني لهم بالزير طورا وبالبـــــــم
سهام رمت قلب التجـــارة منهـــم … فلله من رام ولله من سهـــــــم
أقيموا بني أمي القصــــور مشيدة … على أسس التقوى أقيموا بني أمي
أقيموا على الطرز الجديد بناءكـــم … بنصب ورفع جل عن عالم الجزم
فعيشتكم دون الصنائع حـــــــرة … وغنمكمو في الرزق من أوفر الغنم
فحلوا عرى التقليد منكم بعزمـــة … يقول لكم إكسيرها يا أولي العـــزم
ألا وانحتوا فوق الصخور هياكلا … حقائقكم فيها تجل عن الوهــــــم
وخطوا بديعات الخرائط وارسموا … نفيسا إذا ما اعجب الناس بالرســـم
وصبوا بإبداع القوالب طوقكــــم … وصوغوا أكاليلا من الشرف الفخم
نعم وانقشوا التاج السليمي زاهرا … كروض أنيق جاده عارض الوسم
وصدوا عن التقليد روحا حديثــة … تؤمل أن ترقى إلى عالم النجــــم

الرصافة والكرخ:

إن الجهة الشرقية في بغداد لا تزال تدعى باسمها القديم (الرصافـة) المخلد في بيت الشاعر علي بن الجهم وهو:

عيون المها بين الرصافـــة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

كما تدعى الجهة الغربية باسم (الكرخ) المخلد في بيت الشاعر ابـن زريق البغدادي وهو:

أستودع الله في بغداد لي قمرا بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه

ولم يكن آنذاك في هاتين الجهتين شوارع تذكر بل يخترق الرصافة شارع (رأس القرية) ويسمى شارع (المستنصر) اليوم لوجود بناية المدرسة المستنصرية في أوائله وقد بنيت مدرسة المستنصرية على عهد الخليفة العباسي المستنصر بالله سنة ٦٠٢هـ يقابلها سنة ١٢٣٣م ووضع لهذا الشارع يومذاك جدران عالية ليس فيها ما يسمى بالفن العماري وفيه (أزقة) قصيرة و(درابين) تنفذ إلى نهر دجلة وإذا ما ولجت فيها وسرت بين أبواب ودور عريضة فخمة عليها مطارق تنوعت أشكالها ومع هذه الدور التي أخنى عليها الزمان فان آثار الماضي المجيد تتمثل في طراز عمارتها وفخامتها فلا يلبث الناظر إليها إلا أن يردد قول الشاعر :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

وإذا ما دفعك حب الاستطلاع وفتحت لك باب إحداها وأشرفت على صحن الدار المبلط بالطابوق الأصفر المشوي تعلم بما كان عليها سكان عاصمة العباسيين من الراحة التامة على ضفاف دجلة الساحر.

أما حوانيت هذا الشارع فهي متباعدة عن بعضها وأصحابها على اختلاف نحلهم وأديانهم قانعون بما يمن الله عليهم من الرزق الحلال .

إن مظاهر بغداد اليوم تدلك على أنها مدينة عربية بطبيعتها شرقية بمظاهرها ووضعها وقد بدت فيها تباشير نهضة علمية تتصل بماضيها العلمي الزاهر فقد تأسس فيها عدد من الكليات مثل كلية الحقوق وكلية الطب وكلية الهندسة وكلية التجارة وكلية الآداب والعلوم كما أن فيها من التمسك بفضائل الدين الإسلامي والخلق الديني من الورع والتقوى وتجد

فيها عددا غير قليل من رواد الشغب والنفاق والتمرد إلى جانبهم عـــددا ممن عرفوا بمزايا الشهامة والبطولة والتغني بها.

أزياء البغداديين:

تستعمل في بغداد قيافات مختلفة عديدة متشعبة تعود إلى عصـــور مرتحلة من القدم وتمثل أوضاعا مختلفة وإذا ألقيت نظرة رأيت الأسواق المكتضة بالمارين قد تعدى أزياء رؤوسهم فهذا لابس(العقـــال) فـــوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون ويندر أن يلبسه غير الشيوخ والطاعنين في السن ولهذا العقال صفات أخرى في بغداد فإذا كان ذا لفتين سمي طيتين وإذا كان ذا ثلاث لفات أو أربع لفات عرف(باللف) ولا يلبسونه غـــير الكهول ويلبسونه فوق يشماغ أزرق أو أحمر اللون والعقـــال الأســـود الشائع فيدعى(قحطاني) نسبة إلى قحطان ويلبس فوق يشماغ أزرق.

أما اليشماغ فهو عمامة قصيرة لاتزيد لفاتها علـــى الثلاثـــة لفـــات مشدودة حسب مزاج صاحبها والذين يرفعونها فوق الجبين هم الفتيـــان المشهورين بأعمال الشقاوة أي الذين شقوا عصا الطاعة على الحكومـــة باسم (أبو جاسم لر) أي أبو(الجواسم) جمع جاسم وأداة(لر) الملتحقة تدل على الجمع، ولفة اليشماغ كيف وضعت تسمى (جراوية) نسبة إلى(جرو العبد) وهذا الرجل من محلة الخيدر خانة ، و(عصفورية) توضع فـــي قمة الرأس نسبة إلى رجل إسمه قدوري بن عصفور من محلة الفضـــل، وأخرى يقال لها(عدام) أي يعدم شنقا و١٥سنة أي محكوم بـــهذه المـــدة

وإن لفها صاحبها على الرأس وتلثم بها(فتدعى بيشـماغين) وذات لفـة واحدة ويلبسونها على الأكثر بتأدب أصحاب الصناعات.

واما العمائم فالبيضاء خاصة بالعلماء والشبان المتدينين إذا كـانوا من طلاب العلم، والخضراء للسيد الشريف،والعمة من الحرير المقصب تسمى(كشيدة)وهى خاصة بالتجار والوجهاء وجميع هذه العمـائم تلـف فوق الطربوش ويعبرون عنه باسم(فينة) نسبة إلى مدينة(فينا)عاصمـة الدولة(النمساوية) لأنها تصنع في معاملها،أو تلف على(عرقجين)الطاقية.

أما العباءة فهي على الأغلب سوداء مطرزة بـالحرير الأسـود أو بخيوط الذهب والفضة ويسمى(كلبدون) أو(ليهي) وهي تصنع في بغـداد من الوبر أو الصوف أو من قماش أوربي والباقي تصنع في بلاد إيران وبلاد الاحساء والعباءة الحسوية من وبر الجمال جمـع جمـل وهـو الحيوان المعروف ويلبسها مشائخ العشائر، والعباءة الإيرانية التي هـي من الصوف البني اللون على(الكوبـائي) و(النـاييني) يلبسـها العـالم والتاجر، والعباءة(الخاجية) الرقيقة أو(البتية) تلبس في فصل الصيـف تصنع في بغداد والعمارة والحلة والنجف، ولعباءات القرنـة والنجـف شهرة خاصة فالأولى ممتازة برقة نسـيجها والأخـرى بمتانتـها، وإذا أمعنت النظر إلى ما تحت العباءة تجد الملابس مختلفة بـاختلاف أذواق أصحابها فطبقة علماء الديـن يرتـدون الزيـون والخرقـة والجبـة والحذاء(اليمني) من النوع الأصفر والحذاء البلدي المسـمى(قونـدرة)، و(البوتين)، و(الجزمة) ترتديها طبقـة العسـكريين، وطبقـة التجـار والأغنياء ترتدي الزبون والدميري والعباءة والحذاء من النـوع الجلـد الأسود أو الأصفر وطبقة أصحاب الصناعات ترتدي الزبون والدميري

والحذاء(اليمني) من النوع الأحمر، والعمـــال ترتـــدي الزبـــون مـــن نوع(البشت) معمول من غزل الصوف والحذاء(كالة) وهي معمولة مـــن الخيوط القطنية وأغلبها تستورد من إيران وبعضهم يرتدي(دشداشة) من نوع الخام الأسمر و(جبنة) أو(جنده) وهم يحملون الأكياس والصنـــاديق على ظهورهم ويقال لهم حمالون والرجل لا يمشي في الأسواق والطرق حاسر الرأس وبغير عباءة.

الحالة الاجتماعية

المجالس الأدبية:

أينما تولي وجهك تجد في أغلب دور أكابر بغـــداد وخاصـــة دور العلماء والأفاضل يجتمع بها في ليالي الشتاء أو الصيف أكابر رجـــال الدولة والوجهاء والأغنياء والشعراء والأدباء يقضون لياليهم في ســـمر ومنادمة وليس أروع من مجلس يترك به أصحابه الخوض فـــي ســـير الناس فينصرفون إلى لعب الشطرنج .

لعبة الشطرنج:

الشطرنج لعبة ذاع صيتها وانتشرت في كل بقـــاع الأرض وإنـــها تجري بين شخصين لا يجوز لاحدهما أن يستهين بمقدرات الآخـــر لان غلطة بسيطة تحدث أثرا كبيرا في نتيجة اللعب، ولكبار اللاعبين حيـــل بارعة يخفونها وراء نكتة أو تظاهر بالاستهتار أو عدم المبالاة فينتبـــه خصمه إليها وبذلك يفقد الشرط بسرعة فائقة، وان لعبة الشطرنج ليســت للتسلية أو قضاء وقت بل هي رياضة عقلية ومنهج لتدريب الذهن علـــى التدبير ورسم الخطط وقد قال الأمام الشافعي في حقها إنها تمرين للذهن وترفيه عنه.

ووصفها أحد أبطالها في الزمن الغابر أنها ساحة نزال وميدان قتال يتنازع فيها الذكاء وحسن التدبير.

وكانت لعبة الشطرنج في بادي الآمر خاصة بـــالملوك والأمـــراء وعلية القوم ثم شاعت أصولها حتى شملت جميع المدن وكانت بغداد من ضمن المدن التي شملتها هذه اللعبة وكـــانت مركـــزا عظيمـــا للعبـــة الشطرنج، وشجع على انتشارها محبة الخلفاء العباسيين لـــها كـــهارون الرشيد والمأمون والمعتصم والمتوكل وغيرهم وعقدوا المباريات فـــي قصورهم بين اقدر اللاعبين ومنحوا الجوائز الثمينة للفائزين واشتهر في ذلك القرن بلعبة الشـــطرنج بيـــن المســـلمين فظـــهر أبطـــال كبـــار مثل(الصولي) و(الماوردي) و(الراضي) و(العادلي) وغـــيرهم فلذلـــك أصبح العرب أبرع وأمهر من الذين جاءوا بعدهـــم والعـــرب زعمـــاء الحضارة والمدنية في العصور الوسطى وهم الذين نقلوا لعبة الشـــطرنج إلى الغرب وفي الشطرنج قال الشاعر أمين الجندي:

أقول أن لاعب الشطرنـــج	كفارس هاج ببحر الســـرج
ولا يـــزال ناصـــب الفخاخ	يصطاد من جاء الرخـــــاخ
كأنه ليث الشرى المفتـــرس	لا شي إن أرخا عنان الفرس
وصالـــــت الأفيال للأفيال	في حومة القتال والجـــــدال
وابتـــدرت أمامها البيـــارق	تسعى فمنها سابق ولاحـــــق
وبارز الشاه أخـــوه الفـــرز	وانتهك الستر وزال العـــــز
وميز الغالـــب بتأيـــــــيد	وبان فضل باعه المديـــــــد
واقبل النصر من الإلـــــــه	وتمت الحرب بموت الشـــــاه

المطارحة والمطاردة:

ولم تقتصر تلك المجالس على لعبة الشطرنج وحدها بل كانت للمطارحة مجالا واسعا فيها وتسمى (مطاردة) وهي أن يروي أحد الجالسين بيتاً من الشعر يعقبه الآخر ببيت يكون أول قافية الحرف الأخير من البيت مثل :

فلو سمح الزمان بها لضنت ولو سمحت لضن بها الزمان

فيعمد الآخر إلى النون وهو آخر حرف من قافيته ويروي مبتدئاً مثل:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

وهكذا يتلقف السامع فيلتمس بيتاً مبدوئاً بها ، ولا يلبث في النزال إلا من كان قوي الحافظة حاضر البديهة وقد يأتي في هذه المطارحة بيت ارتجالاً لا من الغث في الكلام ولكن يأتي فورياً ومقفى هذا كل ما يحتاج إليه الأديب حينما يرتج عليه وكثيراً ما يأتي المرتجل شيئاً خلواً من معنى مملوءا بالمناقضات المضحكة.

المرأة البغدادية:

إن المرأة البغدادية تمتاز بالسمرة والشعر الأسود وتملك خفة الروح والجاذبية القوية والحشمة والوقار فضلاً على جمال الخلق وحسن الطباع ولا أظن بين نساء المدن العراقية من هي أفصح لسان وأفضى بياناً من المرأة البغدادية فالمرأة البغدادية هي التي تجاهد في بيتها

لأحلال السعادة فيه وتربية أبنائها وتفتخر بحيـــاة الأمومـــة والتمســك بالأسرة وماأحلى طفلها الذي تعتز به وهو مطمئن في الصحة والهناء.

المرأة العراقية تطير فرحاً عندما تشاهد طفلها وفلذة كبدهـــا وهـــو ينمو ويرفل بزيه البغدادي تلوح على وجهه الملامح العربيـــة ، مـــرة يغضب وأخرى يرضى ، ويبكي ويضحك ويتكلم معها بلغة لا يفهمـــها أحد سواها.

المرأة البغدادية في العهد الذي نؤرخ به أحواله مؤلفة من طبقتين: الأولي هي الطبقة الراقية ويطلق عليها أسم (خواتيـــن)جمـــع خـــاتون وتسمى باللغة التركية (خانم) وأنها سيدة بيتها لا تخرج منه إلا بأذن من زوجها وتكون وجهتها بيت أهلها وذوي قرباها وعند خروجها تخـــرج محجبة يغطي محياها (بوشي) أي برقع من الحرير الأسود وهو خـــاص بالنساء .

ولا أحد يكاد يصدق أن تلك المرأة المحجبة التي لا تخرج من بيتها إلا والعباءة تلفها من قمة رأسها إلى أخمص قدميها هي تلـــك المـــرأة الأنيقة المعطرة التي نراها في بيتها العامر بهدوء وسكينة وأدب جـــم، وكثيراً ما كنت أشاهد تلكن(الخواتين) وهن محجبات يمشين في الطريق وأمامهم خادم أو عبد يحمل بيده(فانوس) أي مصبـــاح ويضـــيء لـــهن الطريق وهن يتهادين بحشمة ووقار.

أما مجتمع المرأة العراقية فهو خال من الرجال حتى مـــن الأزواج والأبناء وأولاد العم ،والمرأة العراقية لا تخصص يوماً معلوما لزيارتها أي يوم (قبول) كما هو اليوم عندنا وإنما باب دارهـــا مفتوحـــة علـــى

مصراعيها لكل الزائرات ويقدم بها القهوة أولاً ثم يأتي دور الشاي وهو الشراب المفضل فيقدم معه (الكليجة) التي أعدت لمثل هذه الضيافة.

وبعد شرب الشاي تقدم المائدة بأطباق شائقة تتفنن في تقديمها وهي أما تقدمها بنفسها ولا تعهد بصنعها إلى الطباخة إذا كانت توجد طباخة أو خادمة مهما كانت مكانتها الاجتماعية.

أما الطبقة الثانية وهي الطبقة الوسطى لا تختلف عن أختها الطبقة الأولى بأدبها وحسن خلقها ويعجبني فيها المرأة التي بلغت العقد الرابع من عمرها خمارها الذي ضربته إلى حد عينيها كما يعجبني ثوبها الفضفاض(الهاشمي) تحت عباءتها التي تغطي قدم رجليها وهي تسير لا تلوي على شيء.

والمرأة البغدادي لا تدخن التوتون(السكائر) والخواتين يدخن توتون(النركيلة) للتفكهة وهذه (النركيلة) من فصيلة (الجوزة) أي جوزة الهند وتكون مزركشة بصورة تجلب النظر .

وأما الفتاة البغدادية فحدث عن حسن مزاياها وأدبها ولا حرج فثغرها الأشنب لا تفارقه الابتسامة الحلوة وصوتها الهادي الرزين عنوان الفتوة والأنوثة ، لا تفارقها الدعابة والمرح فهي كما قال فيها الشاعر:

يحسبن من لين الكلام زوانياً ويصدهن عن الخنا الإسلام

بيض حرائر ما هممن بريبة كظباء مكة صيدهن حرام

الطوائف في بغداد:

إن الطوائف في بغداد في عهد الدولة العثمانية وخاصة طائفتي اليهود والنصارى جزء من مجموع السكان فإذا سارت الحكومة في طريق الحضارة والعمران أخذت تلك الطوائف نصيبها من تلك النهضة وان الدساتير التي تضعها الدولة وتعين مقدار الأفراد والجماعات فان قامت على أسس العدالة والمساواة والراحة دامت تلك الجماعات ترفل في بحبوحة العز والرفاه وبذلت المجهودات في سبيل الرقي والمدنية وجرت شوطا كبيرا في ميدان الأعمال، ومن ذلك الوقت فكرت الحكومة العثمانية في إصلاح أنظمتها وقوانينها وشؤون أدارتها وقد نال النصارى واليهود بسبب هذه السياسة كثيرا من الراحة والهناء في العراق عامة وبغداد خاصة فكان حظ النصارى حظا رفع مكانتهم لانهم اخلصوا النية في أعمالهم وكانوا ادباءا وكتابا ووجهاء وأغنياء عكس اليهود الذين تجردوا من كل هذه الصفات الحميدة ما عدا التجارة وان أعمالهم السيئة ونواياهم الخبيثة التي جبلوا عليها كانت معلومة عند العثمانيين آنذاك فصاروا يحتقرونهم ويبغضونهم في كل آن، وكانت حالتهم السياسية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فانهم يتصلون بأساليب شيطانية إلى دخول سراي الحكومة ودوائر الكمرك والمكوس وبيت الوجهاء حيث يجدون من يستخدمهم في أعمال مهن أكثرها ذات صلة بالمال.

ومن ولاة بغداد الذين استخدموا اليهود في بغداد الوالي مدحت باشا عندما بث روح الحرية والمساواة وتنشيط الأعمال الاقتصادية، ومن

الولاة الذين يذكرهم اليهود بأطيب الأحاديث المشير رجب باشا قائد الجيش ووالي الولاية فقد ظهر من التساهل والحكم ومراعاة الأشغال ما سر اليهود كل السرور، وقابل اليهود إعلان الدستور في الدولة العثمانية بهتاف الترحيب وأقاموا مظاهرات الارتياح، وبقى إسم ناظم باشا عالقا في أذهانهم لما لاقوا في أيامه من الحرية وحسن المجاملة، وبين جماعة اليهود في بغداد رجال من كل الطبقات منهم التاجر والصيرفي والدلال والمحامي والطبيب وأهل الصنائع كالصائغ والحداد والنجار والإسكافي والموسيقي وغير ذلك، أما مسكنهم في بغداد باستثناء البعض فانه يقع في زاوية من زوايا بغداد القذرة في بيوت تسكنها عدة عائلات تحسبها كالسفينة تمخر في بحر من الأوساخ والقاذورات.

الصناعات

كان قطر العراق في الأزمنة الماضية قطرا اشتهر في الصنعة وقد برهنت أخبار السياح الذين تجولوا في العراق مثل(ابن بطوطة) و(ابن جبير) وغيرهما على أن أهل العراق كانوا يزرعون كميات كبيرة من القطن وبعد حلجه وندفه يستلمونه للنسيج كما كانوا ينتجون الحرير والقز وينسجون منها الأقمشة الحريرية وغيرها ومع اندثار معاهد الحضارة في العراق طوال السنين التي انقضت بعد استيلاء(التاتار)عليها لازال محتفظا بتلك الصناعة إلى الآن.

الندافة وخياطة الافرشة:

ولا يستعمل القطن للنسيج فقط بل يستعملونه للافرشة الاعتيادية منها الافرشة الخاصة بالأعراس، فيأتي أصحاب العرس بالنداف حاملا معه آلة الندف والخياطة ويقوم بخياطة الافرشة وكل ما يلزم من متممات الافرشة للعرس وغيرها. وجهاز العرس الخاص للمنام يتكون من(اللحف) جمع لحاف و(دواشك) جمع دوشك و(مخاديد) جمع مخدة أي وسادة.

صناعة الغزل والنسيج:

إن صناعة الغزل والنسيج كانت شائعة شيوعا عظيما في بغداد كما نوهنا وتدار صناعة الغزل بواسطة الآلات اليدوية وتسمى(دواليب) جمع دولاب يقوم بها رجال ونساء أتقنوا هذه الصناعة وكذلك تدار بواسطة(مغازل) جمع مغزل تقوم به نساء تعودن على الغزل والمرأة البغدادية تسليتها الوحيدة في بيتها الذي لاتخرج منه هو المغزل الذي لايفارق يديها ولو أمعنت النظر في نساء بغداد لوجدت أكثرهن يجيدن صناعة الغزل على اختلاف أنواعه.

أما النسيج فكان يصنع بواسطة الآلات اليدوية أيضا وتسمى(جوم) جمع جومة تنسج بها الأزر المقصبة جمع أزار ولصناعة الأزر ينسب الشاعر البغدادي الشيخ كاظم الازري، كما تنسج(الشراشف) جمع شرشف والخمر جمع خمار وهو خاص بالنساء.

وتصنع في بغداد الكوفية وهي منسوبة إلى الكوفة عاصمة العراق الأولى قبل بناء بغداد سنة ١٤٥هـ ، والنساج يسمى في مدينة بغداد(حايك) والنسيج يسمى حياكة وتنتشر الحياكة في محلات عديدة في بغداد وأشهرها محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني والشواكة والكريمات بجانب الكرخ والكاظمية والاعظمية وبعض المدن العراقية.

صناعة الحدادة:

للحدادين سوق خاصة وللحدادة موسم يعرفه الحدادون ولذلك تراهم يهيئون للفلاح العراقي(المساحي) جمع مسحاة و(المناجل) جمع منجل وهذه كلها من مستلزمات الزراعة الابتدائية قبل أن يحل عصر الآلات(الميكانيكية) كما انهم يعملون القضبان الحديدية للشبابيك في عمارات الدور و(السلاسل) جمع سلسلة لربط جمع الحيوانات كالخيل والبغال والحمير.

صناعة النجارة:

كانت النجارة في بغداد تقتصر على الأعمال الخشبية البسيطة المستعملة في جميع أثاث الدور كالسرر للمنام وصناديق الملابس و(الدواليب) جمع دولاب و(المرافع) جمع مرفع لحفظ الأواني البيتية و(المحاريث) جمع محراث و(الجراجر) جمع جرجر للزراعة، والنجارة الراقية خاصة في عمل صناديق(الاضرحة) جمع ضريح وتصنع هذه الصناديق من الخشب المعمول(بالجرخ) ويقال لصانعها(جراخ) بالجيم الفارسية،وعمل وجهات الغرف المزخرفة بأشكال هندسية منظمة بأسلوب عباسي قديم وأسلوب إيراني وأحسن مثال لذلك شبابيك الخشب في مسجد الأمام موسى الكاظم عليه السلام.

صناعة السلال:

للبغدادين صناعة خاصة وهي صناعة حياكة السلال على إختـلاف أنواعها وأشهر المدن التي تصنع بها السلال هي مدينة بغداد والبصـرة وكربلاء وبعقوبة وقد اشتهرت النساء بهذه الصناعة.

ولقد كنا نشاهد بين الآونة والأخرى زمرة من الرجال يحلون فـي بغداد قادمين من العمادية وزاخو في لواء الموصل لعمل السـلال مـن غصون الأشجار بعد تجريدها من الورق وبيعها ويقـال للواحـد مـن هؤلاء(سبع طلان) وهذا التعبير محرف كليا وأصل هذه الكلمـة هـي تركية(سبت صاطان) بمعنى بائع السلال.

أسواق بغداد

الأسواق جمع سوق وتتالف من مجموعة الحوانيت المتقابلة يضللها سقف من الآجر والجص على هيئة أقواس أو مسقف بالخشب والحصران على هيئة الجمالي بتشديد الميم ومن تلكم الأسواق:

سوق البزازين:

وهذه السوق معروفة بسوق (الجوخه جية) اليوم وهي خاصة ببيع الأقمشة من نوع الجوخ المستورد من الخارج وفيها الأقمشة الحريرية والقطنية على اختلاف أنواعها.

سوق القزازين:

إن هذه السوق كانت عامرة وتباع بها أنواع الأقمشة من الحرير والقز من صنع بغداد وتباع بها الحزم(الهميان) و(الحيص) جمع حياصة وهي الحزم الخاصة للشبان والصبيان وأحسن نوع يسمى(الحلاوية) نسبة إلى مدينة الحلة.

سوق السراجين:

سوق لها مكانتها بين أسواق بغداد وهي خاصة بعمل السروج جمع سرج للخيل كما تعمل الصناديق المكونة من جلود الغنم الخاصة للسفر وفي محلها اليوم سوق الصاغة المتصلة بسوق السراي والمعروفة اليوم بسوق الشابندر.

سوق الغزل:

وقد كانت هذه السوق من أمهات الأسواق ببغداد يبلغ بها القطن وأنواع الغزل الذي تنسج منه الأقمشة وفي مقدمتها العباءة وتباع بها الأواني النحاسية المعمولة كما يباع بها أنواع الطيور والحمام الزاجل والقماري جمع قمري والعنادل جمع عندليب والقطا والبط والدجاج وغيرها والحيوانات كالخراف والماعز والغزلان والقرود والأرانب ويباع أنواع العطور كماء الورد وماء القداح وغيرها.

سوق الصفارين:

إن هذه السوق خاصة للصفارين وهي تكتظ بدكاكينهم،ببضاعة الأواني النحاسية من قدور وأواني وطسوت وأباريق وغيرها،وليس في هذه السوق دكان لغير الصفارين وهذه الدكاكين تعرض بها المصنوعات

النحاسية وتصنع فيها الأواني فهي معامل ومعارض متراصة فلا تسمع إلا طرقا يصم الآذان ولاترى إلاعملا متواصلا ولهيبا متصاعدا.

سوق الهرج:

هي السوق المحاذية لدائرة الكمرك والمكوس(مدرسة المستنصرية)وسميت بالهرج دلالة على كثرة الازدحام فيها وتعالى الأصوات والتهريج للبيع والشراء ومعنى الهرج في معجم اللغة هرج في كلامه أي خلط.

وكانت تباع بها الأسلحة النارية والجارحة على ملا من الحكومة والناس.

سوق الصاغة:

تعرف هذه السوق(بخان جغان) وهي محل سوق دانيال الآن وانتشرت بها دكاكين الصاغة وخاصة بصياغة الذهب والفضة وانحصرت هذه الصناعة في العهد الذي نؤرخ فيه باليهود وعدد قليل من المسلمين والمسيحيين والصابئة.

وفي أي وقت دخلت في(خان جغان) تجده غاصا بالنساء هذه تطلب أن يصاغ لها(خلخال) وتلك تنظر إلى(الملاوي) وأخرى تضع أقراطا بأذنيها والصائغ اليهودي يصول ويجول ويخادع ويماطل ولا يترك

المرأة إلا وهي قد اشترت شيئا، وهذه الصناعة يتقنها اليهود من القديم وقد استولوا عليها بأساليبهم الشيطانية.

سوق الشورجة:

تعرف هذه السوق بسوق العطارين وكانت ضيقة وفي سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩١٠ أيام الوالي ناظم باشا جرى توسعها.

ويباع بهذه السوق أنواع الأواني البلورية والخزفية فضلا على المواد العطارية السكر والشاي والصابون وفي قسم منها تباع الحبوب الغذائية الرز والحنطة وسائر الحبوب الصيفية والشتائية.

سوق حنون:

تقع هذه السوق في محلة قنبر علي وكانت هذه السوق ولاتزال قذرة مليئة بالأوساخ وكانت خاصة باليهود قبل إسقاط جنسياتهم وتركهم بغداد تباع بها المواد الغذائية كاللحم والسمك والدجاج والبيض وأنواع الفواكه والخضراوات وكل هذه كان اليهود يرغبون بها ويتنعمون بخيراتها.

سوق اليمنجية:

وتسمى سوق الزنجيل تشاهد فيها الأحذية الوطنية من نوع(اليمني) الأحمر اللماع معروضة للبيع بجميع أنواعها ومنها ما يسمى(قبه

لورطة) و(لزكار) بالكاف الفارسية و(كوجك لزكار) و(مركوب) وهذه الأسماء جميعها تركية ما عدا المركوب وأحسن يمني هو المعروف بعمل ابن البناء.

أما الأحذية النسائية فهي لاتزيد على نوعين نوع يسمى(سراي لي) وتلبسه(الخواتين) والآخر يسمى(عجمي) وتلبسه بقية النساء.

سوق الميدان:

وهي مؤلفة من عدة أسواق منها سوق الميدان المتصلة بجامع الميدان(الاحمدية). ويباع بها مختلف الحاجات من لحوم وخضراوات وحبوب وأقمشة كما يوجد بها مخازن الرز والحنطة والشعير.

وبضمنها سوق الهرج الصغير يباع بها الأثاث البيتية والمواد الخشبية المستعملة وفيها سوق(الحمير) وتباع في هذه السوق سائر الحيوانات كالخيل والبغال والحمير على اختلاف أنواعها وهي على مقربة من باب بغداد الشمالي المسمى باب المعظم وبمحلها اليوم محطة بيع(البانزين).

سوق السراي:

هي السوق المتصلة بدوائر الحكومة اليوم وتباع فيها الكتب العلمية والأدبية والمدرسية التركية.

وأقدم بائع كتب بها هو ملا خضر والد المرحوم عبد الرحمن خضر المدون القانوني، والمرحوم ملا نعمان الاعظمي صاحب المكتبة العربية المؤسسة سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩٠٥م ومحمود حلمي صاحب المكتبة العصرية المؤسسة سنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩١٤م وهو لا يزال في قيد الحياة وصاحب هذه المكتبة شهيرا بهذا الاسم وتقع مقابل المخبز العسكري.

سوق الجديد:

وهذه السوق اسم محلة في جانب الكرخ معلومة كان يسكنها أو يجتمع فيها جماعة من الأدباء والشعراء كعبد الباقي العمري الشاعر المشهور وعبد الغفار الأخرس وعبد الله الخياط صاحب الظرائف وغيرهم وكانت تباع بهذه السوق أنواع الخشب الذي يجلبه التجار من الموصل لتعمير البيوت وكانت عربات(الترامواي) التي تسير على خط الكاظمية تمر منها، وفي جانب الكرخ سوق الشواكة وسوق العجيمي وسوق حمادة ولاتزال بأسمائها هذه حتى الآن غاصة بالناس.

أشهر المقاهي في بغداد

كان انشار المقاهي في بغداد أمرا يستلفت النظر ويدعو إلى الاستغراب ولقد أصبحت هذه المقاهي مراحا لذوي الميول المتقاربة والمهن المتشابهة .

ويتردد عليها التجار والموظفون والأدباء والعمال يجلسون بها ويدخنون النواركيل والسكاير ويشربون الشاي والقهوة ويلعبون اللعب المسلية كالعبة(الدومينو) أي دومنة والمنقلة وهذه اللعبة خاصة بالبغداديين.

وتأتي في مقدمة هذه الألعاب لعبة(الطاولي) واسمه الصحيح (نود) وفيه قال الشاعر فيمن يحبه:

إني رضيت بأن أكون بكفه زارا يقلبني بلعبة نرده

مقهى سبع:

وقد عرف هذا المقهى باسم صاحبه سبع وهذا الرجل من القهواتية القدماء وعرف بدماثة أخلاقه وطيب سريرته ومن أعماله التي عرف بها انه كان يعرف المعوزين الذين يترددون إلى مقهاه وهؤلاء من الطبقة التي يقال في أفرادها(يحسبهم الجاهلون أغنياء من التعفف) فلا يطالبهم سبع بأجور المقهى وقد كان موضع احترام رؤساء الحكومة من

عسكريين وملكيين وأصبح محل هذا المقهى مدرسة(المأمونية) التي أصبحت اليوم مديرية معارف لواء بغداد المركز كما نوهنا.

مقهى وهب:

ويأتي بعد مقهى سبع بالميدان مقهى وهب ويقع في باب(القلعة) ثكنة المدفعية والمدفع باللغة التركية(طوب) لذلك تسمى ثكنة المدفعية(طوبخانة) واليها نسبت محلة(الطوب) في بغداد وبمحل هذا المقهى الآن دائرة مصلحة إسالة الماء بعد أن شيدت.

مقهى عزاوي:

وهذا المقهى كان يعرض فيه الآعيب(خيال الظل) أي(قره كوز) في ليالي رمضان وفي سائر الليالي يشتغل به(تياترو) بتعبير أهل بغداد وبمحله الآن مقهى(الأوبرا) وقد كان قبل ذلك ملهى ترقص به الراقصات ليلا.

مقهى كل وزير:

وهذا المقهى مشهور(بشربته وشاية) وهو مرتاد الطبقة الراقية من البغداديين وهو المقهى الوحيد الذي لايوجد فيه أداة للهو(كالطاولي والدومينو) وبمحله اليوم معمل أحذية الكاهه جي بجانب باب وزارة الدفاع الحديثة.

مقهى القرائخانة:

وهذا المقهى يقع قرب باب المعظم وقد عرف بـ(عثماني قرائخانه سي) وهي أول مقهى في بغداد نظم تنظيما عصريا من حيث المقاعد وشرب القهوة والشاي ويستطيع الجالس أن يقرأ الجرائد التي تصدر في بغداد صباح كل يوم فضلا على الجرائد التركية الواردة من استانبول.

وصاحب هذا المقهى رجل إيراني الجنسية يتكلم باللغة الفارسية والتركية والافرنسية وقد غلب عليه أسم(مسيو) أي أفندي باللغة الافرنسية لكثرة تكلمه بهذه اللغة أي الافرنسية.

مقهى المميز:

يقع مقهى المميز على رأس الجسر القديم ويطل على نهر دجلة محاذيا لدائرة الكمرك والمكوس القديمة وعلى الأغلب هو جناح من أجنحة مدرسة المستنصرية، وفي ليالي رمضان كان المغني العراقي أحمد زيدان يغني فيه المقام العراقي وهو يموج بالناس يستمعون إليه.

مقهى البيروتي:

وهذا المقهى من مقاهي جانب الكرخ على رأس الجسر القديم وكان مجتمعا تجاريا يضم تجار الحبوب الغذائية والأخشاب والغنـــم وكـــان التجار الجالسون فيه يتداولون البحث في البيع والشراء بهدوء وســكينة كأن على رؤوسهم الطير.

مقهى اعكيل:

نسبت هذه المقاهي إلى عشائر(اعكيل) أي عقيـــل المتعـــددة وقـــد نزحت من نجد إلى بغداد في القرن الماضي وهـــذه المقـــاهي خاصـــة بشرب القهوة العربية وتصنع هذه القهوة في(دلال) جمع دلة بتشديد اللام حيث تغلى على النار بعد أن يخلط الماء بطحين القهوة وتمزج ببعـــض البهار وهناك يطيب شربها.

وتقع هذه المقاهي في الجانب الغربي مـــن بغـــداد أي الكـــرخ ولا تختلف مقاهي المدن العراقية عن مقاهي بغداد بوضعها المألوف آنذاك.

مقهى العنبار:

يقع هذا المقهى في محلة المصبغة بجانب الرصافة ويـــتردد إليـــه أناس من طبقـــة التجـــار ويعتـــبر هـــذا المقـــهى المقـــر التجـــاري يومذاك(كالبورصة) في هذه الأيام لأن محلة الرواق وخانـــات مخـــازن

الجملة قريبة من هذا المقهى وأكثر رواده تجار اليهود الذين بيدهم مقاليد التجارة يومذاك.

مقهى ملا حمادي:

وهذا المقهى واقع في محلة(المربعة) الكائنة الآن بجانبه(سينما الزوراء) وهذا المقهى الآن موجود وإن كان شيد حديثا وكان محاط ببساتين و موقعه كالمتنزه والويل ثم الويل لمن يجتاز تلك البساتين ليلا.

مقهى العبد:

كان هذا المقهى منعزلا في آخر المدينة في الباب الشرقي بمحل ما يسمى الآن(البتاوين) أو(الأورفلية) وبجانب ذلك المقهى(قولغ) مخفر للدرك أي الجندرمة يحيط به حقول وبساتين وزرع الحقول(بالخس) حتى سميت بستان الخس ولما شيدت فيها أخيرا دور أصبحت تسمى محلة بستان الخس في شارع العلوية بعد تمثال السعدون ومقهى العبد غير منظم مثل مقاهي المدينة وإذا جئت أليه صباحا أو ظهرا لاتجد أحدا وإنما يؤمه الناس عصر كل يوم يمتطون الخيول لبعد المسافة عن المدينة من جهة الباب الشرقي وكان أحدهم يحمل سلاحه معه خوفا من الاعتداء.

مقهى التبانة:

وهذا المقهى من مقاهي محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية وكثيرا ما كانت أشاهد في هذا المقهى ليلا(ابن الحجامة) الهزلي المشهور واسمه الحاج جاسم من محلة(العوينة) مع زميله الفكه(منصور) يقومان بشبه تمثليات هزلية لا تخلو من النكات المضحكة على جمهرة من المتفرجين ويسمى ذلك(أخباري).

نطاح الكباش وعراك الديكة:

وفي النهار يكتظ مقهى التبانة بالمتفرجين على نطاق(الكباش) جمع كبش وعراك(الديكة جمع ديك وللكباش أسماء مختلفة مثل(خماس) و(ضرغام) و(عنتر) وغيرها وأشهر المعتنين بتربية الكباش هما(أحمد دبي) من محلة الفضل و(علي الحبشي)من الا عظمية،وعند مبارزة الكباش أو الديكة يعلو هتاف المتفرجين للكبش أو الديك الذي يفوز بهذا المضمار.

تربية الطيور:

في بغداد أنواع كثيرة من الطيور الأليفة أعتاد بعض الناس تربيتها وجعلها ملهاة لهم وأسماؤها كثيرة منها المسكي والعنبري والرمادي

والأصفر والأحمر والفضي والزنكي كما اعتاد أصحاب تلك الطيور ووجل.

إطلاقها من أوكارها صباح ومساء كل يوم ويستمر تحليقها في سماء بغداد أكثر من ساعة وتختلط الأسراب في طيرانها بعضها مع بعض وعيون أصحابها مشرأبة أليها ثم تنعزل ويعود كل سرب إلى حالته الأولى وينزل إلى وكره.

ومن تلك الطيور نوع واحد يرجع إلى فصيلته الحمام ويستوطن البيوت ويلوذ بالمراقد المقدسة ومآذن الجوامع فيعيش آمنا مطمئنا لا يناله أذى من أحد ولا يسعى في طلب القوت بل يقتات الحبوب التي ينثرها له الزائرون فيلتقطها من الأرض من دون خوف ووجل.

عازف الرباب:

أما باقي المقاهي في بغداد فلا تخلو من وجود أساليب واللهو ليلا ونهارا ويوجد في بعض المقاهي عازف(الرباب) يجلس في المقهى وحوله الناس يستمعون إلى الأنغام المنبعثة من الرباب وهو يشنف آذانهم بغناء(العتابة والنايل) الشائع آنذاك في بغداد، وهذا الغناء هو غناء العراق الأصيل.

القصاص:

لم يكن سماع العزف على الرباب قائما وحده بل كان للقصاص مكانة مرموقة في المقهى لأن السواد الأعظم لم يكن لديه ما يلهو به كالملاهي ودور السينما وغيرها فكانت تسليتهم بسماع القصص والأساطير يتلوها عليهم أحد القصاصين ،ويعبرون عنه (قصخون) وأشهر قصاص يومذاك ملا إبراهيم الموصلي توفى سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م أيام الوالي سري باشا ومن بعده ملا خضر وهو موصلي أيضا توفى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا.

ولا زال البغدادي مجبولا على سماع تلك الأساطير ، وقد قيل من يتمتع بطيبات الحياة يضيع الوقت بأحاديثها ومن يحرم منها يسترسل في الأحلام التي تزينها المخيلة وتذهبها الأهواء ،وهكذا أخذ بعض الناس يسمعون إلى القصاص وهو جالس في المقهى تحفه جماعة من السامعين يصغون اله وهو ينقل إليهم صورة من وقائع (عنترة العبسي) التي جمعت في القرن الرابع زمن العزيز بالله الفاطمي، وقصة (أبو زيد الهلالي) وما فيها من الحروب المبالغ فيها ،ومما يروي أن بعض رواد مجلس القصاص الذي تروى فيه تلك المغامرات حزن حزنا شديدا عندما وقف القصاص في موقف وقع فيه (عنترة العبسي) أسيرا بيد محاربيه فلم يكن من الرجل إلا أن ذهب إلى بيت القصاص وطلب منه أن يطلق سراح (عنترة العبسي) من الأسر الذي وقع فيه لكي ينام ليلته

مرتاح البال فلم يجد القصاص بدا من أن يطلق سراح عنترة (العبسي) من الأسر وذهب الرجل شاكرا له فعله.

الحلاقة والحلاقون:

لم تكن للحلاقة في بغداد صالونات كما هي اليوم وإنما كانت مقتصرة على حوانيت منبثة في الأسواق والمحلات فحانوت الحلاق الشهير يتكون من مرآة كبيرة وكرسي موضوع أمام المرآة أعدت لمن يحلق لحيته أو يزين شعر رأسه، وفي الحانوت مقعدان طويلان وضعا في جانبي الحانوت لجلوس الزبائن وعلى جدران الحانوت أباريق وأواني نحاسية معلقة تستعمل عند الغسيل والجدار مزين بالواح مخطوط فيها آيات قرآنية ، والحلاق الماهر هو الذي يكسب رضى زبائنه من عسكريين وموظفين وأهلين حسب قواعد الحلاقة المتبعة عندهم يومذاك.

أما أهل بغداد ويضمنهم العلماء والمشائخ والوجهاء فالعلماء والمشائخ يحلقون رؤوسهم ويتركون لحاهم مسترسلة إلى صدورهم ، والوجهاء يحلقون رؤوسهم حسب أذواقهم مع المحافظة على وضع شواربهم ، والعامل يحلق رأسه بالموس مع حفظ شاربيه وجعلها معكوفة إلى الأعلى وكثيرا ما يحلف بها بقوله (وحق هل شارب)، ومن الكلام الشائع عند النساء البغداديات إذا ما أرادت امرأة أن تخاطب رجلا وتستجير به تقول له مستعطفة (أنا تحت شاربك)، والشاب الذي

لا شارب له يجلس في المقهى ولا يتقدم على من هو أكبر منه سنا في كل المناسبات .

وكان بعض الحلاقين يتجولون في الطرق حاملين عدة الحلاقة في شبه محفظة من الجلد ربطت بمحزم الحلاق وسير من الجلد معلق بالحزام من الأمام يمشي عليه الحلاق بالموس بين الآونة والأخر تسهيلا لأعماله، وفي يديه آنية من النحاس أو الصفيح (تنك) على هيئة إبريق مملوء بالماء لتيسير العمل عند الحلاقة وكثيرا ما يلتقي بعض الفقراء بهؤلاء الحلاقين وهو بحاجة إلى الحلاقة فيقعد في الطريق فيبدأ الحلاق بحلق رأسه على أن لا يتعرض لشاربيه مستعينا بالماء المعد في تلك الآنية، وهكذا كانت الحلاقة عند البغداديين .

الشحاذة والشحاذون:

الشحاذة معروفة في بغداد بأساليبها ونظام مجتمعاتها فمن الشحاذين من يجعل رائده الاستجداء بالتوسل ومنهم من يعتمد على الصياح يستدرون عطف الناس عليهم ومنهم من يصطنع البكاء ويظهر ألوانا من الأمراض والأسقام ويبدي ما به من نقص في خلقته ومختلف العاهات ويظهر ما يؤيدها من رث الثياب ونحول الأجسام وكلما كانت الأوساخ والقاذورات ظاهرة للعيان كان ذلك أبلغ أثرا لاستدرار الأكف.

ومن الشحاذين من استعاض عن التجوال بالوقوف على أبواب الأضرحة المقدسة والجوامع يستجدون فيها ومنهم من يجلس على قارعة الطريق باسطا كفه للسؤال وهو صامت لاينبس ببنت شفة.

ومن عادات الشحاذين أن يجلس أحدهم في بعض الأمكنة المكتضة بالمارين يتلو سورا من القران الكريم غير ملتفت إلى الأغلاط في قراءته، وآخر يمشي بالسوق وينشد قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وأخرى في مدح آل البيت الأطهار .

الزور خانة والرياضة:

كانت بغداد ميالة إلى الألعاب الرياضية باعتبارها من متممات الحياة اليومية ولكن لم تنظم التنظيم الذي نراه اليوم بل كانت بصورة مختصرة ترمز إلى تغذية الجسم وسيرانه (بالزور خانة) وهي حفرة عميقة مدورة في الأرض يجري فيها اللاعبون مختلف الحركات برفع أشكال متنوعة من قطع الحديد وتجري حركات اللاعبين فيها على ضرب (الدنبك) الكبير وهذا الدنبك يسمى (زرف)باصطلاح اللاعبين، وفي حركات اللاعبين يراعون الوحدة الموسيقية والذي يؤدي الضرب على الدنبك أي (ضابط الإيقاع) رجل له نظرية وعملية في المصارعة في جميع تجاربها ، وأشغالها ويسمى (مرشد).

والحركات التي تؤدي في الزورخانة تستهدف إلى تقوية العضلات كعضلات الرقبة والصدر والساعدين والساقين والأكتاف وقد انتشرت الزورخانة في كثير من محلات بغداد كمحلة (الفضل) و(الحيدرخانة) و(الدهانة) و(الصدرية) و(العوينة) و(باب الشيخ) وجانب الكرخ فضلا على مدينة الكاظمية ومن أشهر أبطال الزورخانة (أسطه غني) الذي أطلق عليه بالحق والاستحقاق (بهلوان) بغداد الأول لخفة حركته

وسرعة جريه داخل الزورخانة وخطف المصارع بحركات لا تخطر على بال وقد صارع أوسطه غني بعض مشاهير أبطال المصارعة في إيران والهند ممن جاءوا إلى بغداد فخرجوا منها يجرون أذيال الخيبة والخسران وقد تخرج عليه عدة مصارعين ومن أشهر تلاميذه المرحوم الحاج محمد ابريسم العزاوي، والسيد إبراهيم سادن الأمام أبو يوسف وقد تتلمذ عليهما كثير من المصارعين في بغداد وأشهرهم أسطه محمد الخياط.

والغريب في ذلك العهد أن الأطفال والصبية في عهد الزورخانات كانوا محرومين من مشاهدة ما يجري داخل الزورخانات أو حضورها وقد شهدت الزورخانة حضور بعض ولاة بغداد وبعض رجال الحكومة وإن دل هذا على شيء فيدل على مكانة المصارعة في نفوس القوم عندئذ ولا بد من الإشارة إلى هذا أن دعوات التحدي التي كان يتبادلها المصارعون من بغداد وبين زملائهم من المصارعين في إيران والهند كانت تمثل أسمى خلق الخطاب في المراسلات وتبدأ عادة بالبسملة وتنتهي بالدعاء بصيغة المتحدي للمخاطب.

محلات بغداد ورؤساؤها:

إن بغداد على شهرتها ليس بها محلات منظمة كما هي اليوم وليس بها من يقوم بإدارة شئونها وشئون سكانها ولقد مضت عليها مئات السنين وهي لم تزل بعيدة كل البعد عما يحقق لها شهرتها وفي سنة ١٢٥١هـ يقابلها سنة ١٨٣٥م أيام الوالي علي رضا باشا اللاز اجوي

انتخاب المختارين لها فصار لكل محلة مختار أول وثاني مع أمام يقوم بشئون الزواج متفقا مع المختارين، ولضيق المحلات وقلة المصابيح ومنعا لوقوع جرائم فيها أمر الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٢٦٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٩م بإنارة بعض المحلات في جانب الرصافة فوضعت المصابيح (فوانيس)جمع فانوس وفي عصر كل يوم يجتاز مستخدمو البلدية الطرق ومعهم سلالم خشبية يرتقون عليها لإشعال الضوء في المصابيح المعلقة على الجدران، وبذلك انكشف عن بغداد بعض الديجور المخيم في أرجائها وكانت محلات بغداد موحدة مثل الفضل وبضمها محلات العزة وخانلاوند (النائبية) اليوم ومحلة السيد عبد الله ومحلة حمام المالح والقراغول وكان رئيس هذه المحلات العلامة المرحوم الشيخ عبد الوهاب النائب ومحلة الميدان وما جاورها ويترأسها العلامة المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومحلة (الحيدرخانة) وما جاورها يترأسها العلامة المرحوم الشيخ داود النقشبندي ومحلة (قنبرعلي)وما جاورها يترأسها آل جميل ومحلة (القشل) وما جاورها يترأسها آل كبة ومحلة (باب الشيخ) وما جاورها يترأسها آل النقيب ومحلة (رأس القرية)وما جاورها يترأسها آل الباجة جي وجانب الكرخ يرأسه آل السويدي،وأهل هذه المحلات متمسكون برؤسائهم ويضحون بالغالي في الدفاع عنهم كما أن رؤساءهم بدورهم يراعون مصالحهم ويسهرون على تلبية مطالبهم كما يفعل رب الأسرة بأعضاء أسرته.

الحمامات في بغداد:

كنت في العقد الثاني من عمري وكنت أفرح فرحا لا مزيد عليه حينما أذهب مع رفقائي لنستحم في نهر دجلة، ونهر دجلة في الصيف الحار حمام عام لأهل بغداد حيث تجد الصبيان وهم عراة يلعبون على شاطئيه تارة ويعومون في لجته أخرى. والرجال يستحمون به تاركين جحيم الحمامات بغداد.

والحمامات في بغداد يومذاك عبارة عن دهاليز مظلمة ماءها حار لا يستطيع المستحم بها البقاء أكثر من نصف ساعة فيخرج منها متضايقا بل كان عدد منهم يغمى عليه من شدة الحر.

وفي حمام الفضل قلت بعد أن استحممت به وخرجت:

وحمام دخلت به صباحا	دخول ذوي الجرائم للجحيم
غسلت الجسم فيه بماء طهر	فكان جحيمه عين النعيم

والذين يدخلون الحمام من الموسرين والأغنياء لابد أن يقوم بواجبات غسلهم (دلاك) والدلاك رجل اتخذ غسل الأبدان مهنة له يقوم بواجبات المستحم أحسن قيام، فترى في يده الكيس المصنوع خصيصا للتدليك يمرره على الجلد ويستخرج منه فتيلا من الأوساخ .

ومن أشهر الحمامات في بغداد حمام (الباشا) وحمام(السراي) وهما في محلة الميدان وحمام (عيفان) وحمام (المالح) في محلة الفضل وحمام (كجو) بالجيم الفارسية وحمام (بنجه علي) بالباء الفارسية وحمام (الكمرك) في محلة باب الآغا وحمام (القاضي) وحمام (حيدر) في محلة رأس القرية وحمام (الشورجة)في سوق الشورجة وحمام (السيد) في

محلة سراج الدين وحمام (آل جميل) في محلة قنبر علي وحمام علـــي وحمام (تاجه)في محلة الحاج فتحي وحمام (الراعي) فـــي محلـــة رأس الساقية وحمام (عويد) في محلة الربعة وحمام (فضوة عرب) في محلـــة باب الشيخ وحمام (الجسر) في محلة رأس الجسر القديم بجانب الرصافة وحمام (أيوب) وحمام (شامي) وحمام (اليتيم) بـــالتصغير فـــي جـــانب الكرخ ، وهذه الحمامات أغلبها انقرضـــت وحلـــت مكانـــها حمامـــات عصرية منظمة تشتغل (بالغاز) النفط بعد أن كانت تلك الحمامات يحمى ماؤها (بالزبل) القاذورات المجموعة في اصطبـــلات الخيـــل والبغـــال والحمير.

الارواء وإسالة الماء :

لازال أهل بغداد يذكرون ما عانوه من قلة الماء قبل أن يتم ضـــخ الماء بواسطة المكائن على الرغم من أن نهر دجلـــة يخـــترق بغـــداد والسقائين الذين كانوا ينقلون الماء على ظهورهم وعلى ظهور الحمـــير في(القرب) جمع قربة وهي معمولة من جلد الغنم بعد دبغها.

والسقاء الذي يبيع الماء ينادي عند تجواله (هوي هي) ولم أدر مـــا معناهما ولدى التحري الدقيق علمت أنه يريد بهما(هذي هي) أي القربـــة المملوءة ماء وكان السقا ينقل الماء من شرائع جمع شريعة خاصة فـــي نهر دجلة.

ولم يكن الماء طاهرا ولا يعتنى بأمر نظافته وظلت بغداد تشـــرب تلك المياه الموبوئة إلى أن من الله عليها وبعث لها من ينقذها وفي ســـنة

١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م أيام الوالي سري باشا فقد أنشأ في ساحة(خانلاوند) النائبية اليوم بعد غرسها بالنخيل والأشجار حوضا كبيرا للماء لارواء الناس فأخذ سكان محلة الفضل وما جاورها من النساء يوفدن على ذلك الحوض ويأخذن منه الماء شاكرات الوالي سري باشا على عمله هذا.

فترى البيوت وفيها الأواني المعدة لحفظ الماء(حباب) جمع حب طافحة بالماء المعين، بعد الظمأ الشديد الذي كانت تعانيه تلك العوائل والمحلات النائية ولقد أصبحت شرفات الدور في الصيف وعلى حافاتها(تنك).

ولم يكن عمل الوالي المشار إليه مقتصرا على مشروع الماء فقد تعداه إلى ما هو أهم من ذلك إذ أصدر أوامره بإعطاء الأرامل والأيتام ما تستحقه من المخصصات الشاهانية مما دفع المرحوم العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب أن يثني على أعمال الوالي بقصيدة وهي:

ياوالي الزوراء دمت وزيرها	إذ قد شرحت من الأنام صدورها
وبقيت مأوى للعفاة بأسرها	إذ قد جبرت من الضعاف كسيرها
ومنحتهم منك العطاء تفضلا	فاستكملت في ذا الزمان شهورها
ولطالما لبثت فلم ينتج لها	ألا وعمرك ما أهاج زفيرها
تغدو وتذهب بالرجاء ولم يكن	مما يسر مرادها وجورها
حتى أتيت وللعدالة حاملا	فهناك قد ساوى الغني فقيرها
سعدت أناس في حماك مقيلهم	نعم الهصور إذا دعوك هصورها
هذي العدالة لأعدمتك منصفا	تسقي العطاش إذا أتوك نميرها
أما النفوس لمثل ذاتك ترتجي	لتكون في وقت الاياس بشيرها

أني لاشكر عن لسان أرامـــل وجدتك يا عين الزمان نصيرهـا
لا زلت يا بدر السعادة ساطعـا لتشاهد الزوراء منك مشيرهـــا

وفي سنة ١٣٢٥هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م أيام الوالـي حـازم بـك أنشئت ماكنة إسالة الماء في بغداد بواسطة مضخة نصبت في شـريعة الميدان واجري الماء بواسطة أنابيب وكانت أجور الماء الشهرية لكـل دار شيء زهيد وهي عشرة قروش صحيحة تساوي اليوم مئـة فلـس وبهذا ارتاحت بغداد من عناء ألارواء ونجت الجوامع والحمامات مـن مياه الآبار المالحة، ولقد كان جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وجـامع الشيخ عمر السهروردي قبل مشروع إسالة الماء يجهز لهما الماء مـن ساقية يجري فيها بواسطة(كرد) الأول نصب في شريعة الشيخ والثـاني في شريعة الميدان فالكرد يصب الماء بواسطة(دلو) في حوض اعد لـه فيذهب الماء بالساقية المحفورة تحت الأرض والمزفتة تزفيتاً متقنا.

وقد سميت محلة رأس الساقية نسبة إلى تلك الساقية الممتدة من نهر دجلة إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، أما ارواء البساتين والحدائق المحيطة ببغداد فكانت تسقى بواسطة(النواعير) جمع ناعور وتسـحبها الخيول والبغال.

ماكنة الثلج:

وفي سنة ١٢٩٩هـ يقابلها سنة ١٨٨١م أسست في بغداد ماكنة ثلج ونصبت في شريعة الميدان ولم يكن ذلك الثلج كالثلج الذي عندنا اليوم وإنما كان شبه الزجاج السميك(جام) ويوضع داخل(التبن)علف الحيوانات خشية ذوبانه ويباع بالوزن الكيلو بقرش صاغ.

المواد الغذائية وأسعارها:

كانت بغداد في العهد الغابر لا تعرف السوق السوداء وهي بعيدة كل البعد عن الغلاء والتلاعب بالأسعار لأن في بعض السنين تكون الأمطار وحدها كافية لانتاج محصول عظيم من الحنطة والشعير والأعشاب والأوراد الطبيعية لتكسي الأرض العراقية حللاً سندسية لإعاشة ملايين من المواشي كالأغنام وغيرها، وفي سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي محمد زكي باشا عم الرخاء في جميع أنحاء العراق وبضمنه بغداد فكان رخاءا منقطع النظير حتى بلغ سعر مائة كيلو الحنطة(الداوودية) مائة قرش رايج وحنطة(القنطرة) التي تجلب(بالكلاك) جمع كلك تسعين قرش رايج والحنطة التي تسمى(عراكية) أي عراقية بثمانين قرش رايج، ولم يكن في ذلك العهد آلات(مكائن) تقوم بواجبات الطحن كما هو اليوم وإنما كانت بواسطة(المدر) جمع مدار وفي البيت(رحى) جمع رحاة وأهل بغداد يسمونها(رحية) أو(رحا) ومن النادر أن تشاهد بيتا خاليا من هذه الآلة.

أما الرز فهو متيسر بجميع أنواعه ورخيص جدا وأهل بغداد يعبرون عنه باسم(تمن) ويقولون تمن عنبر وتمن شنبه وتمن نكازه بالكاف الفارسية ولم تكن يومذاك واسطة لهبش الرز كما هي اليوم وإنما كان الهبش بواسطة(الدنك) بالكاف الفارسية والدنك آلة خشبية اخترعها أهل بغداد لهبش الرز واتخذت سوق(البلانجية) بولنجية شارع المأمون اليوم لها ويسمى سوق الدنكية نسبة للدنك وقد كان هبش الرز في بيوت بواسطة(الجاون والميجنة) وهي آلة خشبية تعمل في سوق خاصة مزدحمة بالنجارين بجانب الكرخ.

أما أسعار اللحم فهو رخيص جدا فالكيلو الواحد يباع بسبعة قروش رايج وكذلك الخبز الفاخر يباع الكيلو بثلاثة قروش رايج والمثل المتعابر عند أهل بغداد عن الشيء الرخيص إذ يقال:(مثل خبز باب الآغا حار ومكسب ورخيص) واكثر أهل بغداد يخبزون في بيوتهم بواسطة التنور.

ومما يلفت النظر إلى المرأة التي تخبز في بيتها وهي مرتدية عبائتها دلالة على أنها تخشى دخول أحد أقربائها إلى الدار وهي سلفرة هذا هو حجاب المرأة البغدادية حتى في بيتها.

الأطعمة الناضجة:

كانت بغداد يومذاك تزخر بالأطعمة الناضجة وهي(الكباب) وأحسنه كباب (الصابونجية) في الميدان و(الباجة) وأحسنها باجة(طوبان) في جانب الكرخ محلة خضر الياس و(الكاهي) وأحسنه كاهي سوق الميدان

و(الهريسة) وأحسنها هريسة باب الآغا بسوق الصفارين و(الكبة) وأحسنها كبة الحاج مرعي في جانب الكرخ وتعمل هذه الكبة من العجين والسمن محشاة بالحم وتخبز في(التنور) وتباع في علبة من الخشب مع العلم أن هذه الكبة غير كبة البرغل المشهورة.

ومما يجدر الإشارة إليه بيع(الباجلة) باقلاء وقد تعود أهل بغداد أكلها صباحا وجعلها لهم غذاء لذلك تشاهد في بعض محلات بغداد نساء جالسات في قارعة الطريق وأمامهن قدور الباقلاء معدة للبيع.

وكنت أشاهد رجلا اسمه(مهدي بن صالح الكردي) يحمل فوق رأسه الباقلاء ويتجول في محلة الميدان وما جاورها وينادي باللغة التركية.(كل ون يهون جاي ابيجمه ون) والمعنى ـ تعالوا كلوا باقلاء لا تشربون شاي.

الأطعمة غير الناضجة:

ولا تخلو بغداد من الأطعمة غير الناضجة وهي السمك والبيض والجبن والقشطة (الكيمر) واللبن وكلها تباع بأسعار زهيدة لا تخطر على بال واللبن تجلبه نساء عربيات من ضواحي بغداد وقد تعودن الدخول إلى المدينة سافرات.

وما أحلى تلك المرأة التي فوق رأسها(علب) اللبن وما أظرفها وهي تتهادى بقامتها الممشوقة يسترها جلبات أسود تتصل أطرافه إلى الكعبين وقد شد في وسطها حزام حيك من الصوف الملون بالأصباغ ووجهها مستدير في سمرة مشوبة بحمرة خفيفة وعينان سوداوان في ذبول خلاب

تبسم عن أسنان صغيرة متساوية كأنها اللؤلؤ والوشم ظاهر على الذقن وتحت الأنف وقد زاد وجهها رونقاً وجمالاً.

وفي بغداد طعام لذيذ من نوع المخضرات ومن فصيلة المخللات أي(الطرشي) يقال له(كبر) يبيعه بائع يتجول في الطرق وينادي بنغم مطرب وكلام مسجع يجلب الأنظار،(أكلك منافع يا كبر، يكتل الدود ويحمر الخدود بمتن الزنود) هكذا ومع الأسف المرير أن هذا الطعام قد أهمل ولم نر له أثر يذكر في بغداد رغما على أن الطرشي لازال في بغداد وأحسنه طرشي (حنانش) في جانب الكرخ وخان جغان كما ذكرنا أصبح اليوم سوق تباع فيها الأقمشة الحريرية والقطنية والصوفية.

باب المعظم:

هذا الباب الشمالي لمدينة بغداد وقد سمي بهذا الاسم أخيراً دلالة على أن الطريق يؤدي إلى بلدة الأمام آبي حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه.

والذي يقف عند هذا الباب يرى بعض السابلة وبائعات اللبن والنخيل الباسقة تلوح على البعد ويرى(قشلة السواريه) ثكنة الخيالة واغلب أهل بغداد يسمونها(كرنتينة) والكرنتينة محلة الحجر الصحي لمكافحة الأمراض المعدية ثم يرى مستشفى الغرباء التي نوهنا عنها وعند باب المعظم يرى عربات اوعربائن جمع عربة من الخشب على غرار العربائن التي تسير بين بغداد والحلة وكربلاء وبعقوبة تسحبها

البغال تسير ذهابا وايابا بين بغداد وناحية الاعظمية والكراء أي الأجوة عن الرجل الواحد عشرة بارات.

معرض حيواني:

وعلى مقربة من باب المعظم شيد المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني داره وللموما أليه ولع شديد بتربية الخيول العربية الأصيلة وقد اتخذ لها اصطبلا واسعا أمام داره ووضعها فيه وهناك تشاهد الخيول من أنسال(الأعبيان) و(الحمداني) و(الكحيلة) و(الصقلاوية) وغيرها وجمع في الأصطبل بعض الحيوانات منها(السبع) و(الضبع) و(النمر) و(الفهد) و(الدب) و(الذئب) و(الثعلب) و(حمار الوحش) و(الإبل) وبعض الطيور منها(النسر) و(الصقر) و(النعامة) و(الطاوس) و(البط) على اختلاف أنواعه وجعل للحيوانات مروضا رجلا من الأرمن اسمه(كوستي) وفي عصر كل يوم خميس يسمح لأهل بغداد بالتفرج على هذا المعرض الحيواني الوحيد في بغداد.

منتزه الميدان:

وأول محلة تبتدئ من باب المعظم إلى داخل بغداد محلة الميدان ولم يكن الميدان حديثا في بغداد فقد ذكره أبو الفرج الأصفهاني في كتابه(الأغاني) حيث قال :ومن الضراب المحترفين(عمر الميداني) وهو رجل من أهل بغداد يسكن محلة الميدان معروف بها، وفيه يقول (ابن

الرقاق) سمعت(أبا حشيشة) و(المستورد) ومن قبلهما من الطنبوريين فما سمعت منهم غناء وأكثر تصرفا من(عمر الميداني)، فيستبان مما قالـــه الأصفهاني أن محلة الميدان قديمة في بغداد وتضم جملة من الموسيقيين . والميدان في العهد العثماني شارع واحد يمتد من باب المعظم حتـــى السوق المحاذية إلى جامع الأحمدية جامع الميدان.

وفي الميدان حديقة واسعة غرست سنة ١٣٠٧هـــ يقابلـها سـنة ١٨٨٩م أيام الوالي سري باشا ووضع وسطها حوض يحتـــوي علـى شذروان يقذف الماء بشكل يستهوي الأنظار فبواســطة هـذه الحديقـة والمقاهي الممتدة على جانب الطريق كان الميدان خير متنزه لأهل بغداد فضلا على انه كان فيه دوائر الحكومة السراي الحالية والقلعـــة ثكنـة المدفعية وكانت معروفة في العهد العباسي وفيها أثــر يســمى(القصـــر العباسي) والذي يلفت النظر إلى باب القلعة تمثالان لأسدين وضعا على يمين الباب وشماله.

طوب أبـو خزامة:

ويشاهد أمام باب القلعة مدفع كبير طوله أربعة أمتار وقطر فوهتـه نصف متر مصنوع من نحاس ويسمى(طوب أبي خزامة) وقـــد كتـب على ظهره مما يلي الفوهة ما نصه: (مما عمل برسم السلطان مرادخان بن السلطان أحمد خان) وعلى مؤخره أيضا ما نصـــه: (عمـل علـى كتخداى جنود بردركاه عالى سنة ١٠٤٧) أي عمل على الذي هو رئيس الجنود في باب السلطان، والشائع عند السذج من البغداديين والبغداديات

أن (طوب أبو خزامة) كان صاحب معجزات باهرة والمساعد الأكبر لفتح بغداد ونزعها من أيدي الفرس الذين استولوا على بغداد وأضحى بعد ذلك وليا من أولياء الله ومنهم من يزورونه ويتبركون به ويعقدون الخرق بسلسلة من الحديد التي تطوق قاعدته ويشعلون الشموع حوله كل ليلة جمعة وأكثر زواره من النساء والمرأة البغدادية تعتقد انه ولي قلما يخيب زواره.

فالقابلة الجدة تأتي بالمولود في يومه السابع وتدخله في فوهته وتخرجه ثلاث مرات تيمنا وتبركا، ومن عقائد الجدات والقابلات أن كل مولود يولد بعد مرور ثلاثة أيام لولادته تأتي الجدة القابلة وتأخذه وتضع على وجهه قطعة بيضاء من القماش القطني الخفيف وتذهب به أولا إلى الجامع ثم إلى(طوب أبو خزامة) وتدخله في فوهته ثلاث مرات ثم تذهب به إلى الصباغ الذي يصبغ الألبسة فتنقده من الدراهم فيضع الصباغ من جميع ما لديه من الألوان على تلك القطعة القطنية ومن هناك تذهب به إلى محل السجناء وإلى المدبغة التي يدبغ بها الجلود ثم إلى الثكنة العسكرية ثم إلى الجوبة محل بيع الأغنام فتتخطا بين الأغنام المنبثة في الجوبة، وبعد ذلك تعود إلى دار أهله وهي فرحة مسرورة.

ليلة النصف من شعبان:

ومن العوائد المتبعة عند أهل بغداد فانهم يقيمون في ليلة النصف من شهر شعبان في كل عام مهرجانا عاما ويسمونه(المحيا) ويسهرون طول الليل ويتجولون نساءا ورجالا في الطرق، فالرجال يقضون تلك

الليلة بالألعاب النارية وبتفجير المفرقعات وهي تحتوي على(الزنـــابير) جمع زنبور وهي لفائف من الــورق محشـــاة بالبـــارود ونـــوع آخـــر يسمى(طكاك) بالكاف الفارسية وهو من(البوناس) وتتأبط كل واحدة مـــن النساء(دونبك) تضرب به وتغني غناءا خاصا الليلة ومنه:

غمج علي يلنايمه		هي فرد هل ليلة

والعبارة محرفة الصحيح هي(همج علي يلنايمه) والمعنـــــى أيتـــها المرأة النائمة إن كان حصل عندك هم فليكن ذلك علي وتعالي معنا فـــان هذه الليلة ليلة وحيدة.ومن غناء تلك الليلة هو الأغنية المشهورة:

ماجينه ماجينه		حل الجيس وانطينه

وكثيرا ما تقع في تلك الليلة من جراء الألعاب النارية خسائر فـــي النفوس والأرواح والأموال وكلما حاولت الحكومة العثمانية منـــع تلـــك الألعاب النارية لم تفلح ولا زالت هذه العادة باقية إلى يومنا هذا.

ليالي رمضان المبارك:

رمضان شهر مبارك فضلة الله على ســـائر الشـــهور فمـــن أدرك حكمته وأحسن صيامه وقيامه ظفر بخير الدنيا والدين وحـــاز الرضـــا والقبول وخرج منه صحيح البدن نقي النفس منتفعا بحكمة الصيام ولهذا ترى المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يحتفلـــون بـــهذا الشـــهر المبارك احتفالات متنوعة تشمل النواحي الدينية والدنيوية وقد ابتدعـــوا بها مأكولات لذيذة ومشروبات طيبة خاصة لا تكاد الموائد تعرفـــها إلا في هذا الشهر المنعوت بالخيرات وفي هذا الشهر ترى النـــاس تتوافـــد

على الجوامع في بغداد لأداء الصلاة المفروضة مع صلاة التراويح وبعد الفراغ من الصلاة منهم من يذهب لزيارة أصدقائه في بيوتهم ومنهم من يذهب إلى القاهي المنبثة في بغداد يقضون الليل في الألعاب المسلية وأحسن لعبة عندهم في ليالي رمضان هي لعبة الصينية والمحيبس.

الصينية والمحيبس:

للبغداديين ولع شديد بلعبة الصينية والمحيبس تصغير محبس ولعبتها يستغرق وقتا طويلا وقد يكون إلى وقت إطلاق مدفع السحور ومن قواعد اللاعبين بهما مثلا أن أهل محلة الفضل يدعون أهل محلة باب الشيخ وبالعكس فيستقبلونهم بكل حفاوة وتقدير وقد يجوز إفساح المجال للمدعوين التغلب على الداعين في اللعب تقديرا لهم وبانتهائه يقدمون لهم حلويات رمضان ثم يودعونهم بمثل ما استقبلوا به وهذه الألعاب باقية إلى الآن في بغداد ولا تلعب هذه الألعاب إلا في شهر رمضان.

ألعاب القره كوز:

أما الأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة عشرة يذهبون في ليالي رمضان إلى مقهى(عزاوي) في الميدان لمشاهدة العاب(للقره كوز) وهذه الألعاب ليست حديثة العهد في ذلك الزمن فقد

وصفها العلامة(ابن خلكان) بحفلات المولد النبوي على عهد المظفر صاحب(أربيل) إذ قال: كان مظفر الدين يعقد لكل طبقة في قباب الزينة للاحتفال بهذا اليوم المبارك جوق من الأغاني وجوق من أرباب(الخيال) وقد علمنا انه(خيال الظل) وهو تماثيل من الورق يحركونها بخيوط من وراء ستار نسيج أبيض يشعلون من ورائه شموعا فترسم صورها على الستارة بحركاتها التي تمثل بلسان محركها رواية مضحكة يتخللها أشياء من الهزل والفكاهة، وفي خيال الظل قال الشاعر المناوي:

وجارية ممشوقة القد أقبلت ... بحسن كزهر الروض تحت كمام
إذا ما تغنت قلت شكوى صبابة ... وإن رقصت قلنا حباب مدام
ترينا خيال الظل والستر دونها ... فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلاعب بالأشخاص من خلف سترها ... كما لعبت أفعالها بأنام

وكانت هذه الألعاب معروفة إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى، وأعتقد أن بعض أهل بغداد الأحياء يتذكرون(راشد أفندي) وما كان يقوم به من هذه الألعاب، وهل العاب(خيال الظل) هذه كانت مقدمة لاختراع السينما التي هي اليوم منتشرة في الأنحاء.

أيام الأعياد:

وللأعياد البغدادية صفحات رائعة من صفحات الحياة فهي موضوع الاحترام والإجلال يؤدي الأهلون فيها ما تفرضه الشعائر الدينية والمناسبات العامة ويعظمونها ويظهرون فيها شعورهم نحوها ويتخذون

فيها وسيلة لاظهار البهجة والرضا والتحابب وأهم تلك الأعيـــاد(عيـــد الفطر) و(عيد الكبير) أي عيد الأضحى وبمناسبة حلول عيـــد الفطـــر تشاهد الناس في أيام العشرة الأخيرة من رمضان المبـــارك والأســـواق خاصة بهم لشراء الأقمشة الحريرية والأحذية الجديدة وترى أغلب أهـــل بغداد مشغولين بعمل أقراص(الكليجة) بالجيم الفارسية وهي خاصة بأهل العراق، وفي صباح يوم العيد يخرج النـــاس مبكريـــن مـــن بيوتـــهم مستصحبين أولادهم الصغار إلى الجامع وكان الآباء يعلمون أولادهـــم الصغار الصلاة ويحملونهم على أدائها قبل العاشرة من أعمارهم وكذلك النساء يخرجن إلى زيارة قبور أمواتهن وقرائه ما يتيسر من آي الذكـــر الحكيم والشائع في القراءات في العيد سورة(يسن)، وللأعيـــاد مواقـــف خاصة للأفراح منها ساحة الشيخ عمر الســـهروردي وســـاحة الشـــيخ معروف الكرخي وساحة الشيخ عبد القـــادر الكيلانـــي وتســـمى هـــذه الساحات(فرجة) وتنصب فيها الأراجيح ويقال لها مراجيـــح ودواليـــب الهواء لتسلية الصغار من الفتيان والفتيات، وتراهم يمتطون الحمير عند الذهاب إلى إحدى الساحات(الفرجة) وأحسن(فرجة) هي في ساحة الشيخ عمر السهروردي حيث تقام فيها من جهة الباب(الوسطاني) مسابقة خيل شبه (ريسز) وتسمى (منطرد) تقام تحت إشراف المرحوم محمد باشـــا الداغستاني وكان يعطي جائزة من خالص ماله إلى صاحب الحصان أو الفرس الفائز لقصب السبق وبعد الانتهاء من الســـباق تـــدق الطبـــول والمزامير ويرقصون رقص(الجوبي) ابتهاجا بيوم العيد السعيد وفرحـــا بهذا السباق.

حفلات المولد النبوي

كثيرا ما كان أهل بغداد يعتنون بإقامة حفلات ليلية تتلـــى خلالـــها تلاوة منقبـــة المولـــد النبـــوي الشـــريف وبـــاصطلاح أهـــل بغـــداد يسمونها(مولود) كما أن الحكومة كانت تقيم في كل عام من يوم الثـــاني عشر من شهر ربيع الأول بجامع الأمام أبي حنيفة احتفالا بيوم مولـــد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم وقد جعل ذلك عطلة رسمية لا زالت إلى الآن وتقوم دائرة الأوقاف بنفقات طبخ الأطعمة وتوزيعـــها على الفقراء كما أنها توزع الدراهم على الأرامل والأيتام ولا تخلو هـذه الحفلات في جميع أدوارها من ضروب الفرح والابتهاج والقارئ يتلـــو المنقبة النبوية المباركة على مسامع الناس وتشرع بطانته بتنزيلة مـــن النغم الذي يأتي به القارئ.

واحسن قارئ يجيد تلاوة المنقبة النبوية هو الشيخ عثمان الموصلي. ولد رحمه الله سنة ١٢٨١هـ وكان عالما فاضلا وموسيقيا مبدعا ولـــه نباهة وشهرة في استانبول ومصر وسوريا والعراق واليمن والحجـــاز وسائر الأقطار العربية التي ساح فيها وله عدة مؤلفات في الشعر والنثر كما كان وحيد عصره في التجويد وقد كادت تنقـــرض بموتـــه شـــعبة عظيمة من الفنون الجميلة الإسلامية في العراق.

إن هذا الشيخ الضرير قد بلغ من العمر عتيا وبقـــي علـــى ذلـــك أعجوبة الزمن في الذكاء والفطنة وله نوادر عديدة منها انـــه إذا ســـمع

صوت واحد عرف أوصافه من طول وقصر وبياض وسواد وحسن ودمامة وعرف عمره وكم له من السنين ومن تكلم معه فلن ينساه أبدا ولو بعد سنين وله القدح المعلى في الموسيقى وكان يضرب العود ويلعب(الدامة) و(الشطرنج) وهو أعمى وهذه إحدى العجائب وله يد في العلوم الفلكية يتفوق بها على علماء عصره، وكان حسن البداهة لطيف النوادر حاضر البديهة مع شراسة طبع وشدة في الأخلاق وقد نفاه الوالي تقي الدين باشا سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م إلى سيواس لأنه دعا في حفلة لسلطان العجم على رؤوس الأشهاد وهو عثماني وبعد منفاه ذهب إلى استانبول وقد ذهب أليها مرتين نصب في واحدة معلما للموسيقى في مدارس استانبول وذهب ألي مصر وتعلم القراءات العشر وطبع ديوان(الفاروقي) وأحبه المصريون وذاع أسمه وطبع عدة قصائد مخمسه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ولما عاد إلى بغداد عكف إلى ما كان عليه، وقد كانت بطانته مؤلفة من أناس اشتهروا بإجادة(التنازيل) ويقال لهم(شغالة) وفي طليعتهم المرحوم عبد الرزاق القبانجي والد الأستاذ محمد القبانجي والمرحوم محمد علي خيول والد المغني حسن خيوكة والمرحوم رشيد أبو ندر والمرحومين شهاب وأحمد ولي شعبان والمرحوم محمود الملقب(ابن الطحانة). وظل ملا عثمان يشنف آذان مستمعيه بتنازيله المبدعة ويثلج صدورهم بسيره وأحاديثه إلى عام الثورة العراقية سنة ١٩٢٠م وأخذ يخطب بالناس في جامع الحيدرخانة ويحثهم على المطالبة بالاستقلال، وفي عام ١٣٤١هـ لبى نداء ربه وقضى نحبه وقد أرخ وفاته الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيدة عدد فيها مناقبه ومزاياه الحميدة وهي:

رحلت والصدر بالا يمان مـــــلآن   في ذمة الله شيخ العلم عثمـــــان
قضيت نحبا ولم تبلغ منى أمـــــل   في النفس إذ شفها وجـد وأشجان
وغبت عنا وفي الأحشاء نار أسى   وعن عيون الورى ما غاب إنسان
كنت الوحيد بما أوتيت من ســـدد   فقصرت عنك فـــي الآداب أقران
علـــى المنابر تدعو أمـــة عجزت   عـــن شـــرح قصتها شيب وشبان
كأنما القوم قـــد ماتـــــت عواطفهم   حيث المنابـــر بعد اليـــوم عيدان
كملت عهد شروط المجد فـــي أدب   جم ولـــم يبق في الآداب نقصان
وبعدك المولـــد اختلـــت قواعـــده   وبات طرف هـــداه وهو وسنان
يا من على الدين قد جلت مصيبته   عليك مولد منشي الديـــن حزنان
بغداد بعدك يــــا عثمان شاكـــية   خسرانها وممات العلـــم خسران
كـــنت المبرز فـــي ميدان صنعته   وللصناعـــة والآداب ميـــــــدان
بـــــك المحافـــل والتجويد حافلـــة   تصغي إليـــك من الأشـــهاد آذان
قد عشت تسعين والأفكار منك لها   أدراك كهـــل لـــه ديـــن وأيمـــان
وهبت لله عمـــــرا مـــنك شيعـــه   ذكـــر وصـــوم وتسبيـــح وقرآن
عزم وحـــلم وآداب ومـــعرفــــة   ونغمة وأهازيـــج والحــــــان
آهـــل العلوم وأرباب الفنون همو   صحف وأنت لتلك الصحف عنوان
فقـــه ونحو وتأليف ولـــمع حجـــا   ونظـــم شعر بـــه العليـــاء تزدان
مدحـــت احمد طه المصطفى مدحا   كأنما أنت يا(عثمان) حســـــــان
ورحت في حلل الرضوان مندرجا   نادى لك الفوز في الجنات رضوان
في روضة الخلد قد أمسى نؤرخه   مع ابن عفاف وسط الورد عثمان

١٣٤١هـ

مجالس الفواتح والتعازي:

للبغداديين عادات خاصة في حياتهم الاجتماعية وتقاليدهم الدينية فقد ظلوا متمسكين بها منذ مئات السنين ولم تزل متغلغلة في أعماق نفوسهم لا يقوى تقادم الزمن على تغيير أهون القواعد منها ومن تلك العـــادات الطيبة إقامة مجالس(الفاتحة) على أرواح الأموات في البيوت وأحيانا في الجوامع لمدة ثلاثة أيام بلياليها يتلى فيها القرآن الكريم من قبل حفـــاظ مجودين وتنحر فيها الذبائح وتطبخ فيها الأطعمة وتوزع على الفقـــراء والمساكين.

وعند أخواتنا الجعفرية مثل تلك المجالس والتعازي فـــي البيــوت و(الحسينيات) وهي الحسينية مفرد الحسينيات وتشيد تبركا باسم ســـيدنا الحسين الشهيد ابن سيدنا علي بن أبي طالب عليهما السلام وتنشد فيـــها القصائد أثناء إقامة المآتم ولم تفتني المساهمة في هذا الحفل المحزن فقد ساعدني الحظ على نظم عدة قصائد منها قصيدة(ذكـــرى عاشـــوراء) وهي:

أي رزء بكت عليه السمـــاء	ومصاب قد دام فيه الرثـــاء
ذاك رزء وذاك خطب عظيم	فقدت ابنها به الزهــــراء
فقدته بكربلا وهي اليـــوم	عليــه حزينة ثكـــــــلاء
جمعوا رأيهم إلى الحرب لما	لعبت في عقولهم صهبـــاء
واستعانوا بخائنين لئـــــام	رب قوم خانوا وهم نصراء
قابلوه بأوجه وقلـــــــوب	شأنها الغدر ملؤها البغضاء

والتفتهم من آل هاشم شوس حين غصت بخيلها الهيجاء
فتية في الوغى بهم كل ليث طلق الوجه واضح وضـاء
ملئوا واسع الفضا بزئـيـر منه دكت لهولها الأرجـاء
بذلوا النفس والنفيس بعـزم فلتلك النفوس روحـي الفداء
وقضوا واجب الدفاع إلى أن نفذ الحكم فيهـا والقضـاء
ظهروا أنجما وغابوا بدورا بينهم طلعة الحسين ذكـاء
ظل ملقى لـه التراب فراش وصريعـا له القتام غطاء
يرمق الطرف ماله من معين غير أطفالـه وهم ضعفاء
وعلى السجاد أضـحى عليلا ومريضا أعيـاه ذاك الداء
إن شر الأفعال فعل طغـاة بيني المصطفى البشير أساؤوا
ما رعوا ذمة بكشف نقـاب من نساء قد ضمهن الخبـاء
نسوة للشام سيقت سبايـا ومن العار أن تساق النسـاء
صرخت زينب بصوت وقالت ويلكم هكذا يكون الجـزاء
فلماذا منعتم الماء عنـا وأبونا لديه ثم المـاء
لهف نفسي على اسود عريـن ورجال أعضاءهم أشـلاء
لهف نفسي على بنات خـدور زانهن العفاف بل والحيـاء
لهف قلبي على خيام تداعـت حول أستارها أريقت دمـاء
لهف قلبي على بدور أضاءت ثم غابت فطاب فيها الرثـاء
بعد رزء الحسين بالله قل لـي أي رزء بكت عليه السمـاء

واقدم حسينية في بغداد حسينية آل السيد حيدر في محلة الدهانة شيدت بعد أن كانت(دواخانة) لهم سنة ١٣٤١هـ وقد أرخ عام بنائها السيد صادق الاعرجي بقوله:

ذي جنة طابت مغارسها	فلذا روائح طيبها نفحت
وحديقة للعلم زاهرة	للواردين حياضها طفحت
عبد الكريم الطهر أسسها	وبما حوته كفه سمحت
رام التجارة عند بارئه	فزكت تجارته بما ربحت
مذ يوم مولد جده كملت	نادى المؤرخ جنة فتحت
	١٣٤١هـ

وهي إلى الآن تقام فيها التعازي. وأشهر قراء التعازي يومذاك المرحوم السيد عباس الموسوي والمرحوم الشيخ عباس قوزي والمرحوم الشيخ كاظم سبتي وينعت على الواحد من هؤلاء بـ(روضخون).

وفي محلة الشيخ بشار بالكرخ حسينية أخرى وهي الدار التي استولى عليها (البهائيون) البابيون ولكن بنتيجة إقامة الدعوى والمرافعة في المحاكم رجعت إلى أصحابها حيث تبرعوا بها وجعلوها وقفا خيريا وهي إلى الآن تقام فيها الصلاة والتعازي هذا وأن التعازي تقام في العادة المتبعة في شهر رمضان المبارك والأيام العشرة الأولى من المحرم من كل عام وفي يوم العاشر من المحرم تقام حفلة كبرى في صحن الأمام موسى الكاظم عليه السلام تمثل فيها واقعة الطف تسير

فيها المواكب وبضمنها تماثيل جثث القتلى و(المحامل) جمع محمل فيها النساء والأطفال تخترق الأسواق والمحاليل وأهل بغداد يعبرون عن ذلك اليوم(الطبك) بالكاف الفارسية وكثيرا ما حاولت الحكومة العثمانية منع إقامة هذه الحفلات فلم تفلح وفي أيام الوالي مدحت باشا صدر بيان نشرته جريدة الزوراء بالعدد ٤١ الصادر في ٤ المحرم سنة ١٢٨٦هـ في منعها واتخذت التجاهر به ازدراء وتشويشا على الناس وهددت من يقوم بأي عمل مخالف بالعقوبات.

القراء والمقرؤون المجودون

قبل مائة سنة اتخذ الولاة والأمراء وأهل السعة في بغداد قـــراءآت القرآن في بيوتهم إلى نزوح العثمانيين عن بغداد وعلـــى ضـــوء هــذا الاهتمام نبغ في ذلك الوقت قراء كثيرون.منهم المقري صاحب الصوت الحسن:

الخواجة محمد سعيد:

كان هذا المقرى يقرأ في زاوية(الخضر) المعروفـــة الآن بمســـجد خضر الياس ولحسن صوته وأدائه في القراءة، كـــان المســـجد يغـــص بالمصلين وكان يعلم القرآن في جامع(الازبك) قرب باب المعظم وقـــد تخرج عليه جمع كبير من الحفاظ وبقى يدرس وعليه إقبال عظيم إلـــى أن توفى سنة ١٢٧٥هــ يقابلها سنة ١٨٤١م أيام الوالي علي رضا باشا ودفن في جامع(الازبك) وقبره ظاهر فيه.

الحاج محمد كنبار:

كان شجي الصوت حسن الأداء متقنا وقد تخرج عليه كثيرون مـــن أرباب القراءة وقد أختاره علي رضا باشا الوالي لقراءة القـــرآن فـــي

حرمه أيام رمضان المبارك وتوفى غريقا في نهر ديالى سنة ١٢٧٥هـ يقابلها سنة ١٨٥٨م أيام الوالي السردار عمر باشا.

الحاج أحمد الأفغاني:

كان يدرس علم القرآن وقراءته في الحضرة الكيلانية وتوفي سنة يقابلها سنة ١٨٥٢م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة الغزالي.

ملا خليل المظفر:

تخرج على ملا أحمد الأفغاني وعلى الحاج محمد كنبار وكان شجي الصوت متقن الأداء يدرس علم التجويد في جامع حسين باشا وله وظيفة إمام في جامع الشيخ سراج الدين توفي سنة ١٣٠٩هـ يقابلها سنة ١٨٩١م أيام الوالي الحاج حسن باشا ودفن في جامع الشيخ سراج الدين في محلة الصدرية.

الشيخ عبد الرزاق الحلاوية:

كان فقيها حسن الصوت متقن الأداء اجتمع فيه العلم والقراءة توفي سنة ١٢٧٢هـ يقابلها سنة ١٨٥٥م أيام الوالي محمد رشيد الكوزلكي ودفن في مقبرة الغزالي.

الشيخ إسماعيل أمام الباشا:

والمراد بالباشا سليمان باشا الكبير والي بغداد وكان حسن الأداء توفي سنة ١٢٤١هـ أيام الوالي داود باشا ودفن في الاعظمية.

الحاج عيسى روحي:

كان مديرا لمعارف بغداد وكان مدرسا في جامع الحيدر خانة وكان متقنا شجي الصوت توفي سنة ١٣٣٧هـ يقابلها سنة ١٩١٩م بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

السيد جعفر الواعظ:

كان يدرس علوم القرآن والقراءات السبع في جامع(نازندة خاتون) في محلة الحيدرخانة وهو من العلماء الأعلام وقد تخرج على الملا خليل المظفر توفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها ١٩٠٢م أيام الوالي عبد الوهاب باشا.

الشيخ عبد السلام:

كان إماما وخطيبا في جامع الشيخ سراج الدين وكان حافظا للقرآن الكريم وقد تخرج على الملا خليل المظفر وتوفي سنة ١٣٥٥هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

الملا عمر خطاب الخضيري:

تخرج على الملا خليل المظفر وأجازه إجازة عامة في القــــراءات السبع وقد كف بصره أخيرا، توفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها سـنة ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك ودفن قرب مقام الشيخ عبد القادر الكيلانـــي باتصال سور بغداد.

الشيخ عثمان الموصلي:

كان هذا الشيخ علامة في علم التجويد وعلم الموسيقى وكان شـــجي الصوت وقد تولى تدريس علم التجويد والقراءات الســـبع فـــي جـامع الخفافين، توفي سنة ١٣٤١ بعد احتلال بغـــداد مـــن قبـل الجيـوش البريطانية.

الشيخ حسين الافريدوني:

كان إماما وخطيبا في جامع الحاج فتحي وقد تخرج علــــى المـــلا خليل المظفر وأجازه إجازة عامـــة بـــالقراءات الســـبع، توفـــي ســـنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا.

السيد محمود حموش الموصلي:

كان إماما في جامع مرجان وكان حسن الصوت ومشهورا في الأداء وقد اختاره(البرزنلي) لقراءة القرآن المجيد في داره أيام رمضان في كل سنة توفي سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٦م أيام الوالي خليل باشا.

الشيخ عبد الله الوسواسي الموصلي:

كان مدرسا في جامع الخلفاء في بغداد وكان من أرباب القراءات السبع والصوت الجميل توفي سنة ١٣٣٧هـ بعد احتلال بغداد بيد الجيش البريطاني.

الشيخ عبد المجيد ملوكي:

كان مدرسا في جامع الحاج أمين في محلة رأس القرية وإماما وخطيبا في جامع الخاصكي وقد أجيز من قبل الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها ١٩٠٢م أيام الوالي نامق باشا الصغير.

الشيخ إبراهيم الرومي:

كان حسن الصوت وقد تخرج على الملا خليل المظفر.توفي في بغداد سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م أيام الوالي خليل باشا.

الشيخ محمد أمين الأنصاري:

كان مديرا لمكتب الصنائع وكان شجي الصوت يجيــــد القـــراءات السبع وكان يقرأ القرآن في أيام رمضان في ديوان رجب باشـــا والـــي بغداد، توفي سنة ١٣٥٧هــ بعد احتــــلال بغـــداد مـــن قبـــل الجيـــش البريطاني.

السيد أحمد المشهور بابن(جمانة):

كان حافظا للقرآن الكريم وكان حسن الأداء والترتيل تخرج علـــى الملا خليل المظفر، توفي سنة ١٩٥٤هــ بعد احتلال بغداد.

ملا محمد الحاج فليح:

كان شيخا لقراء الحضرة الكيلانية وكان حافظا للقرآن أبح الصوت حسن الأداء والترتيل تخرج على الملا خليـــل المظفـــر، توفـــي ســـنة ١٣٣٠هــ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي حسين جلال بك.

الحافظ الشيخ عبد الوهاب:

كان شيخا لقراء تكية الخالدية وكان حسن الأداء وهو والد الحـــاج محمود عبد الوهاب وقد تخرج على المـــلا خليـــل المظفـــر وأجـــازه

بالقراءات السبع، توفي سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

ملا عبد الوهاب الحافظ:

كان حافظا للقرآن حسن الأداء والترتيل وهو والد الزعيم المتقاعد شاكر عبد الوهاب وقد تخرج على الملا خليل المظفر ، توفي سنة ١٣٣٧هـ بعد احتلال بغداد.

ملا علي الدرويش:

كان إماما لجامع آل جميل في محلة قنبر علي، حسن الصوت والأداء تخرج على الشيخ عبد السلام وتوفي سنة ١٣٦٢هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد محمد صالح:

كان خطيبا لجامع قنبر علي وكان حسن الصوت وشجيه متقنا للقراءة والأداء، توفي سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني.

الحاج محيي الدين مكي:

كان إماما لمسجد الشيخ صدر الدين وقد تخرج على المــــلا عمـــر الخضيري والشيخ عبد السلام، توفي سنة ١٣٦٢هـ بعد احتلال بغـــداد من قبل الجيش البريطاني.

السيد إسماعيل السيد إبراهيم الراوي:

كان حسن الصوت يجيد القراءات السبع وقد تخرج على الشيخ عبد السلام توفي سنة ١٣٤٠هـ بعد احتـــلال بغـــداد مـــن قبـــل الجيـــش البريطاني.

ملا جاسم الضرير:

هو من أهالي الجانب الغربي (الكرخ) وكان حافظا للقرآن حســــن الصوت والأداء توفي سنة ١٣٦٥هـ بعد احتلال بغداد، وقد بقي مــــن هذه الطبقة الأخيرة الأستاذان الحاج محمود عبد الوهاب وحافظ مـــهدي وهما اللذان حفظا القرآن والقراءة البغدادية بلهجة خاصـــة مـــع أتقـــان الأداء ومعرفة المقامات العراقية وقد أمتازا على سائر القراء المحدثيـــن في بغداد.

حفلات الأعراس:

كانت بغداد في العهد الذي نؤرخ فيه تقام فيها فعلا حفلات أعـراس في كل حي من أحيائها بمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية لما كـــان للزواج من أهمية كبرى ومنافع شاملة وقبل الشروع بهذه الاحتفـــالات تذهب أم العريس للتحري على بنت تكون عروسا لابنها وبعد التحـــري والسؤال الدقيق عن البنت والتأكد تتم الخطوبة وتحصل على الموافقـــة من الجانبين وتعطي الهدية المعتادة ويقال لها(نيشان) وهي قطعة مـــن الذهب والأغلب تكون(محبس) أي خاتم تحلى به البنت المخطوبة ويـوم أجراء مراسيم العقد(أي المهر)يدعون الأقرباء والأصدقاء ووجوه المحلة للاشتراك فيه وبعد أن يكمل النصاب يتقدم أمام المحلة بأجراء صيغـــة العقد بالاشتراك مع مختاري المحلـــة ثـم تـوزع علــى الحــاضرين أقداح(الشربات) ومناديل السكر وينصرف المدعوون بعد تهنئـــة والــد العريس بزواج ولده الذي حتمت عليه التقاليد والعادات بعدم حضـــوره في حفلة العقد وقبل زفاف العروس إلى بيت العريس تشاهد جماعة مـن الحمالين يحملون جهاز العرس يتقدمهم وفد العريس ويسمى ذلك(حملــة) وبعد أيام تزف العروس بموكب من النساء إلى بيت العريس بالـــهتاف والزغاريد(هلاهل) تمشيا على العادات المتبعة.

وفي يوم الخميس ليلة الجمعة يأتي موكب العريس تحفه جماعة من أصدقائه وعارفيه وأبناء محلته تتقدمـــهم(الهوســة الشــعبية) يـرددون فيها(شايف خير أو مستاهلها) و(زوجناه واخلصنا منه) ويعقب الهوســة جماعة يحملون عشرات(الفوانيس) جمع فانوس أي مصباح ثم ضـــاربو

الدمام والطبلة ويبدأ هذا الموكب من المسجد(الجامع) الذي أدى العريس فيه صلاة العشاء ويحف العريس(سردوجان) واحد عن يمينه والأخر عن شماله وقد شحذ فوق رأس كل واحد منهم سيف للمحافظة وهكذا حتى يصل الموكب إلى بيت العريس وهناك يودع العريس الذين شاركوه بهذا الاحتفال فيدخل إلى الحياة الجديدة من باب ما دخله من قبل.

حفلات الختان:

كان الوجهاء والمؤسرون في بغداد يومذاك يقيمون حفلات أفراح بمناسبة ختان أولادهم وتسمى(زفة أم سلاح) يتجولون فيها على ظهور الخيل ويشد على الخيل التي يمتطونها الأولاد الذين يختتنون أزهى الحلي من الذهب والفضة وفي اليوم المعين لاقامة الحفلة يجتمع الناس في ساحة باب المعظم أو ساحة(خانلاوند) قبل بنائها ثم يشرعون بالتجوال بالطرق الرئيسية في بغداد وهم على ظهور الخيل معتقلين الرماح والسيوف يتقدمهم(الدمامات) والموسيقى والطبول والمزامير رافعين الأعلام الملونة. وما كان يطيب لهم ألا أن يملاوا أجواء بغداد بالأهازيج الشعبية بأصواتهم المملوءة فرحا وسرورا وبعد تجوالهم يرجعون إلى البيت صاحب الحفلة يهنئونه بختان أولاده ويتناولون طعام الغداء عنده.

لعبة الساس:

ومن متممات أعراسهم وأفراحهم كانوا يقيمــون حفــلات أخــرى نهارية تقام عصر كل يوم لمدة سبعة أيام تجري فيها لعبة شعبية يقــال لها(ساس) وهذه اللعبة قديمة عرفت في بغداد من زمن قديم وهي رمــز الشجاعة والفروسية. أما كيفية اللعب فبعد أن تجتمع الناس فــي بيــت صاحب العرس أو الختان والطبول تضرب والمزامير تعزف، وأشــهر عازف على المزمار يومذاك خضير أبن كصب والد الأستاذ إســماعيل كصب المحرر بجريدة الزمان وعلى صوت ضرب الطبل يبرز رجلان بيد كل واحد منهما سيف مسلول يلعبان به على وقع الطبــل مراعيــان الوحدة الموسيقية إلى أن يحمي الوطيس وهناك يهجم الواحد على الأخر فيتضاربان بالسيوف ويتقيان الضربات بدرقة بيد كــل واحــد منــهما والدرقة معلومة هي آلة من آلات الحرب القديمة وتسمى جنــة وبعــد الفراغ من اللعب يتصافحان اللاعبان ويتعانقان لئلا تبقى حزازة بينهما، ومع الأسف المرير أن هذه اللعبة تركت وأهملت بل بادت ولم يبقى لــها أثر يذكر في بغداد.

مجالس الأنس والطرب

ما أحلى ليالي الأنس والطرب وأن كانت مقتصرة في بغداد يومذاك على السباحة في نهر دجلة بواسطة القوارب البلام جمع البلم لاسيما إذا كانت الليالي مقمرة والذهاب إلى(الجزرة) الكاويرية وعلى الجلوس في مزارع الباقلاء(باجلة) وأحسن مزارع للباقلاء هي أرض(المميز) وتقع في طريق الاعظمية وأصبحت الآن دوراً ومدارس، والجلوس في مزارع الباقلاء خاص بأناس تعودوا أحتساء الخمر بها أذ تشاهدهم منبثين بها منتشرين في جوانبها وجلوسهم عصر كل يوم الوقت العشاء ولا تخلو هذه المجتمعات من غناء المقام العراقي وأغلبه مقام(البهرزاوي) وكثيرا ما كان المغني العراقي أحمد زيدان يجلس مع أصدقائه في هذه المزارع رافعا عقيرته يغني والناس يستمعون إليه.

المقام العراقي والمغنيين:

المقامات العراقية تقسم إلى خمسة فصول تغنى تباعاً: الفصل الأول يسمى(فصل البيات) والثاني(فصل الحجاز) والثالث(فصل الرست) والرابع(فصل النوى) والخامس(فصل الحسيني):

أما الفصل الأول وهو(فصل البيات) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (بيات) و(ناري) و(طاهر) و(محمودي) و(سيكاه) و(مخــالف) و(حليلاوي).

الفصل الثاني وهو(فصل الحجاز) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (حجاز ديوان) و(قوريات) و(عريبون عجـــم) و(عريبـــون عرب) و(إبراهيمي) و(حديدي).

الفصل الثالث وهو(فصل الرست) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (رست) و(منصوري) و(حجاز آجغ) و(جبوري) و(خنابـــات) و(شرقي).

الفصل الرابع وهو(فصل النوى) يتكون من المقامات الآتية:

أولا: (نوى) و(مسجين) و(عجم) و(صبا) و(راشدي) و(مدمي).

الفصل الخامس وهو(فصل الحسيني) ويتكون من المقامات الآتية:

أولا: (حسيني) و(دشت) و(أرواح) و(أوج) و(حكيمي) و(بنجكاه).

هذه هي المقامات العراقية نثبتها ما عدا(الشعب) و(البردات) التـــي تدخل ضمن هذه المقامات. وغير مستحســـن أن تغنـــى علـــى غـــير آلتي(الكمان والسنطور). ولا يغرب عن البال أن كثيراً مـــن المغنيـــن العراقيين اشتهروا بغناء المقامات العراقية أولهم(شلتاغ) و(أبو حميـــد) وقد نبغ بعدهما المغني(أحمد زيدان) فكان نادرة زمانه.وعاصر المغنـــي أحمد زيدان مغنون كثيرون منهم خليل الملقب(رباز) و(صالح أبو دمير) و(روبيل رجوان) و(رحمن نفطار) (وحســـن الشـــكرجي) و(ساســـون زعرور) و(ابن الشيخ الليل)(وشماي) و(حسقيل بيبي) و(سيد جميل) .

الجالغي البغدادي:

يتألف(جالغي) بغداد وهو الجوق الموسيقي البغدادي من فرقتين تحتوي على(الكمان) و(السنطور) و(دف) و(دنبك).

الفرقة الأولى: تشتغل ليلا في مقهى(المميز) في رأس الجسر القديم وقوامها كل من(القارئ) أي المغني المرحوم(أحمد زيدان) و(نسيم بصون) عازف على(الكمان) و(شاؤل بصون)عازف على(السنطور) و(حسقيل شاؤل) ضارب على(الدف) و(شاؤل زنكي) ضارب على(الدنبك).

والفرقة الثانية تشتغل عصر كل يوم في مقهى سبع بالميدان وقوامها كل من(القارئ) أي المغني(حسن الشكرجي) مرة و(السيد جميل) مرة أخرى. و(صالح شميل) عازف على(الكمان) و(حوكي بتو) ضارب على(السنطور) و(يوسف حمو) ضارب على(الدف) و(عبودي امعاطو) ضارب على (الدنبك).

وعندما يغني المغني تشاهد الجالسين وعلى رؤوسهم الطير وكلهم آذان صاغية لاستماع ما يلقيه أولئك المغنون الذين حفظوا ألحان الغناء بالروايات والتدريس الشفوي المستمر.

البستات البغدادية القديمة:

ولم تكن المقامات العراقية تغنى يومذاك وحدها في(جالغي بغداد) بل يتخللها أغاني البستات عند نهاية كل مقام الذي يغني، ويأبىالقارئ

أن يغني البسته مع المغنين ومن أشهر تلك الأغاني أغنية(ما دار حسنه ابشمر) و(لابس ضريبي) و(امسلم ولا امفارج هله) و(كمره وربيعه) و(لولا الشعر ينباع) و(يلزارع البزرنكوش) و(حول خيال الشكره) وغيرها ومن الأغاني التركية أغنية(عربي فلاهي) أي فلاحي وأغنية(نريه كدرسن يا بيك) بمعنى أين ذاهب يا بيك وغيرها وهذه الأغاني بادت وكأنها لم تكن.

رشيد القوندرجي:

وبعد ممات اولئك الذين كانوا يشنفون آذان المستمعين بأغانيهم لم يمت المقام العراقي فقد قيض الله له من يعتزون به ويجيدون غناءه ومنهم(رشيد القوندرجي) فقد كان حسن الأداء ومن فطاحل المغنين المشهورين في بغداد الذين شهد لهم المقام العراقي. أخذ رشيد القوندراجي غناء المقام العراقي عن الأستاذ المرحوم أحمد زيدان وقبض على زمام أصوله بيد من حديد فيستطيع أن يسمعك المقام العراقي من الفه إلى يائه بدون تكلف ويشهد له غناؤه المسجل بالاسطوانات الذي نسمعه بين الآونة والأخرى والذي سيبقى خالدا خلود الدهر. توفي في شهر صفر س١٣٦٤هـ يقابلها سنة ١٩٤٥م.

يوسف حوريش:

وعلى ضوء كتابة هذه الأسطر يجب أن لا ننسى المغني(يوسف حوريش) الذي لم يجعل الغناء مهنة له إلا في أيامه الأخيرة وهو مغني مجيد أخذ الغناء عن أحمد زيدان وعن روبيل رجوان وأتقن أداءه حتى أصبح من المغنين المعدودين اشتهر بمقام واحد هو مقام(الخنابات) بعد أن سجله باسطوانة لاقت إقبالا عظيما عند هواة المقام العراقي. ومن سوء حظه لم يرق له المقام في بغداد بل أسقط جنسيته العراقية وذهب مع من ذهب إلى فلسطين وفيه يصح قول القائل:

ما زاد حوريش في الإسلام خردلة ولا النصارى لهم شغل بحوريش

نجم الشيخلي:

كان مغنيا جهوري الصوت وفي أول أمره انخرط مع زمرة الشغالة في حفلات المنقبة النبوية الشريفة وقد أخذ يصول ويجول فيها مستعينا بصوته حتى اشتهر وبعد احتلال بغداد اعتلى كرسي الغناء في مقهى عزاوي بالميدان فكان الإقبال عليه منقطع النظير وحينما وردت ماكنة تسجيل الأسطوانات على الحاكي إلى بغداد كان في طليعة من دعوا إليها وسجلت له اسطوانات عديدة لا زلنا نسمعها بين الآونة والأخرى.

محمد القبانجي:

لم تعرف بغداد في تاريخها الحديث والقديم مغنيا ومطربا كالمطرب الأستاذ محمد القبانجي، لقد حفلت سيرته بأعاجيب فنية وامتلأت حياته بمواقف موسيقية ملأ صداها ألا ندية فارتفع بها إلى مستوى فن المقام العراقي.

كان الأستاذ القبانجي هبة من مواهب الفن وفرحة من فرحات الموسيقى الشرقية.

لم يأخذ الأستاذ القبانجي الغناء العراقي عن أحد(كما قيل) بل استولى عليه بفطرته الغنائية وذكائه العراقي فكان مطربا بارعا ومغنيا فصيحا سمعته لأول مرة فقلت له: أشهد انك خاتم المغنين يا محمد.

نبذة وجيزة عن مقام البهرزاوي:

إن كل عراقي أو بغدادي يشعر بلذة الغناء يستطيع أن يغني شيئا من المقام البهرزاوي، وبهذه المناسبة أذكر نبذة وجيزة عن تاريخ هذا المقام الذي تضاربت فيه الآراء وتكاثرت فيه الأقاويل فمن قائل يقول إنه غناء دخيل أي جاء من بلد آخر، وآخر يقول إنه فارسي الأصل، وأنا على يقين لو أن الذين تقولوا فيه فكروا جيدا لعلموا انه مقام عراقي عريق بطابعه ونبرته بهرزاوي بوضعه. وأقرب دليل على ذلك انه لا يغنى فيه شعر فصيح عربيا كان أو فارسيا أو تركيا وإنما يغنى به(الموال) العربي أي(زهيري) بتعبير البغداديين والموال من وضع

العراقيين بلا تنازع بشهادة الشيخ شهاب صاحب كتاب(السفينة) حيث قال: أول من نطق بالموال أهل(واسط) وواسط(الحي) مدينة عراقية بناها الحجاج بن يوسف الثقفي بالبطيحة سنة ٨٣هـ وفرغ منها سنة ٨٦هـ.

أما كيفية وجود هذا المقام وتسميته(بهرزاوي) هي إن في قرية بهرز جماعة من هواة المقام العراقي كانوا يجتمعون في بيت رجل أسمه(صالح القدري) وهذا البيت من البيوت القديمة في تلك القرية وقد اتخذ ندوة سمر لأولئك الهواة وفي ذات ليلة اجتمعوا فيه كعادتهم واخذوا يتحدثون عن المقام العراقي كما هو شأنهم حتى انتهى بهم الحديث إلى المقام(الإبراهيمي) المشهور هل هو من وضع المغني إبراهيم الموصلي أو وضع إبراهيم بن المهدي الخليفة العباسي فاختلفوا فيه فشرع أحدهم بغنائه والجماعة يصغون إليه بكل جارحة من جوارحهم وطبعا أن مقام(الإبراهيمي) هو من نغم(البيات) كما هو مثبوت في كتابي المسمى(نيل المرام في قاموس الأنغام) المعد للطبع وحينما توغل به المغني إذا بالمستمعين يسمعون غير مقام(الإبراهيمي) المألوف عندهم فاعترتهم الدهشة وطربوا له وقالوا هذا مقام جديد ما سمعناه من قبل ولما سألوا المغني عنه قال لا أعلم(هكذا طلع معي) واتفقوا على أن يكون ما غناه المغني مقام جديد وطالما هو من نفس نغم(الإبراهيمي)(البيات) يجب أن يطلق عليه أسم(بهرزاوي) نسبة إلى واضعه الذي هو من قرية بهرز.

ولقد كانت حكاية المقام(الحويزاوي) قبله وهي أن أحد المغنين من أهل الحويزة أراد أن يغني مقام(المثنوي) المشهور ولما غناه طلع عنده

غيره فسمي ذلك المقام(حويزاوي) نسبة إلى الحويزة، والمثنوي مقام له شهرة واسعة في جميع الأقطار العربية والفارسية والتركية.

ومن النادر أن يوجد مغني عراقي في بغداد يغني مقام(المثنوي) تماما! وكان المغني أحمد زيدان مع شهرته الفائقة بغناء المقام العراقي يذهب إلى الميدان ويجلس في(جايخانة) صغيرة لرجل اسمه(أمين دأبي) يسمع منه غناء مقام(المثنوي) وحينما يسمعه يهز رأسه دلالة على إعجابه به وأحيانا يبكي لحسن الأداء وعذوبة الصوت.

ولنعد إلى مقام(البهرزاوي) وقد كان تسلية لكل بغدادي ولذلك ترى جماعة من البغداديين يجيدون غناءه إجادة تامة ومنهم:

مجيد كركر:

مهنته قهواني ومقهاه يقع في محلة الفضل وهذا المقهى كان ندوة فن يختلف إليه عشاق المقام العراقي يترأسهم المغني أحمد زيدان وكثيرا ما كان يخاطب مجيد كركر: أنك وإن لم تغن جميع المقامات العراقية فمقام البهرزاوي يغنيك عنها، وبعد وفاة المرحوم أحمد زيدان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٢م آلى مجيد كركر على نفسه أن لايغني طول حياته ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى أخذ جنديا وذهب مع الجيش العثماني إلى جهة(أرضروم) ولم يعد إلى بغداد.

حسون مصطاف:

هو والد المغني عبد القادر حسون كان مغنيا فحلا حسن الصوت قوي الحنجرة وكان ملازما لاحمد زيدان لاينفك عنه ليلا ونهارا حتى أتقن الغناء فصار من المغنين الذين يشار إليهم بالبنان ولم يمتهن الغناء طول حياته، وإذا ما دعي أحمد زيدان إلى حفلة عرس يستصحبه وعندما يطلب من أحمد زيدان غناء مقام(البهرزاوي) جريا على العادة يفسح المجال إلى حسون لغنائه ويقول إلى من طلبه(حسون يغنيه أحسن مني) وناهيك في المباريات التي كانت تجري في مقهى مجيد كركر كان حسون أول الفائزين.

الحاج سبع القصاب:

هو من محلة المهدية ببغداد ومهنته(جزار) قصاب وكان شجي الصوت أعذبه وكان يجيد غناء المقام(البهرزاوي) وإذا أراد أن يغنيه يجلس في مقهى (حمدي النهر) في سوق الفضل تجاه النافذة المطلة على ساحة جامع الفضل وبعد أن تتم صلاة العشاء يشرع بالغناء وكان المرحوم العلامة عبد الوهاب النائب يجلس في الجامع بعد الصلاة يسمع غناءه وهو معجب به غاية الإعجاب.

أحمد ملا علي:

له ولع بالغناء العراقي ويجيد غناء المقام(البهرزاوي) وهذا الرجل من بيت جاه ونعمة في قرية(الهويدر) التابعة إلى مدينة بعقوبة.

أتصل أحمد ملا علي بالمغنين البغداديين وأخذ الغناء عنهم ويدعي أنه أخذ المقام (البهرزاوي) عن المغني الشهير (خليل رباز) وإذا غناه لا يغادر كبيرة ولاصغيرة من(شعبه ومياناته) إلا ويأتي بها.

السيد شاكر البناء:

كان السيد شاكر البناء مغنيا شجي الصوت أخذ الغناء عن المغني الشهير الحاج محمود البصري في مدينة البصرة وأصبح من المغنين المبرزين ولم يحترف مهنة الغناء إلا في أواخر أيامه بعد أن كف بصره.

وكان يجيد غناء المقام البهرزاوي وكثيرا ما كان يغنيه في محطة الإذاعة ببغداد ويبكي.

البستات العراقية الحديثة:

لقد ظهرت أغان عديدة في بغداد وكانت لا تظهر إلا بالمناسبات ومنها في سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة١٩١٨ م ظهرت في مدينة الموصل أغنية(علروزنه) ولرقة نغمها وحسن معانيها التي لا تخلو من

عواطف الحب انتشرت في بغداد انتشارا عظيما ومناسبتها أن فتاة في الموصل كانت مخطوبة لاحد أقربائها وكانا يتبادلان الحب النزيه ويتحادثان بواسطة كوة صغيرة في الجدار الذي يفصل بين داريهما، وأهل الموصل يعبرون عن الكوة باسم(روزنه) وأهل بغداد(رازونه)، ولما علمت أم الفتاة أن أبنتها تتحادث مع خطيبها بواسطة تلك الكوة أغلقتها منعا للاتصال بينهما قبل عقد الزواج ولم تكتف ألام بهذا العمل بل قالت ((علروزنه الروزنه كل البلابيها) وعلى الفور أجباتها ابنتها: (واشعملت كمتي سدتيها) وبهذه الكلمات أصبحت أغنية. ومثال تلك المناسبات أن بعض من تعود على احتساء الخمر الجلوس في الحانات أي(المايخانات) لأن بغداد لم يكن فيها يومذاك فنادق وبارات كما هي اليوم وهذه(المايخانات) عبارة عن مواخير مظلمة لا يدخلها شمس ولا هواء ولهذه الحالة التعيسة قال بعض الجالسين لرفقائه وهو ثمل(سكران) اسمعوا يا جماعة:

فتح ورد الباجله عيشة كدر وامذله

ومعنى كلامه أن وقت الربيع قد حل وورد الباقلاء قد تفتح قوموا بنا لنذهب إلى هناك يريد بذلك مزارع الباقلاء فهذه المناسبة كانت هذه الأغنية .

ومناسبة أخرى: إن شابا من أهل بغداد كان يذهب مع بعض أقاربه إلى الجزرة(الكاوورية) والجزرة تظهر في نهر دجلة بعد انخفاض الماء في الصيف وكان ذهاب الشاب إلى الجزرة بعلم من صديق له وكثيرا ما كان صديقه يطلب منه أن يرافقه والشاب لا يقبل فقال له صديقه يوما وهو يلاطفه:

يعجبني نزله اوياك للكاوورية تعطش وشربك ماي بجفوف ايديه

والمعنى ظاهرة فأصبح هذا أغنية والناس يغنون بها.

ومناسبة أخرى: إن فتاة زوجها أهلها بمن لا تهواه وكان صداقها بالعملة التركية(نوط) ورق في وقت كان هذا(النوط) في غاية التدهور وكانت الليرة الورق يومذاك تساوي ربع دينار، فقالت الفتاة:

أنـــا المسجينة أنـــا أنـــا المظيليمة أنـــا!

أنـــا الباعوني هلـــي بالنوط والوعده سنة

أما الوعدة سنة فقد كتب على النوط التركي بعد مرور سنة من انتهاء الحرب يعطى بدله ليرة ذهب!

ومناسبة أخرى: أن فتاة زوجها أهلها دون رغبتها ولحسن حظها لم يمض على زواجها مدة من الزمن حتى توفي زوجها وبعد وفاته بمدة أعاد أهلها عليها الكرة وأرادوا زواجها مرة أخرى طمعا في صداقها وكلما حاولوا إقناعها فلم يفلحوا وأخيرا وسطوا أحد السادة من أقربائهم لاقناعها وقد خابت وساطته رغما عن نصائحه وإرشاداته وبعد هذا ظهرت أغنية:

صادوني وانحليت ما بعد أوالف حجي الحجينه اوياي كله سوالف

مظلومة يسيد آني مظلومة يمظلومه

ومناسبة أخرى: إن فتاة كانت مخطوبة لابن عمها وكانا يتبادلان الحب وقد تعود ابن عمها عبور نهر دجلة والذهاب لمقابلتها وصادف أن فاض نهر دجلة كعادته في كل عام وانقطع الجسر وقد تعذر عليه عبور نهر دجلة بواسطة(القفف) جمع قفة ودام ذلك الفيضان أيام فخرجت الفتاة تشاهد النهر والفيضان على أشده فقالت:

ميك لحدر الساك يا شط عسنك   محرمني شوف اهواي يلكلها منك

والمعنى: أن الفتاة حينما شاهدت النهر وأمواجه تتلاطم أخذت تدعي عليه على أن يكون ماؤه منخفضا إلى الكعبين.

ومناسبة أخرى: في أول إعلان الحرب العالمية الأولى أن جنديا جاء ليودع أهله ليلتحق بالجيش المحارب فخاطبته ابنته وقالت:

يمسافر الله وياك اوكف دحاجيك   خاف الفراك يطول ما بعد الاجيك

يا بابه خذني اوياك   مكدر على فركاك

تواعدني جاوين الكاك   روحي العز يزه تفداك

فصار كلامها أغنية وهكذا كانت تظهر الأغاني ولا تتلاشى الأغنية حتى تظهر غيرها.

أغاني اليهود:

ولليهود في بغداد أغاني خاصة تغنى في حفلات أفراحهم ويغنيها جماعة من النساء على آلة(الدف) و(الدنبك) و(النقارة) وهكذا الجوق يسمى(الدقاقات).

وكثيرا ما كنا نسمعها في بعض الليالي ومنها:

عفاكي عفاكي على فند العملتينو

أنا اتعبتو أنا اشقيتو على الحاضر أخذتينو

وأشهر مغنية ودقاقة امرأة أسمها(مسعودة البمبيلية) نسبة إلى مدينة(بمبي).

ميدان العبيد:

الشائع عن ناظم باشا والي بغداد انه كان يتجول في بغداد وأطرافها وفي ذات يوم أثناء تجواله في الجهة الشرقية في محلة الفضل شاهد على البعد علما قائما في وسط ساحة كبيرة مسورة ببناء من طين(طوف) جمع طوفة وهذا هو البناء الذي كانت تقيمه الطبقة الفقيرة في بغداد يومذاك، وهذا العلم كان أحمر اللون تتوسطه نجمة وهلال من لون أبيض لا يختلف عن علم الدولة العثمانية وتساءل ناظم باشا عن وجود هذا العلم في الساحة النائية عن عمارات بغداد فأجابه مرافقه هذا(ميدان العبيد) فاغتاظ الوالي وأمر بإنزال هذا العلم ومن ذلك الوقت لم تقم له قائمة ولم يستعض غيره. وإيضاحا لما نحن بصدده يجب أن يعرف القارئ من هم(العبيد) وما هو ميدانهم؟ أما العبيد هم الزنوج ويقال لهم(نوبيون) وان أجدادهم نقلوا إلى الجزيرة العربية وبيعوا بسوق النخاسة وانتشروا في أنحاء بغداد ويسكن بعضهم بغداد في الجهة الشرقية في محلة الفضل، ومن عقائد هؤلاء الزنوج التي يتمسكون بها أنهم ينقادون إلى رؤسائهم وآخر رئيس لهم عرفته هو الشيخ(مبروك) الذي كان يكنى أبا غريب.

أما(ميدان العبيد) هو الذي يؤدي فيه أولئك الزنوج شعائرهم وطقوسهم الدينية وهذه المراسيم لاتجري في البيوت وإنما تجري في الساحات ومن هذه جاءت تسمية(ميدان العبيد)، وكيفية تلك المراسيم أنها تقام في ليالي الجمع تمشيا على عاداتهم، والفرقة الموسيقية التي تشترك في المراسيم مؤلفة من عازف على(الطنبور) وتسمى

باصطلاحهم(طنبورة) وضاربين على الطبـول وهـي الطبـول غـير المعروفة عندنا وقبل البدء بالعزف والرقص يقرأون سـورة(الفاتحـة) تبركا بها ثم يتقدم الزنوج والزنجيات ويدخلون الحلقة المعدة للرقـص وينشدون أولا أنشودة(التوبة) على نغم الطنبور وهي: (يـا الله يـا الله ياربي توبة) ويستمرون بترداد هذه الأنشودة حتى يبلغ الحماس أشده ثم يبرز زنجي يرتدي ملابس خاصة وقد ربط بوسطه قطعة جلـد معلـق بها(أظلاف) مواشي كالغنم والماعز يسمى(حبوب) ويقف بوسط الحلقـة متكئا على عصا ويبدأ بالرقص فيهتز ويرتجف فتحدث تلك(الأظـلاف) خشخشة، ويشترك معه في الرقص جماعة مـن الزنـوج والزنجيـات ويتحركون كما يتحرك وتشتد أقدامهم في الضرب علـى الأرض مـع اهتزاز أجسـامهم ويميلـون إلـى الخلـف والأمـام ويسـمى هـذا الرقص(هنكيمة) ويشتد الرقص حتى يبلغ ذروته فينهار رجل أو رجلان ويسحبان من داخل الحلقة إلى خارجها يرتعشان ولم تهدأ حالتهم مـالم يكف العازفون عن العزف وبعد أن تهدأ حالة هؤلاء يرددون جميعـهم بينهم وبين أنفسهم: الحمد لله ثلاث مرات.

الملاهي وأثرها:

ومن حسنات ذلك العهد الغابر أن لا يوجد فيه للسفور أثر فـالبنت التي عمرها عشر سنين لاتخرج من بيتها بدون عباءتين و(بوشي) برقع حرير أسود يغطى به الوجه، ومن النادر أن تشاهد امرأة تخـرج إلـى السوق لشراء الحاجيات الغذائية حتى أن الملهى لا يوجد فيه نساء يغنين

ويرقصن بل كنا نشاهد غلمانا يرتدون أردية نسائية ويتشبهون بهن على المسرح والمسرح يسمونه أهل بغداد(شانو) والملهى الوحيد هو ملـــهى سبع في الميدان.

مقتل نعيم:

وأذكر أن حادثة مؤلمة وقعت في ملهى سبع سنة ١٣٢٥ هـ يقابلها سنة ١٩٠٧م وفحواها أن رجلا يهوديا أسمه(سليم) قـد خـدع غلامـا مسيحيا أسمه(نعيم) وكان الغلام في غاية الحسن والجمال أتى به إلـى بغداد ليشتغل في الملهى وفي كل ليلة يتهافت الناس على الملهى للتمتـع بذلك الجمال الباهر فأحبه بعض أهل بغداد وأراد به المنكر فأبت نفـس الغلام الزكية وكثيرا ما كان يغريه بالمال ويسترضيه بالوعود الخلابـة فلم يفلح فجاءه ليلا وهو(سكران) والملهى يضم المئات من الناس وأطلق عليه الرصاص فسقط ذلك اليتيم المخدوع على الأرض مخضبا بدمائـه فحمل إلى مستشفى الغرباء وهناك ظل ملقى على فراش الألم الممـض يعاني البؤس الذي أحاط به حتى قضـى نحبـه، وقـد أرخ المرحـوم معروف الرصافي عام وفاة ذلك القتيـل بقصيـدة عنوانـها: (اليتيـم المخدوع) وهي:-

قضى والليل معتكر بهيـــم	ولا أهل لديه ولاحميـــم
قضى في غير موطنه قتيـلا	تمج دم الحياة به الكلـــوم
قضى من غير باكية وبـاك	ومن يبكي إذا قتل اليتيـــم
قضى غض الشبيبة وهو عف	مطهرة مآزره كريـــم

سقاه من الردى كأسا دهـــــاقا ... عفاف النفس والعرض السليـم
تجرعها على طرب ولكـــــن ... بكــف اليتم ليس له نديـــــــم
على حين الربابة في نـــــواح ... يساجلها بها العود الرخيـــــم
بحيث رقائق الألحان كانـــــت ... بها الأجفان طافية تعـــــــوم
كأن ترنم الأوتار نعـــــــــي ... وصمت السامعين بها وجـــوم
فجاء الموت ملتفعا بـــــخزي ... وملء إهابه سفه ولـــــــــوم
وأطلق من مسدسه رصاصـــا ... به في الرمي تختــرق الجسـوم
فخر إلى الجبين به (نعيـــــم) ... كما أنقضت مــن الشهب الرجوم
فبات مودعا بعد ارتئـــــــاب ... حياة لا تناط بهـــا الرســـــوم
لئن لم تبك من أسف عليـــــه ... سفاهتنا فقد بكــت الحلـــــوم
ولو درت النجوم له مصـــــابا ... بكته على ترفعها النجـــــــوم
عســـى الشهباء تثأره فتبـــدي ... إلى الزوراء ما يبدي الخصـيم
فلم يقتلــه إبراهيـــم فيمـــــا ... أرى بل أن قاتلــه سليــــــــم
أليس سليم المـــلعون أغـــوى ... نعيمــا فهو شيطان رجيــــــم
وأخرجه من الــشهباء غـــــرا ... يتيمـــا ما له أبدا زعيـــــــم
وجاء بـــه إلى بغـــداد حتـــى ... تخرمــه به قتل أليــــــــــم
سأبكيــه ولــم أعبــأ بـــــلاح ... وأندبــه وإن سخط العمـــــوم
ولمـــا أن ثـــوى نـــاديت أرخ ... ثوى قتلا بلا مهــل نعيـــــم

الراقصات في بغداد:

وعندما بزغت شمس الحرية سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م صارت بغداد تمرح في عهد جديد من الأنس والطرب وفسح المجال للراقصات أن يدخلن إلى بغداد وأول راقصة حلت ببغداد(رحلو) الملقبة(جرادة) جاءت من مدينة حلب وعند وصولها إلى بغداد وقع الناس في سورة من العجب لهذا الشيء الذي ما كانت تألفه بغداد من قبل وتهافت الناس على المرقص(الملهى) تهافتا يخشى منه على فساد الأخلاق فضلا على ابتزاز ثروة الآهلين وأخذت الجرائد تنقد هذه الحالة فلم يكن هناك من سامع أو ملتفت وللشاعر معروف الرصافي مقطوعة نظمها بعد أن شاهد هذه الحالة وكانت بعنوان(بغداد بعد الدستور) وهي:-

أرى بغداد تسبح في الملاهي	وتعبث في الأوامر والنواهي
رمت حملانها الأرياف حتى	تناطحت الكباش مع الشياه
فيا بغداد أن الأمر جد	فحلي بعض هزلك في الملاهي
جميع الناس قد نفضت كراها	وأبدت للعلى نظر انتباهي
وفيك معاهد الدستور تشقى	بغفلة غافل أو سهو ساهي

وظلت بغداد تسبح في هذه الموبقات وأعقبت الراقصة رحلو(جرادة) جماعة من الراقصات أذكر منهن(طيرة المصرية) و(فريدة استيتيه) و(حسنى دنسكور) و(فريدة العراطة) و(بهية الانطاكية) و(شفيقة الشامية) و(طيرة بنت الخائم) و(ملكة المصرية) و(فيروز أرمني) و(زكيه السدية) وبنات حارة(ثريا وماري ورحلو)

و(بهية سميكة) و(سمحة العوادة) و(ثريا الجمل) و(جميلة خاتونة) و(حسنى الشامية) و(نحلية شحادة) و(نحلية فوزي) وبنات لاطي(خانم وبديعة وشفيقة) و(زكيه زلط) و(سرينة) و(ملكة) و(عيشة إبراهيم) و(التركية ألن) و(ماري الرومية) و(ماريكة دميتري) و(حسيبة مكنسو) و(منيرة المصرية) وغيرها. وظلت هذه الراقصات ضاربة كابوس إغوائها على السذج من أبناء بغداد إلى أن فرغت الجيوب وتفسخت الأخلاق من جراء إغوائهن والرقص الخليع الذي يستهوي القلوب ويستفز الأفئدة، والبغدادي الذي ما تعود على مشاهدة هذا الأغراء والنساء العاريات واقفات على خشبة المسرح منهمكات في الاهتزاز والرجرجات لابد أن يقع في سورة من العجب ويحسب هذا فنا جديدا أبدعته حرية العثمانيين وناهيك عن الأغاني التي جئن بها والتي هي بعيدة كل البعد عن الذوق البغدادي.ومن تلكم الأغاني: أغنية(حنا يا حنا يا عطر الندا) و(يا طيرة طيري يا حمامة انزلي) و(طلعت يا محلا نورها شمس الشموسة) و(وعلى البيبة والبيبة خده رز ابحليبة) و(يا نخلة بالعلا لي كل أثنين شبكو سوا) و(ويلي واويلي سمسمه أكلي وشربي سمسمه) و(يامنتسه يامنتسه يم اعيون الناعسة) و(يلطير الأخضر تسبح بالمية) و(بنت الجلبية اعيونك لوزيه) و(ياميمتي آه يايمة) و(قدك المياس يا عمري) و(زوروني بالسنة مرة حرام) و(يلنايمة على غصون يا عيني) و(يا غزالي كيف عني ابعدوك) و(علزينو زينو أسمر وامكحلة عينو) و(آه يا اسمر اللون حياتي الاسمراني) و(مرمر زماني يا زماني مرمر) و(على دلعونة على دلعونة) و(علي يا علي بياع الزيت) و(زوالف يابوزلوف عيني زلوفية) و(يا محلا الفسحة).

وكل هذه الأغاني لم تلق رواجا لدي البغدادي مثل أغانيه التي تعود على سماعها بشوق وتلهف وهو لا يزال يذكرها بشوق شديد، وبعد أن شعر أصحاب الملاهي أن أهل بغداد سئموا ذلك الرقص الخليع وتلك الأغاني الرخيصة وأن سير الملاهي أخذ بالتقهقر الشنيع مما يؤدي إلى الخسارة المادية فضموا إلى جوق الرقص جوق تمثيلي هزلي مؤلف من عدة أشخاص يقيمون بدوره آخر الليل ويسمى هذا الجوق(إخباري).

وان مثل هذا الجوق التمثيلي وسيلة من وسائل تهديم الأخلاق إذ لا ينفك ممثلوه من إرسال الألفاظ البذيئة والحركات القبيحة دون أن يشعروا ما قاموا به على مشهد من الجمهور المتفرج، ولم يكن هذا الأخباري حديث العهد آنذاك فهو على غرار الفصول الهزلية التي كان يقوم بها الهزلي البغدادي المشهور(ابن الحجامة) وزميله الفكه(منصور) غير أنه منظم بملابس مزركشة فضلا عن إظهار الخناجر والسيوف ومشاركة النساء في هذا العرض والبغدادي المرح بطبيعته يطرب لكل شيء ينعش خاطره ولذلك تشاهد الناس يلتفون حول رقص القرد في الطرق وهم فرحون مسرورون لما يأتي به القرد من الحركات المضحكة، والقرد يسمى باصطلاح أهل بغداد(شادي) وهذا الاسم ليس اسم القرد وإنما صفة لصاحب القرد لانه يشدو والقرد يرقص على شدوه.

السجون في بغداد

للحكومة العثمانية ثلاثة سجون ببغداد،الأول يسمى:

حبس ألاوردي:

ومقره في(قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة وبمحله اليوم مديرية طابو بغداد الرصافة.

وكان الشروع في بناية هذه القشلة سنة ١٢٧٨هـ يقابلها ١٨٦١م أيام الوالي نامق باشا الكبير وفي عهده لم يكمل بناؤها وقد أكمله الوالي مدحت باشا وأقام في ساحتها ساعة كبيرة وهي إلى الآن موجودة غير أن قمتها قد تبدلت والغرض من وجود هذه الساعة في القشلة هو أيقاظ الجنود إلى أوقات التدريب العسكري، وهذا السجن يضم الجنود الذين يفرون من الجندية وبضمنهم الذين يرتكبون الجرائم وهم تحت السلاح.

أما سبب تسميته(بحبس الاوردي) نسبة إلى آلتجن أوردي أي الفيلق السادس للحكومة العثمانية وللحكومة العثمانية إذ ذاك سبع اورديات الأول(أستانبول) والثاني(ادرنة) والثالث(سلانيك) وهي المدينة التي اتخذت مقرا للسلطان عبد الحميد بعد خلعه من عرش السلطة العثمانية والرابع(الشام) والخامس(ارضروم) والسادس(بغداد) والسابع(اليمن).

والذي يشرف على هذا الحبس(مركز قومنداني) أي آمر انضباط وقد تولى هذا المنصب أتراك وعرب وأعرف منهم (زكي بك) العزاوي

و(محمود سامي بك) و(عبد الجبار بك) وأخرهم(محمود بك) الذي أمر أن يكتب على باب(إلا كمكخانة) أي مخبز الجيش الحالي الآية الشريفة قوله تعالى(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) وقد غضب قائد الجيش بعد الاطلاع عليها وأمر بسوقه إلى جبهة الحرب ورفع هذه الآية الكريمة عن الباب.

و(لمركز قومنداني) معاونون عرب وأتراك منهم(محرم) أفندي و(يونس) أفندي و(ججان) و(نوزاد) وهو تركي شرس الأخلاق سيئ الطباع وأعرف المرحوم الحاج(رشيد) الشبلاوي والد الأستاذ حقي الشبلي كان برتبة(قانون ضابطي) أي ضابط الانضباط والحاج(جاسم) البياتي برتبة(قانون جاوشي) أي عريف انضباط وهؤلاء مقرهم في (قشلة البيادة) أي ثكنة المشاة.

حبس القلعة:

وبعد سجن الاوردي يأتي سجن القلعة ويضم هذا السجن المجرمين الأهليين الذين يحكم عليهم بمدد مختلفة من الثمان سنين إلى العشرين سنة، وسجناء القلعة أكثرهم يزاولون مهنة خياطة(العبي) جمع عباية وهي من متممات الأزياء العراقية كما نوهنا عنها وكان مديرا لهذا السجن رجل تركي.

حبس السراي:

ويأتي بعد سجن القلعة سجن السراي مديره(محمد أفندي) المشهور(ابن كردة) وهو والد السيد مصطفى الموظف بدائرة الري ببغداد، ومحل السجن اليوم وزارة الداخلية ويضم هذا السجن من يحكم عليهم من الشهر إلى ما فوق، وهذه السجون الثلاث ليست كالسجون التي عندنا اليوم فالحكومة العثمانية لاتعطي للسجين أكثر من ثلاث صمونات يوميا وقد أثارت هذه الحالة في السجون نفسية الشاعر معروف الرصافي وما كان يعانيه السجناء فنظم قصيدة بعنوان(السجن في بغداد) وهي:-

سكنا ولم نسكن حراك التبدد   مواطن فيها اليوم أيمن من غد
عفى رسم معنى العز فيها كما عفت   (لخولة أطلال برقة ثهمد)
بلاد أناخ الذل فيها بكلكل   على كل مفتول الساعدين أصيد
معاهد فيها ضل سابق عزها   فهل هو من بعد الضلالة مهتد
أحاطت بها الأرزاء من كل جانب   إلى أن محتها معهدا بعد معهد
وحلق في آفاقها الجور بازيا   مطلا عليها صامتا بالتهدد
وينقض أحيانا عليها فتارة   يروح وفي بعض الأحايين يغتدي
فيخطف أشلاءا من القوم حية   ولم يقد المقتول فيها ولم يد
ويرمي بها في قعر أظلم موحش   بها أين تسقط جذوة الروح تخمد
هو السجن ما أدراك ما السجن انه   جلاد المنايا في مضيق التجلد
بناء محيط بالتعاسة والشقا   لظلم بريء أو عقوبة معتد
زر السجن في بغداد زورة راحم   لتشهد للانكاد أفجع مشهد

محل به تهفو القلوب من الأسى　　فان زرته فاربط على القلب باليـد
مربع سور قد أحاط بمثلـــــه　　محيط بأعلى منه شيد بقرمـــد
وقد وصلوا مابين ثان وثالـــث　　بمعقود سقف بالصخور مشيـد
وفي ثالث الأسوار تشجيك ساحــة　　تمور بتيار من الخسف مزيـــد
وفي وسط السور الشمالي تنتهـي　　إليها بمسدود الرتاجين موصـد
هي الساحة النكراء فيها تلاعبـت　　مخاريق ضيم تخلط الجد بالـــدد
ثلاثون مترا في جدار يحيطهـــا　　بسمك زها بالعشر في الجو مصعد
تواصلت الأحزان في جنباتهـــا　　بحيث متى يبلى الأسى يتجـــدد
تصعد من جوف المراحيض فوقها　　بخار إذا تمرر به الريح تفســد
هناك يود المرء لو قاء نفســه　　وأطلقها من أسر عيش منكـــد
فقف وسطها وأنظر حواليك دائرا　　إلى حجر قامت على كل مقعـد
مقابر بالأحياء غصت لحودهـــا　　بخمس مئين أنفس أو بازيـــد
وقد عميت منها النوافذ والكـوى　　فلم تكتحل من ضوء شمس بمرود
تظن إذا صدر النهار دخلتهـــا　　كأنك في قطع من الليل أســـود
فلو كان للعباد فيها إقامـــــة　　لصلوا بها ظهرا صلاة التهجــد
يزور هبوب الريح إلا فناءهـــا　　ولم تحظ من وصل النسيم بموعد
تضيق بها الأنفاس حتى كأنهـــا　　على كل حيزوم صفائح جلمـــد
وحتى كأن القوم شدت رقابهـــم　　بحبل اختناق محكم الفتل محصـد
بها كل مخطوم الخشام مذلـــل　　متى قيد مجرورا إلى الضيم ينقـد
يبيت بها والهم ملء إهابـــه　　بليلة متبول الحشا غير مقصـــد
يميت بمكذوب العزاء نهـــاره　　ويحيي الليالي غير نوم مشـــرد
ينوء بأعباء الهوان مقيـــــدا　　ويكفيه أن لو كان غير مقيـــد

وتقذفهم تلك القبور بضغطهـــــا   عليهم لحر الساحة المتوقـــــــد
فيرجع في بعض حصير ظلالــه   ويجلس فيها جلسة المتعبــــــــد
وليست تقيه الحـــــر إلا تعلــــة   لنفس خلت منصبرها المتبـــــدد
وبالثوب بعض يستظل وبعضهـم   بنسج لعاب الشمس في القيظ يرتدي
فمن كان منهم بالحصير مظـــللاً   يعدونه رب الطران الممــــــدد
تراهم نهار الصيف سفعاً كأنهـم   أثاثي أصلاها الطهاة بموقــــــد
وجوه عليها للشحوب ملامـــــح   (تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد)
وقد عمهم قيد التعاسة موثقـــــا   فلم يتميز مطلق من مقيــــــــد
فيسدهم في عيشة مثل خـــــادم   وخادمهم في ذلة مثل سيـــــــد
يخوضون في مستنقع من روائح   خبائث مهما يزدد الحر تـــــزدد
تدور رؤوس القوم من شـم نتنها   فمن يك منهم عادم الشم يحســـد
تراهم سكارى مـــن عذاب وما هم   سكارى ولكن من عذاب مشـــدد
وتحسبهم دودا يعـيش بحمـــــاة   وما هو من دود بها متولـــــــد
إلا رب حر شاهــد الحكم جائرا   يقود بنا قود الذلول المعبـــــــد
فقال ولم بجهر ونحن بمنتـــدى   به غير مأمون الوشاية تبتـــدي
على أي حكم أم لأية حكمـــــة   ببغداد ضاع الحق من غير منشد
فأدنيت للنجوى فمي نحو سمعــه   وقلت لان العدل لـم يتبغـــــدد
رعى الله حيا مستباحا كأنـــــه   من الذعر أسراب النعام المطـرد
وما صاحب البيت الحقير بنـاؤه   بافزع من رب البلاط الممـــرد
وما ذاك إلا انهم قد تخاذلـــــوا   فلم ينهضوا للخصم نهضة ملبـد
فناموا على الجلى ونمت كنومهم   سوى نومة مني بشعر مغــــرد
وهل أنا إلا من أولئك إن مشوا   مشيت وان تقعد أولئك اقعـــد

وكم رمت إيقاظا فأعيا هبوبهم فكيف وعزم القوم شارب مرقد
نهوضا نهوضا أيها القوم للعلى لتبنوا لكم بنيان مجد موطد
وسد علينا الاعتساف طريقنا فأجحف بالغوري والمتنجد
فيا رب نفس من كروب عظيمة ويأرب ضعف من عذاب مشدد

المخافر ورجال الأمن:

كانت ببغداد(قولغات) جمع قولغ أي مخفر منبثة في محلات بغداد يشغلها رجال البوليس والدرك(الجندرمة) وأذكر منها مخفر محلة الفضل وقد صار ضمن مدرسة الفضل الابتدائية ومخفر محلة السور وقد صار دارا وهو قرب دار المرحوم محمد فاضل باشا الداغستاني ومخفر محلة حمام المالح وقد تهدم ومخفر محلة قنبر على وقد صار ضمن الشارع ومخفر محلة أبي سيفين وقد صار دارا ومخفر محلة الشورجة ولا زال إلى الآن ومخفر محلة رأس القرية وقد صار حوانيت ومخفر محلة الحيدرخانة وقد صار حوانيت ومخفر محلة السنك وقد انمحى ومخفر محلة باب الشيخ ولازال إلى الآن ومخفر باب الشرقي وقد انمحى ومخفر الشيخ عمر مقابل جامع الشيخ عمر وقد تهدم في غرق بغداد سنة ١٣٣٣هـ وصرف النظر عن تعميره. وفي الكرخ مخفر محلة الشيخ بشار ومخفر محلة الجعيفر ومخفر محلة علاوي الحلة ومخفر(المنطكة) وسط الطريق بين بغداد والكاظمة، وهذه المخافر لم يبق لها أثر وكان يشغلها رجال البوليس والجندرمة، فمن مشاهير رجال الجندرمة أعرف منهم عبد الرحمن آغا والد السيد عبد المجيد

الموظف في دائرة الكمرك ومكوس ببغداد، وسلمان أفندي المشهور بابن(ابليد)، وعلي سور، ورجال الجندرمة أمراؤهم(آلاى بيكى) و(آلاى أمينى) ومقرهم في جناح السراي محل مديرية شرطة لواء بغداد اليوم، ورجال البوليس أعرف منهم صالح أفندي والد السيد محمد الموظف في أمانة العاصمة واشتغل صالح أفندي مفتشا في دائرة بلدية بغداد ولما شوهد فيه الجدارة التي تؤهله أن يكون بوليسيا نقل من دائرة البلدية إلى دائرة البوليس برتبة(قومسير) ثم رفع إلى رتبة(سر قومسير) أي قومسير أول وقد اشتهر صالح أفندي بقوة بأسه وكان الرجل الوحيد لتعقيب الجناة ومطاردة الأشقياء، توفي سنة ١٣٣٦هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية.

ويأتي بعد صالح أفندي رفعت أفندي المشهور(برفعت البوليس) وهو برتبة(سر قومسير) ومن عجائب هذا الرجل انه كان ضخم الجثة بطينا والذي يشاهده لأول مرة يعتقد انه لا يتمكن من السعي على قدميه إلا بتكلف وإنما هو خلاف ذلك فإذا ما عقب الجناة والأشقياء وركض خلفهم تراه يركض بخفة الغزال وقد لعب دورا كبيرا ما لعبه أحد من قبله، توفي سنة ١٩١٩م.

مشاهير الأشقياء

الأشقياء الذين قاموا بوجه الحكومة العثمانية كثيرون منهم من قضى نحبه قتلا ومنهم من لاقى حتفه طريدا.

وكيف لا يكونون أشقياء وعصاة بوجه الحكومة والسياسة الخرقاء والاضطهاد المستمر هما السبب الفعال لتذمرهم الأمر الذي دفعهم إلى شق عصا الطاعة والنظر إلى الحكومة بعين الازدراء والاحتقار فأطلقت عليهم اسم أشقياء مجرمين، كيف لا يكونون مجرمين ويرون أمام أعينهم سابقيهم من إخوانهم وأبناء جلدتهم يرسفون في قيد الحرمان المادي ولم يجدوا إلى نيل مآربهم غير السطو على الناس وأخذ ما في البيوت والمنازل عنوة وسلبا ولو أنها فكرت قليلا لعلمت أنها شريكة أولئك المجرمين لأنها غرست بذور الشر في نفوسهم منذ نشأتهم ولو أنها تعهدت بتربيتهم وفتحت بوجوههم أبواب المعاهد العلمية والمعامل الصناعية ما آل أمرهم إلى هذا الحد ووصل إليه ما وصل، أما كان باستطاعتها أن تنظر إليهم نظر الأب الشفوق لأبنائه، وتغدق أصناف النعم عليهم ولكنها نامت عنهم نوما طويلا حتى إذا استيقظت على أزيز الرصاص شمرت عن ساعدها لتمثل منظر من مناظر الشجاعة الجوفاء فاوعزت إلى جندها بالضرب على أيدي أولئك الذين أسمتهم أشقياء مجرمين. ما ضرها لو صفحت الصفح الجميل عنهم بدلا من الفتك بهم وقد قال(لامرتين) إن كان من العدل عقاب المجرم فمن الرحمة الإشفاق

عليه ولكنها ويا للأسف أخذت تعاملهم بالعكس وتزحهم في السجون فقضت على بعض والبعض الآخر ظل يهددها بوقائعه فلم تتمكن من ردعه، ومن مشاهير هم:

عباس السبع:

كان بطلا لا يهاب سطوة الحكام ولا يخشى قوة الجنود وكثيرا ما كان يدحرهم عند اصطدامه معهم، وفي آخر سنة ١٣٢٧هـ من ليلة ساد فيها السكون ونامت العيون وقد هب نسيم الصيف العليل وأرسل القمر أشعته الفضية في سماء الجانب الغربي(الكرخ) سمعت طلقات رصاص متوالية وصراخا حادا فحواه(ثبت ثبت) بالتشديد مصدرها من بستان(المتولية) قرب(المنطكة) أي المنطقة وعند الصباح شاهد فلاحو البستان الذين قبعوا في أكواخهم عند وقوع الحادثة ثلاث جثث من رجال الجندرمة ملقاة بين أحراش البستان وقد أصيبوا برصاص(عباس السبع) الرجل الذي كان يأخذ(الخاوة) من التجار بمجرد إرسال خبر إليهم ولذلك خاصمه جماعة من جانب الكرخ فلم يتمكنوا عليه، والمشهور عن عباس السبع هو الذي قتل(كدرون جاوش)وهذا الرجل من سلك الجندرمة ومن الرجال الأشداء وكان جميع أشقياء بغداد يأخذون الحذر منه لئلا يبطش بهم.

أما كيفية وقوع عباس السبع في فخ الحكومة هو أن زميله ومعتمده الشقي خماس المشهور(ابن شاله) اقترح عليه أن يسطو على دار أحد الأغنياء المسيحيين في(عقد النصارى) بمحلة رأس القرية وبعد أن اتفقا

شربا الخمرة وسارا وقد مد الليل رواقه وفي الطريق التقيا بجماعة(الدورية) من رجال البوليس والجندرمة فتصادما معهم وقد تألبت قوة الدورية عليهما ولما نفذ عتادهم وضاقت بهما الحيلة دخلا مسجدا يقال له(مسجد فرج الله) في محلة بني سعيد وقد لاذا به وهناك قبض عليهما وبعد الفراغ من قتلهما مثلوا بهما تمثيلا شنيعا وقد شد كل واحد منهما بحبل وحصان يسحبه والناس ينظرون إليهما وقد شاهدت وراء جثة عباس السبع جماعة من الناس يهوسون قائلين:(عباس السبع يمطيع التجار) ومن خلفها جثة خماس ابن شاله تحيطها جمهرة من النساء يلطمن ويندبن قائلات:(يهل الزود اطلعوا ثارت الجيلات) والناس يبكون لهذا الحادث الذي تقشعر له الأبدان حتى وصلتا إلى ساحة السراي وبقيتا مطروحتين في الشمس إلى وقت الظهر ثم سلمتا إلى أهلها لدفنها.

صالح ابن الدهان:

من لم يعرف صالح ابن الدهان فليعرف انه كان من الأشقياء المعدودين فلقد أقلق رجال الحكومة وأوقعهم في مأزق حرج وأشتغل بالهم طول حياته وله معهم مواقف عديدة وأعنفها موقفه الذي تصادم به مع(السر قومسير) صالح أفندي وجماعته في(القراغول) محلة الفضل وقد دام أكثر من ساعة واحدة سمع خلال أكثر من مئة طلقة والناس فزعون في بيوتهم وقد استحوذ عليهم الخوف والفزع وبعد أن نفذ عتاد الشقي صالح ابن الدهان وظل اعزل فر من تلك الملحمة يريد العبور

إلى جانب الكرخ وعند وصوله إلى الجسر لم يكن يعلم انه يقطع ليلا برفع بابين عنه من الجانب الشرقي والغربي فسقط في النهر وذلك سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م وفي اليوم الثاني أخرجت جثته من النهر وبعد التفتيش عليها وجد في جيبه عشرين ليرة عثمانية ذهب وشمعة ومسدسان و(قامة) صغيرة.

طه ابن الخبازة:

إذا نظرت إلى طه ابن الخبازة تجده رجلا أسمر اللون وسيم الطلعة بها عينان سوداوان تتألق بها الجرأة والأقدام متوسط القامة إذا مشى يمشي بهدوء ورزانة وإذا غضب يتطاير الشرر من عينه، شقي شريف يغض النظر عن أموال الناس وأول عمل من أعماله الذي عرف بها إصراره على عدم إطاعة الحكومة وفراره من(العسكرية) الجندية ومن ذلك الوقت أخذ رجال الجندرمة يطاردونه من مكان إلى مكان وهو لا يكترث بهم.

أخذ أبن الخبازة الشقاوة عن صهره محمود الملقب(ممودي) الذي سيأتي ذكره.لقد كان أبن الخبازة كله أعين ساهرة لحماية أبناء محلته(الفضل) وحراسة دورهم من الذين تعودوا السلب والنهب،ومن أعماله ما رواه لي الحاج جار الله الكرادي قال لي: إن أبن الخبازة لم يكن شقيا جسورا فقط بل كان حارسا أمينا للبساتين التي كانت تحت تصرفنا وكان يقضي أكثر أيامه في البستان المسمى(الربع) الصرافية بعيدا عن أنظار الحكومة وفي ذات يوم دعوته لتناول طعام الغداء معي

قال لي بلهجته البغدادية:(خليها غير وكت) لأن الشط في حالة ازدياد ولا بد من العسكر يأتي لمحافظة السداد وذهب ماشيا على السدة وهنالك شاهد امرأة عائمة في الشط وقابضة على صبي صغير وهي تصارع الأمواج الصاخبة فلم يكن منه إلا وألقى نفسه في الشط وأنقذ المرأة والصبي ونجاهما من الغرق وفي تلك الساعة داهمه رجال الانضباط وتصادم معهم وتوغل في البساتين ونجا منهم، أما كيفية الفتك به أن جماعة من رجال البوليس والجندرمة تقابلوا معه ليلا قرب(الطلسم) والطلسم على مقربة من الباب الوسطاني وهو حصن من حصون بغداد التي جددها الخليفة الناصر لدين الله سنة ٦١٨هـ يقابلها سنة ١٢٢١م وهذا الحصن على طراز الباب الوسطاني أحد أبواب بغداد وأستمر قائما حتى الحرب العالمية الأولى وقد أتخذته الحكومة العثمانية مدخرا للأسلحة والعتاد فاضطرت إلى نسفه أثناء تخلية بغداد، وكان وكرا للأشقياء وعلى مقربة منه تقابل رجال البوليس والجندرمة مع أبن الخبازة ودامت المقابلة زهاء نصف ساعة وقع بها أبن الخبازة قتيلا بعد أن قتل جنديا واحدا وذلك في سنة ١٣٣٠هـ يقابلها ١٩١٢م.

عمران الشيلاوي:

الشقي الذي عاش في عهد الظلم والطغيان، الشقي الذي عاش في وقت كانت القوة الغاشمة تسجن الأحرار وتبعدهم عن الأنظار، الشقي الذي أقام من نفسه على نفسه حارسا يقظا طول حياته، الشقي الذي بات معانقا بندقيته متوسدا مسدسه، الشقي الذي مزق بصوته ظلام الليل

الحالك وأرهب مناوئيه من رجال البوليس والجندرمة، الشقي الذي نجا من صولة الأسد الكاسر وأفلت من بين أنياب الذئب الغادر، هذا هو عمران وهذا هو فتى البوشبل، لقد كان عمرانا شقيا مقداما ارتكب عدة جرائم وأخيرا قبض عليه وزج في سجن القلعة ببغداد وبقي سجينا حتى احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية ولما خرج من السجن أخذ يقاوم حكومة الاحتلال بكل قواه فقبض عليه وسجن في(خان دله) نسبة إلى مالكه عبد القادر دله ثم فر وبقيت السلطة المحتلة تطارده وتقتفي أثره حتى ألقت القبض عليه في مدينة النجف فنقلته منها وسجنته في مدينة الحلة ولم يبق في مدينة الحلة إلا بضعة أيام وفر منها وتصادم مع رجال الشرطة فقتل منهم شرطيان وظلت الحكومة تطارده وهو يتغلب عليها الأمر الذي دفعها أن تدفع جائزة مكافات عشرة آلاف ربية لمن يقبض عليه ولما علم بذلك توجه إلى مدينة الموصل والتحق بالحكومة العثمانية وبعد أن أعلن أطاعته عفيت عنه وعينته موظفا في دائرة الاستخبارات وبقي فيها حتى نزوح العثمانيين عن الموصل فلم يلتحق بهم بل ذهب إلى عشيرته(الكروية) القاطنة في سفح(جبل حمرين) ولما علم به الشيخ خلف الجاسم شيخ مشائخ عشيرة الكروية استقبله استقبالا باهرا ورحب به وأحسن وفادته وبعد مدة من أقامته بين أقربائه وأفراد عشيرته اعتراه مرض وقد اشتد عليه وظل يعاني الآلام من ذلك المرض وأنشد بيت(زهيري) موال وهو:

لمين جفن سوأعيد المجد مني   يقنت بمر الجرا واكريت يالمني

ناديت يا منزل السلوى مع المني   والدهر ياما جيوشه بالمراتب عجب

حتى عجبهم عن طريج الموده عجب   يارفكتي لو طحت ما هو علي عجب

خلي التقادير تأخذ حكمها مني

وبعد أيام قليلة توفي وذلك سنة ١٩١٩م.

محمود الملقب(ممودي):

هو أول الأشقياء المبرزين وزعيمهم الذائع الصيت وقد عاصر الشقي(سمرمد) وقتله لخلاص الناس من شره ولا عجب إذا ما قلت إن(ممودي) شقيا أبيا وبطلا جسورا وقد سمعت ممن أثق به حكاية طريفة عنه وفحواها أن أحد رفقائه جاءه يوما وأسره أن تاجرا يهوديا قد تزوج حديثا وان بداره الواقعة في محلة(قاضي الحاجات) الشورجة اليوم حلي كثيرة فهل توافق على أخذها وظل رفيقه يغريه بمثل هذه الأساليب الخلابة إلى أن قال له(عليها) وهذه الكلمة باصطلاح الأشقياء موافق ولكن على شرط أن أرى التاجر وتدلني على داره وفي هذه الليلة تكون هناك وبعد أن شاهد التاجر اليهودي وعرف موقع داره وجاء الليل سطوا عليها وأول من قدم على باب غرفة الدار(ممودي) ولما فتحها شاهد التاجر اليهودي وزوجته نائمين متعانقين وهناك وقف وخاطب نفسه:(خس عليك أبو شكر لا تسويها) وقال والله لا أنغص عيشهما والتفت يمينا وشمالا فرأى منضدة(ميز) وعليها التحافيات من ذهب وفضة ورأى فوقها كتابا مغلفا بقطعة من حرير علم منه انه كتاب مقدس فأخذه ولسان حاله يقول: في أي كتاب من كتب الله المنزلة وفي أي سنة من سنن أنبيائه أن يعمد الرجال إلى رجل قابع في بيته فينتزع

روحه من بين جنبيه ويفجع فيه أهله وقومه لأنه لا يدين بدينه وفي سطح الدار قال لرفيقه أسرع وانزل قبل أن يداهمنا(القول) والقول جماعة من رجال الأمن كما نوهنا وبعد أن نزلا سارا بأمان وفي الصباح الباكر ذهب(ممودي) إلى التاجر اليهودي بمحله وبعد أن ألقى التحية جلس والتفت التاجر اليهودي أليه وقال له(آمر) وهذه الكلمة مستعملة في بغداد إلى الآن فأخرج(ممودي) الكتاب الذي أخذه من بيت التاجر ووضعه أمامه فما أن وقعت عين التاجر عليه حتى أخذه الوجوم وقال بلهجة الخائف الوجل:(إبدالك هذا اتفليم مالنا مني جابو عندك) فتقدم(ممودي) أليه وحكى له كيف انه سطا على داره ليلا وكيف وجده نائما مع زوجته وقال له لقد اكتفيت بأخذ هذا الكتاب وقد جئت إليك لتشتريه بعشرين ليرة ذهب وإلا أرجعه إلى مكانه وانك إذا اشتريته بهذا المبلغ نبقى أصدقاء مدى الحياة فسكت التاجر قليلا ولم يكن منه إلا أن أنقده المبلغ فانصرف إلى رفيقه وأخبره بما حدث ودفع له عشر ليرات.

الشقي ممودي ينسلب:

ومن غريب ما يحكى عن هذا الشقي أنه بعد أن أعلن توبته وسكنت دورته هدأت حالته في بعض الليالي ذهب لزيارة صديق له في محلة باب الشيخ وعند عودته رجع متأخرا من الطريق المحاذي(للجول) والذي يمر بمقبرة اليهود داهمه رجلان بيد كل واحد منهما مسدس يرومان سلب ما لديه من دراهم وملابس ولما أدرك ما يقصدان أخذ عباءته من كتفه وفرشها على الأرض وأخذ ينزع ملابسه ويطرحها فيها

وقال وهو يضحك:(هذا هو شأن الدنيا يوم لك ويوم عليك) وبعد أن عرفاه من صوته أخذا يعتذران له ويقبلان يديه.

وظل(ممودي) على ما هو عليه من حسن السيرة مع الناس مشفوعة بالتقدير والاحترام وفي أواخر أيامه كف بصره وبقى ملازما داره في محلة الفضل لا يخرج منها حتى وافاه الأجل المحتوم وذلك في سنة ١٣٣٦هـ يقابلها سنة ١٩١٨م بعد احتلال بغداد من قبل البريطانيين.

إبراهيم ابن عبدكة :

لم يكن ابن عبدكه يعرف الشقاوة والجرائم قبل الفتك بأخيه المدعو(عبد حسن) ولا كان يدور بخلده أن يأتي يوم يكون فيه مضربا للأمثال وأول جريمة اقترفها انه ثأر لأخيه الذي قتل في قرية(المواشق) إحدى قرى شهربان ومن ذلك الوقت بدأ يتحين الفرص على قاتل أخيه وأخيرا تم له ما أراد وفي ظهيرة كان الحر فيها شديدا وابن عبدكه جالس في مقهى بمحلة باب الشيخ يراقب الطريق بكل دقة وامعان وما إن علم أن الوقت قد حان وأن الفرصة قد سنحت نهض كالأسد الكاسر وهو قابض على مسدسه وقد وقف شعر شاربه وصرخ بالرجل القادم خذ هذا ثار(أبو نجم) يقصد أخوه وانطلقت من مسدسه عدة طلقات استقرت في صدره أردته قتيلا ثم خف إلى جواد اعد له وامتطاه وانطلق الجواد ينهب الأرض نهبا متوجها إلى مدينة بعقوبة، وهذا القتيل هو(جواد) الذي قتل شقيق ابن عبدكه ومن هذه الحادثة شاع صيت ابن

عبدكه ودوى صوته في فضـــاء لـــواء ديـــالى وبســـاتين(خرنابـــات) وأحراش(العبارة) قرية قرب خرنابات.

وبعد مرور أيام قلائل وردت الأنباء من بعقوبة أن ستة من رجـــال الجندرمة قتلوا بنتيجة اصطدام وقع بينهم وبيـــن ابـــن عبدكـــه وبـــهذه الجريمة النكراء أصبح ابن عبدكه غريم الحكومة وطريـــد الجندرمـــة والبوليس وكل اصطدام يقع ترجع منه رجال الحكومة خاسرة وفي يـــوم قائض داهم ابن عبدكه بقرية(العيارة) أشخاص متنكرين ولم يكن من ابن عبدكه إلا أن صوب نحوهم بندقيته وانهال عليهم بـــإطلاق الرصـــاص فدحرهم بعد أن قتـــل منـــهم اثنيـــن وهمـــا(نجـــم الزهـــو العـــزاوي) ورفيقه(علوان) ولما علم ابن عبدكه بقتل نجم الزهو العزاوي عض على إصبعه وقال(قتلت رجلا يسوه عشيرة) لأن نجم الزهو كـــان صديقـــا حميما لأبن عبدكه وكان يضاهيه بشجاعته وجرأته، وعلى أثـــر هـــذه الحادثة اهتمت الحكومة العثمانية لها لأنها فقدت رجلا من خيرة رجالها الأقوياء واتخذت الإجراءات الصارمة وأرصدت مكافآت مالية كـــبرى لمن يلقي القبض على ابن عبدكه حيا أو ميتا وقد أخذ الرجال يســـعون للفتك به طمعا في الجائزة فلم يظفروا به وقد نسى عبدكه أن القضـــاء والقدر لا مفر منهما وبين عيشة وضحاها اعترى ابن عبدكـــه مـــرض أقعده عن الحركة وأخبر أحد سكان قرية(خرنابات) الحكومة بما طـــرأ على ابن عبدكه فألقى القبض عليه وزج في ســـجن بعقوبـــة انتظـــارا لمحاكمته لينال جزائه وقضى في سجنه عشرة أشهر استطاع بعدهـــا أن يفلت منه وظل ملتبسا بجرائمه يسطو على هذا ويفتك فـــي ذاك غـــير هياب ولا وجل إلى أن احتلت بغداد من قبل الجيوش البريطانية وفـــي

الاحتلال كانت قوة إنكليزية يقلها قطار كركوك قاصدة بغداد وعند وصول القطار إلى مدينة شهربان هاجمها رجال من العرب وكان في القطار السياسية الإنكليزية(مس بل) وفي ذلك الوقت يستطيع المهاجمون العرب أن يتغلبوا على القوة الإنكليزية ويأسروا(مس بل) وعلى حين غرة جاء ابن عبدكه ورأت(مس بل) مبلغ الاحترام له من الذين هاجموا القطار وظنته رئيسهم فاحتمت به وحماها وأوصلها إلى بغداد بدون أن يمسها بأذى ولهذا العمل الإنساني طلبت منه اسمه وعنوانه لتجازيه على عمله هذا معها ومرت الأيام والأشهر وابن عبدكه يتجول في بساتين(العيارة) وقد أخذ الحذر التام من أقرباء(نجم الزهو العزاوي) لأنه على علم منهم لابد أن يثأروا لقتيلهم ولو بعد حين وفجأة جاءته الأخبار إن ابن عمه المدعو(محمد دارا) قد قتل لثأر قديم فتألم لهذا الخبر وعلى أثر سماعه له اعترته حمى شديدة سقط من جرائها طريح الفراش وبقيت الحمى ملازمة له ورجال الحكومة تضيق عليه الخناق فاضطر إلى مغادرة لواء ديالى إلى لواء الحلة وسكن ناحية(المحاويل) وكان الحكم العربي قد استقر في العراق وفي ١٤حزيران سنة ١٩٢٤م كان ابن عبدكه طريحا في فراشه من الحمى التي اعترته وفي صباح الباكر شاهد ثمانية من رجال الشرطة قد أحاطوا به من كل جانب شاهرين أسلحتهم بوجهه فلم يستطع مقاومتهم فقبضوا عليه وأرسل مخفورا إلى بغداد وبعد المرافعة صدر عليه الحكم بالإعدام شنقا حتى الموت وما أن سمعت(مس بل) محاكمة الرجل الذي حماها وأنقذها خفت إلى بغداد وتوسطت له لدى الجهات المسؤولة لتخفيف حكمه وبالنتيجة نقض قرار الحكم تمييزا وبدل الحكم الشنق بالحبس لمدة

عشرين عاما بالأشغال الشاقة فقضى منها أثنى عشر عاما وخرج من السجن سنة ١٩٣٦م وعند خروجه عطفت عليه الحكومة وعينته مراقبا للآثار في بابل ونسى(ابن عبدكه) أيام جبروته وشقاوته وظل قابعا في داره يتقاعس من عظم الأمراض التي ألمت به والشلل الذي أصابه النصف الأيسر من جسمه بعد الثمانيين من عمره وإذا كان ابن عبدكه غفل أو تغافل فان الله ليس بغافل.

مقتل ابن عبدكة:

إن الفتى الصغير الذي وقف عند رأس أبيه المحتضر نجم الزهو العزاوي يسمع لحشرجته الأخيرة وهو يقول له قتلني إبراهيم واغرورقت عين الفتى من رهبة الموت وألم اليتم هاهو اليوم يأتي وذكرى تلك الوقعة الرهيبة ماثلة أمام عينيه ويحل مدينة الحلة يكيل لابن عبدكه الصاع بالصاع ويأخذ بثأر أبيه نجم الزهو العزاوي، وفي مساء يوم الأحد (٥) أيلول سنة ١٩٥٤تنطلق رصاصتان بزقاق ضيق ويستقران في جوف ابن عبدكه فيسقط مضرجا بدمائه فينقل إلى المستشفى وأول شيء يسأل عنه ابن عبدكه من الذي أطلق عليه الرصاص فيقولون له سهيل بن نجم الزهو العزاوي فيصرخ قائلا(ليش احنه ما توافينا أني قتلت أبوه وعمامه قتلوا ابن عمي) وهكذا انطوت صحيفة رجل كان يضرب المثل بشقاوته(قابل أنت ابن عبدكه) فسبحان القهار وبعد محاكمة سهيل بن نجم الزهو العزاوي حكم عليه بالسجن

لمدة عشرين سنة وهو الآن يقضيها بين جدران السجن المركزي ببغـداد وهو فخور بهذا الحكم.

سلاح الأشقياء:

كانت الحكومة العثمانية لا تملك من الأسلحة في عهد الوالي مدحت باشا غير(الطواب) جمع طوب أي مدفع و(شيشخانلي تفنك) أي بنادق شيشـــخان وهي سلاح الجندرمة والجنود، أما ســـلاح الأهـــالي كـــان مـــن الأســلحة النارية(بشتاوه) و(قره بينه) وفرد وهذه الأسلحة تحشى بالبارود والصجم وهو نوع من الحديد معمول قطع صغار للدخول في فوهة هذه الأسلحة وبتوالـــي الأيام زودت الحكومة جيشها ببنادق(القباغلي) وبالأخير أضافت إلـــى هــذه البنادق بنادق(مارتينلي) وأهل بغداد يسمونها(ماطلي) وحينما أعلن الدســتور العثماني(الحرية) انهالت أنواع الأسلحة النارية وأغلبها مسدسات جمـــع مسدس وأينما تسير في أسواق بغداد ومحلاتها تجدها ظاهرة للعيان حتى أصبحت الأسواق شبه معرض لأنواع الأسلحة وتباع علـــى مـــلأ مـــن الحكومة وأنواع تلك الأسلحة منها(مسدس كسر) و(قره داغ) نسبة إلـــى حكومة(الجبل الأسود) أي يوغسلافيا اليوم و(بلدك) وهو مسدس صغـير يوضع في الجيب والمسدس يسمى في بغـــداد(ورور) و(تـــك)، ومـــن الآلات الجارحة(خنجر دبان) وهو أحسن أنواع الخناجر و(قربيــــن) أو قزوين نسبة إلى بلدة في إيران و(أر ويلي)نسبة إلى بلدة(اربيل) وهـــذا الخنجر طويل الحجم وفيه قليل من الانحناء و(أكاديمي) بالكاف الفارسية وهو صغير كثير الانحناء و(قامة) و(سيف) و(جلتيانة) و(قليج) وهـــو سيف خاص بضباط الجيش، وإذا كانت هذه الأسلحة متوفرة في بغـــداد

كيف لا يقتنيها الشقي ويقوم بها في وجه الحكومة ناهيك عن البنادق التي تباع للعشائر بأبخس ثمن لغرض سياسي كان لا يخفى على الحكومة العثمانية يومئذ.

الجسور في بغداد

لم يكن في بغداد في العهد العثماني جسور عامرة لها مكانتها بين الجسور ولقد كان أهل بغداد يقاسون أشد المتاعب في عبور شط دجلة من جانب إلى الجانب الآخر في مواسم الفيضان ولم تكن هناك واسطة غير القفف جمع قفة والقوارب جمع قارب أي(بلم).

جسر قراره (كراره):

وفي أيام الوالي مصطفى عاصم باشا سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م انشأ جسر ونصب في معبر(قراره) وهو مكون من عوامات خشبية، وقد أرخ عام نصبه الشاعر جميل الزهاوي بقوله:

هو ذاك جسر قد تمدد — فوق دجلة بالمهارة
في قرب بغداد بمعبرة — يقال لها (قراره)
جمع المتانة والصيانة — والرزانة والنضارة
أنشأه عاصم الذي — تزهو بطلعته الوزارة
إذ تم قلت مؤرخا — جسر تمدد في قراره

جسر الخر أو المسعودي:

في يوم الخميس ٢٨ شعبان سنة ١٣١٥هأ يقابلها سنة ١٨٩٧م أجري افتتاح جسر الخر بحضور الوالي عطا باشا والمشير رجب باشا وأكابر رجال الدولة من عسكريين وملكيين وقد سمي الجسر (الحميدي) ولكن الناس لا زالوا يسمونه جسر (الخر) وهو إلى الآن قائم وصالح للمرور.

جسرا بغداد والاعظمية:

كان في بغداد جسران: جسر في الاعظمية وجسر في بغداد، الأول يسمى جسر الاعظمية والثاني جسر بغداد وكلاهما مصنوعان من الألواح الخشبية بشكل عوامات ويقال لها(جساريات) جمع جسارية مربوطة بسلاسل غلاظ وقد مدد الجسر على ضفتي الشرقية والغربية وتحت جسر بغداد مجال واسع للمقاهي وبائعي المأكولات والسكاير وكلما انقطع الجسر عن العبور بمناسبة الفيضان وأعيد اتصاله احتفلوا بذلك احتفالا عظيما(شبه زفة) فيخرج الأهالي بالمزامير والطبول فرحون باتصال الجسر والعبور عليه وقد دام جسر بغداد على هذه الحالة حتى أيام الوالي نامق باشا الصغير، ثم تخرب واصبح لا يصلح المرور عليه ولما وقعت عين نامق باشا عليه وجده غير لائق ببغداد

فأمر بإنشاء جسر من الطراز الحديث وقامت بعمله مدرسة الصنائع فكان على جانب عظيم من الأبهة والزينة.

يحتوي على مقاهي عصرية فكانت أبهى منظر على نهر دجلة، وفي ٢٦جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ يقابلها سنة ١٩٠٢م نصب الجسر وقد أرخ عام نصبه الشاعر عبد القادر شنون بقصيدة:

هي الحضارة ما تعلو به الرتب ... وما سوى العدل في الدنيا هي السبب
واليوم أضحت بملك ساسه ملك ... من آل عثمان مضروبا له الطنب
عبد الحميد الذي دامت فما اقتدرت ... تحصي مناقبه الكتاب والكتب
هو المليك فلا تعدل به ملكا ... سواه إذ ما تساوى النبع والغرب
أيام دولته الغراء تحسبها ... عقدا تحلى به أجيادها الحقب
ملك تود نزولا عند مربعه ... لتلثم الكف منه سبعة الشهب
مؤيد بجنود من مهابته ... أسيافه الرأي لا الهندية القضب
تقلد العدل سيفا في الأنام وكم ... له من الحزم فيهم عسكر نجب
أحسن به سيف عدل في تقلده ... دامت له الروم والاعجام والعرب
أدام سيب الندى حتى لقد حسدت ... ندى يديه بحار الأرض والسحب
وكيف تنهل سحب قطرها مطر ... وليس بحسدن سحبا قطرها ذهب
فأصبح الملك مطلول الرياض به ... تود من أرضه الخضراء تقترب
هذا العراق أجل طرفا بخطته ... يبدو لعينيك فيه ما هو العجب
وانظر إلى ساحة الزوراء تلق بها ... لنامق هم‍ما زالت بها الكرب
ذاك الوزير الذي دار السلام به ... ماست من الفخر عطفا هزه الطرب
كانت مريضة جسم قبله فأتى ... وهو الطبيب وفيها الداء منتشب
حتى تتبع أقصى دائها فبدا ... فيها الشفاء وزال السقم والوصب
فكم له من أياد في مرا بعها ... وكم من مساع شكرها يجب

سعى بتجديد جسر من تكـــــرره　　كانت سفائنه كالماء تضطـــــرب
فعاد جسرا على العشري العبور لمن　　رام العبور عليه التيه والعجـــــب
كل البدائع جاءت في صنائعـــــه　　مستبدع الصنع مامونا به العطــــب
كأنه ووضوح من طرائقـــــــه　　مهند منتضى في متنه شطـــــب
كأنما كل فلك من محاسنـــــــه　　فريدة وشيت أثوابها القشــــــب
تستوقف العابر العجلان صنعتـــــه　　فيقصر الخطو فيه وهو مرتقـــب
إذ قال واصفه فاق الحديد فـــــلا　　تعجب فرب حديد فاقه الخشــــب
فقلت مذ مد منصوبا أؤرخـــــــه　　جسرا لدجلة في الزوراء قد نصبوا
١٣٢٠هـ

وقد أرخه الأستاذ فهمي المدرس وهو من أعجب التواريـــخ حيــث قال

وبمعجم الألفاظ أرخ قائلا　　مروا عليه ذا صراط مستقيم

عزل نامق باشا:

ومما يروى والعهدة على الراوي أن والي بغداد نامق باشـــا بلـــغ بعزله عن ولاية بغداد يوم أفتتاح الجسر والمرور عليه حسب القواعـــد المتبعة وقد أفتتحه قاضي بغداد بصفته وكيلا للوالي وهو الذي أجـــرى مراسيم افتتاحه وقد أرخ عام عزل الوالي نامق باشا شـــاعر مجـــهول بقوله:

قوموا بنا يا بني الزوراء نبتهل　　فمن قريب جميع الخزي يرتحـــل
الله أكبر زال الشك وارتحلـــت　　عنا الهموم وزال الخوف والوجل

قد جاءكم خير فال من مؤرخه   بشرى فنامق بعد الجسر ينعــزل
١٣٢٠هـ

وفي يوم الاثنين ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٦م أبان الحرب العالمية الأولى نقل هذا الجسر إلى جهة سلمان باك وعند نزوح العثمانيين من بغداد احرق وظل يشتعل طول النهار والليل.

الحرب بين أبن الرشيد وأبن سعود

ومن المصائب التي حلت ببغداد والتي لم يزل يذكرها أهلها بكل حزن وأسى مصيبة الحرب التي وقعت بين أبن الرشيد وأبن سعود وأهل بغداد يسمونها(وقعة ابن رشيد) وأنهم فقدوا فيها خيرة أبنائهم الذين ذهبوا ضحية العطش والجوع فقد كانت الحكومة العثمانية مؤيدة لابن الرشيد رأت وجوب معاضدته فأمرت بتجهيز الجيش يوم كان أحمد فيضي باشا وكيلا لولاية بغداد ويعرف هذا ببغداد ب(الكوسه) وهو وأن كان ذا شوكة وعقل راجح فانه كان غير عفيف ولقد انتهز فرصة تجهيز هذه الحملة المشؤومة فجمع بواسطتها أموال كثيرة.

وفي سنة ١٩٢٢هـ يقابلها سنة ١٩٠٤م تحرك الجيش من بغداد قاصدا(الرياض) عاصمة المملكة السعودية اليوم وبعد الخوض في غمار الحرب أياما وشهورا أنفل جمع الجند وتشتت شمله لعدم وصول المؤنة والإعاشة إليه ومات أكثره جوعا وعطشا وفي ذلك نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان(أيقاظ الرقود) يصف بها حالة الجند وما حل به في هذه الوقعة المشؤومة وهي:

إلى كم أنت تهتف بالنشيد وقد أعياك أيقاظ الرقود
فلست وان شددت عرى القصيد بمجد في نشيدك أو مفيد
لأن القوم في غي بعيد
إذا أيقظتهم زادوا رقادا وإن أنهضتهم قعدوا وآدا

فسبحان الذي خلق العبـــادا   كأن القوم قد خلقوا جمادا
وهل يخلو الجماد من الجمود
أطلت وكاد يعييني الكلام   ملاما دون وقعته الحسام
فما انتبهوا ولا نفع الملام   كأن القوم أطفال نيـــام
تهز من الجهالة في مهود
إليك إليك يا بغداد عنـــي   فأني لست منك ولست مني
ولكني وإن كبر التجنـــي   يعز علي يا بغداد أنـــي
أراك على شفا هول شديد
تتابعت الخطوب عليك تترى   وبدل منك حلو العيش مرا
فهلا تنجبين فتى أغـــــرا   أراك عقمت لا تلدين حرا
وكنت لمثله أزكى ولود
أقام الجهل منك له شهـــودا   وسامك بالهوان له السجودا
متى تبدين منسك له جحـــودا   فهلا عدت ذاكرة عهـــودا
بهن رشدت أيام الرشيد
زمان نفوذ حكمك مســتمر   زمان سحاب فضلك مستدر
زمان العلم أنت له مقـــر   زمان بناء عزك مشمخـــر
وبدر علاك في سعد السعود
برحت الاوج ميلا للحضيض   وضقت وكنت ذات علا عريض
وقد أصبحت في جسم مريض   وكنت بأوجه للعز بيـــــض
فصرت بأوجه للذل سود
ترقى العالمون وقد هبطـــــنا   وفي درك الهوان قد انحططنا
وعن سنن الحضارة قد شحطنا   فقطنا يا بني بغداد قطــــنا

إلى كم نحن في عيش القرود

ألم تك قبلنا الأجداد تبنـــــي   بناء للعلوم بكـــــل فنــــي
لماذا نحن يا أسر التمني   أخذنا بالتقهقر والتدنــــي

وصرنا عاجزين عن الصعود

كأن زحل يشاهد ما لدينا   لذاك أحمر من حنق علينـــا
فقال موجها لوما إليـــــنا   لو أني مثلكم أمسيت هيـــنا

إذن لنضوت جلباب الوعود

ركدتم في الجهالة وهي تعشي   وعشتم كالوحوش أخس عيش
أما فيكم فتى للعز يمشــــــي   تبارك من أدار بنات نعــش

وصفدكم بأصفاد الركود

حكيتم في توقفكم جديـــــا   فصرتم كالصها شعبا خفــيا
ألا تجرون في مجرى الثريا   تؤم بدورها فلكا قصيــــــا

فتبرز منه في وضع جديد

حكومتنا تميل لباخسيــــها   مجانية طريق مؤسسيـــــها
فلا يغررك لين ملامسيها   فهم كالنار تحرق لامسيـــها

وتحسن للنواظر من بعيد

لقد غص القصيم بكل نذل   وأمسى من تخاصمهم بشغل
فريقا خطتي غي وجهـــل   فلا الخصمين ليس له بأهل

ولكن من لتنكيل المريد

إليهم أرسلت بغداد جنـــــــدا   ليهلك فيه من عبث ويفـــدي
لقصد ابن الرشيد أضاع قصدا   فلا يابن الرشيد بلغت رشدا

ولا بلغ السعود ابن السعود

مشوا يتحركون بعزم ســاكن   ورثة حالهم تبكي الأماكن
وقد تركوا الحلائل والمساكن   جنود أرسلت للموت لكن
بفتك الجوع لا فتك الحديد

قد التفعوا بأسمال بــوال   مشاة في السهول وفي الجبال
يجدون المسير بلا نعــال   بحال للنواظر غير حـــال
وزي غير ما زي الجنود

مشوا في منهج جهلوه نهجا   يجوبون الفلا فجا ففجـــا
إلى حيث السلامة لا ترجى   فيا لهفي على الشبان تزجى
على عبث إلى الموت المبيد

وكل مذ غدا للبيت أمــــا   فودع أهله زوجا وأمـــا
وضم وليده بيد وشمـــا   بكى الولد الوحيد عليه لما
غدا يبكي على الولد الوحيد

تقول له الحليلة وهو مــاش   رويدك لأبرحت أخا انتعاش
فبعدك من يحصل لي معاش   فقال ودمعه بادي الرشاش
وكلتكم إلى رب ودود

عساكر قد قضوا عريا وجوعا   بحيث الأرض تبتلع الجموعا
إلى أن صار أغناهم ربوعــا   لفرط الجوع مرتضيا قنوعا
لقد لو أصاب من الجلود

هناك قضوا وما فتحوا البلادا   هناك بأسرهم نفدوا نفــادا
هناك بجيرة عدموا الرشـــادا   هناك لردعهم فقدوا الرقادا
هناك عروا هناك من البرود

أناديهم ولي شجن مهيـــج   وأذكرهم فينبعث النشيج

ودمع محاجري دمع مزيج ألا يا هالكين لكم أجيج

ذكا بحشاي محتدم الوقود

سكنا من جهالتنا بقاعـــا يجور بها المؤمر ما استطاعا

فكدنا أن نموت بها ارتياعا وهبنا أمة هلكت ضياعـــا

تولى أمرها عبد الحميد

أيا حرية الصحف ارحمينا فأنا لم نزل لك عاشقينـــا

متى تصلين كيما تطلقينا عدينا في وصالك وامطليـنا

فأنا منك نقنع بالوعود

فأنت الروح تشفين الجروحا يحرج فقدك البلد الفسيحـــا

وليس لبلدة لم تحو روحـــا وإن حوت القصور أو الصروحا

حياة تستفيد لمستفيد

أقول وليس بعض القول جدا لسطان تجبر واستبـــدا

تعدا في الأمور وما استعـدا ألا يا أيها الملك المفـــدى

ومن لولاه لم نك بالوجود

انم عن أن تسوس الملك طرفا أقم ما تشتهي زمرا وعزفـا

أطل نكر الرعية خل عرفـــا سم البلدان مهما شئت خسفـا

وأرسل من تشاء إلى اللحود

فدتك النفس من ملك مطاع ابن ما شئت من طرق ابتداع

ولا تخش الآله ولا تراعي فهل هذي البلاد سوى ضياع

ملكت أو العباد سوى عبيد

تنعم في قصورك غير دار أعاش الناس أم هم في بوار

فأنك لم تطالب باعتـــذار وهب أن الممالك في دمـــار

أليس بناء يلدز بالمشيد

جميع ملوك هذي الأرض فلك	وأنت البحر فيك ندى وهلك
فأنى يبلغون وذاك إفـــــــك	لئن وهبوا النقود فأنت ملك

وهوب للبلاد وللنقود

تأسيس دائرة الطابو:

بعد أن جرى تسجيل الأراضي الأميرية أيام الوالي مدحت باشا في بعض أنحاء العراق شرع في تسجيل الأملاك وكانت تسجيلات البيــوع تجري آنذاك في المحكمة الشرعية للمســـلمين وفـــي الكنــائس لغــير المسلمين وتصدر الوثيقة (سند التملك) من تلك المحاكم.

وفي أيام الوالي محمد رؤوف باشا سنة ١٢٨٩هـ يقابلــها ١٨٧٢م تشكلت دائرة الطابو في بغداد واستمرت في تسجيل الأملاك غير أنه لـم يجر بوجه صحيح كما هو اليوم إلا في أيام الوالي عبد الرحمــن باشــا بنفس السنة فتهافت الناس عليها وأخذوا يسجلون أملاكهم بعد أن كـــانوا يجهلون فوائد الطابو ومزاياه والمحاذير الناتجة عن عدم التسجيل.

البريد والبرق:

كان البريد في بغداد يسمى(بوسته) ومحله يسمى(بوسته خانه) ولــم يكن منظما وكثيرا ما كنت أشاهد صاحب البريد يأتي من باب المعظــم ممتطيا جواده وبيده(قمجي) سوط يلوح به في الهواء وأمامه عدد مـــن

الخيل تحمل البريد وتركض وهو ينادي بصوته الجهوري(بوسته كلدي) أي جاء البريد تنبيها للناس، والناس حينما يسمعون يذهبون إلى دائرة البريد يجتمعون في ساحتها ودائرة البريد تقع في محلة الميدان وقد ذهبت ضمن شارع حسان بن ثابت الآن وبعد اجتماع الناس بضمنهم التجار وأصحاب المراسلات يأتي الموظف المختص بتوزيع الرسائل ويقف يتلو عناوين الرسائل الواردة من الخارج ويعطيها إلى أصحابها الحاضرين والرسائل التي لم يحضر أصحابها توزع عليهم بمحلاتهم بواسطة(بوسته جيه) أي موزعين والموزع الذي يوزع الرسائل الواردة إلى أصحابها في محلاتهم يتناول عن كل رسالة عشرة بارات (بخشيش) أي هدية.

أما البرق فكان يسمى(تلغراف) ومحله يسمى(تلغرافخانه) وفي سنة ١٣٢٠هـ يقابلها سنة ١٩١١م وضع حجر أساسي لبناية دائرة للبريد والبرق جديدة في محلة الميدان مقابل مدرسة الإعدادية المركزية للبنين الآن وتم بناؤها سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م وقد أجريت مراسيم افتتاحها بحضور الوالي حسين جلال بك وأكابر الموظفين وهي باقية إلى الآن وتسمى دائرة البريد المركزي.

مطبعة دار السلام:

وأول مطبعة أسست في بغداد بعد مطبعة الحكومة هي مطبعة(دار السلام) ومحلها في سوق السراي وقد بدأت أعمالها في ٢٨ ربيع الأول سنة١٣٠٩هـ يقابلها سنة ١٨٩١م أيام الوالي الحاج حسن باشا وقد طبع

بها الخـــط الســـلطاني ودســـتور قـــانون الأساســـي باللغـــة العربيـــة سنة١٣٢٦هـ.

إعلان الدستور العثماني

(الحرية)

في ١٠ تموز سنة ١٣٢٤ رومية قابلها ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩٠٨م أعلن الدستور العثماني أي الحرية وخرج الناس من دورهم زرافات ووحدانا قاصدين سراي الحكومة رافعين أعلام الفرح والسرور ووجوههم ضاحكة مستبشرة وقد كتب على الأعلام بالقلم العريض هذه العبارة: (حريت عدالت مساوات أخوت) وعقدت الاجتماعات وتليت الخطب والقصائد وأحس الناس أن قيود الذل والعبودية التي كبلوا بها منذ٣٣ سنة قد تحطمت وانهم اصبحوا أحرارا في تصرفاتهم ومقدراتهم وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان (تموز الحرية) يشيد بهذا الشهر الأغر وذلك الحدث التاريخي وهي:

إذا انقضى مارت فاكسر بعده الكوزا	وأحفل بتموز إن أدركت تموزا
أكرم بتموز شهرا إن عاشره	قد كان للشرق تكريما وتعزيزا
شهر به الناس قد أضحت محررة	من رق من كان يقفو أثر جنكيزا
سل أهل باريز عن تموز تلق لهم	يوما به كان مشهودا لباريزا
كانت لهم فيه لما ثار ثائرهم	بسالة هدت البستيل مبروزا
وأن تموز شهر قام فيه لنا	على البقاع لواء العز مركوزا
في شهر تموز صادفنا لما وعدت	بيض الصوارم بالدستور تنجيزا
هي المساوات عمتنا فما تركت	فضلا لبعض على بعض وتمييزا

أمست لنا قسمة في المـــلك عادلة　　حكما وكانت على علانها ظيزى
كنا من الجور عميانا وليـــس لنـا　　من قائدين ولم نملك عكاكـــيزا
حتى نهضنا إلى العليـــا تقدمـــنا　　عصابة برزت في المجد تبريزا
إن تلقهم تلق منهم في الوغى جيـلاً　　أو هجتهم للمنايا هجت رامـــوزا
قوم إذا طمعوا في حـــومة تخـذوا　　قصاصهم من قحوف القوم لا الشيزا
قمنا على المـلك الجبـــار تقرعـــه　　بالسيف منصلت والرمح مهزوزا
حتى تركنا وفي الهيـــجاء معضلـــة　　ألقت ضراماً على الطاغين مأزوزا
أنا لنأبى علـــى الطاغـــي تهضمـــنا　　حتى نهوز في الهيجـــاء تهويزا
ونا كل الموت دون القـــــرنمضغه　　كمضغنا التمر برنينا وسهـــريزا
وعاش من لايخوض الموت مرتضياً　　بقاءه بعصى الذل موكــــــوزا
راعت سلانيك دار المـــلك فانتبهت　　من ذاك طهران تخشي أمر تبريزا
حتى غدت وهي في تموز ناكســـة　　وبات شاه رماه الخلع مجنـــوزا
فالشاه في شهر تموز هوى وكـــــذا　　عبد الحميد هوى في شهر تموزا
يا شهر تموز لا راعــتك راعيـــــة　　ولا لقيت من الأحداث ارزيـــزا
ياشــــهر تموز قـــد زينت رايتنـــا　　بالعـــدل توشية فيها وتطريـــزا
من لي بأنجم الأفق انظمـــــــــها　　قصائدا فيك مدحا اواراجـــيـــزا
أو تحت المـــاس أقلامـــا مقرضـــة　　أمدهـــا ذهبا في الطرس ابريـــزا
واجعل الجو في تمـــــوز امدحــــه　　طرسا أجادته كف النور ترزيزا

الصحافة في بغداد:

الصحافة صدى الحقائق للأمة تنطق بأسم الجمهور وهي المرآة الصافية لآراء أفراد الشعب تعكس صورهم وتمثل رغباتهم فتنشر ما يهمهم وتكتب ما يروقهم وتدافع عن مصالحهم وتجعلها فوق كل شئ.

الصحافة تتطلب حرية ولولا الحرية لم تكن صحافة وعلى أثر إعلان الدستور العثماني وهبوب نسيم الحرية أخذ الناس يتنفسون الصعداء فقام المفكرون في بغداد وأخذوا يسعون السعي الحثيث لاستنشاق هذه النسمات فأقدموا على إصدار الجرائد والمجلات فصدرت صحف كثيرة سياسية وأدبية وهزلية.

الجرائد:

إن أول جريدة صدرت في بغداد بعد جريدة الزوراء هي جريدة:

بغداد:

كانت جريدة سياسية أصدرها باللغة العربية في بغداد مراد بك فبرز عددها الأول في أول يوم من كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

العراق:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد عبد الجبار باشا الخياط فبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

الرقيب:

جريدة عربية سياسية أصدرها في بغداد عبد اللطيف جلبي ثنيان فبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٩م.

الإرشاد:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد فريد أفندي فبرز عددها الأول في ١٢ شباط سنة ١٩٠٩م.

الانقلاب:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد ثريا و.م رؤوف فبرز عددها الأول في ٢١ مارس سنة ١٩٠٩م.

التعاون:

أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية رشيد أفنـــدي فـبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩٠٩م.

الروضة:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد عبد الحسين الأزري فـــبرز عددها الأول في ٢٢حزيران سنة ١٩٠٩م.

الحقيقة:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغة العربية طلعت أفندي فـبرز عددها الأول في ٩تموز سنة ١٩٠٩م.

صائب:

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد م. عـــارف أفنـــدي فـبرز عددها الأول في ٣ آب سنة ١٩٠٩م.

صدى بابل:

جريدة سياسية عربية أصدراها في بغداد داود صليوا ويوسف غنيمة فبرز عددها الأول في ١٣آب سنة ١٩٠٩م.

الزهور:

جريدة سياسية عربية تركية أصدراها في بغداد نسيم يوسف سوميخ ورشيد أفندي الصفار فبرز عددها الأول في ٤تشرين الثاني سنة ١٩٠٩م.

بين النهرين:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد كامل أفندي الطبقجلي.

(فليتخ)أي السيف:

جريدة سياسية أصدرها في بغداد باللغتين التركية والعربية حسين فوزي أفندي فبرز عددها الأول في ٣١كانون الأول سنة ١٩٠٩م.

الرياض:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد سليمان أفندي الدخيل فبرز عددها الأول في ٧كانون الثاني سنة١٩١٠م.

(يلدرم) أي الصاعقة:

جريدة سياسية أصدرها باللغتين التركية والعربية محمد نجيب ثنيان فبرز عددها الأول في ٩كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

الظرائف :

جريدة عربية تركية أصدرها في بغداد أبو الصفا طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ١٧ كانون الثاني سنة ١٩١٠م.

أخوت:

جريدة عربية فارسية أصدرها في بغداد الحاج محمد تقي اليزدي فبرز عددها الأول في ٣نيسان سنة ١٩١٠م.

الرصافة:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغـــداد الســـيد محمـــد صـــادق الأعرجي فبرز عددها الأول في ١٧ حزيران سنة ١٩١٠م.

مصباح الشرق:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٠م.

صائب:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفنـــدي فبرز عددها الأول في ١١آب سنة ١٩١٠م.

سبيل الرشاد:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمد بهجت أفندي فـــبرز عددها الأول في ٢٨ أيلول سنة ١٩١٠م.

الوجدان:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها أبو الصفا طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ١٢ كانون الأول سنة ١٩١٠م.

خان جغان:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد طلعت أفندي فبرز عددها الأول في ٥ مارت سنة ١٩١١م.

خان الذهب:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفندي لطفي فبرز عددها الأول في ٢٢مارت سنة ١٩١١م.

سيف الحق:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عثمان أفندي نوري فبرز عددها الأول في ٣٠ مارت سنة ١٩١١م.

البلبل:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفنـــدي لطفـــي فبرز عددها الأول في ١٦ نيسان سنة ١٩١١م.

أفكار عمومية:

جريدة سياسية تركية عربية أصدراها في بغداد حسين عوني أفندي ونزهت كامل فبرز عددها الأول في ٨ نيسان سنة ١٩١١م.

(يكي موده) الموده الجديدة:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبد الرحيم أفندي صـــــائب فبرز عددها الأول في ٤ مايس سنة ١٩١١م.

(كرمه ونرمه) حار وبارد:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فـــبرز عددها الأول في ١٦ مايس سنة ١٩١١م.

الأسرار:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد عبد الرحيم أفندي صائب فبرز عددها الأول في ٢٣ مايس سنة ١٩١١م.

الصاعقة:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عبد الكريم الشيخلي فبرز عددها الأول في ٨ حزيران سنة ١٩١١م.

المصباح:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في أول آذار سنة ١٩١١م.

دونبد:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد لطفي أفندي فكرت فبرز عددها الأول في ٦ أيلول سنة ١٩١١م.

النوادر:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد محمود أفندي الوهيب فبرز عددها الأول في ٦ أيلول سنة ١٩١١م.

المصباح الأغر:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد الحاج عبد الحسين الأزري فبرز عددها الأول في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١١م.

الحقوق :

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد معـــروف أفنــدي فــبرز عددها الأول في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٩١١م.

المضحكات:

جريدة هزلية عربية أصدرها في بغداد محمد سعيد أفنــدي لطفـــي فبرز عددها الأول في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٩١٢م.

القسطاس:

جريدة سياسية عربية أصدراها في بغــداد عبـد الجبــار أفنــدي الأعظمي ومحمد هادي أفندي فبرز عددها الأول في ٥ شباط ١٩١٢م.

تفكر:

جريدة سياسية عربية تركية أصدرها في بغداد سلمان عنبر فبرز عددها الأول في ٢١ شباط سنة ١٩١٢م.

المعارف:

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد نادر أفندي فبرز عددها الأول في أول آب سنة ١٩١٢م.

الرياحين:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٨ مارت سنة ١٩١٣م.

شمس المعارف:

جريدة عربية أدبية أصدرها في بغداد إبراهيم أفندي صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣م.

النهضة:

جريدة اجتماعية سياسية عربية أصدراها في بغداد إبراهيم أفنـــدي حلمي العمر ومزاحم الباجه جي فبرز عددها الأول في ٣ تشرين الأول سنة ١٩١٣م.

غنجة اتحاد:

جريدة أدبية تركية عربية أصدرهـــا فـــي بغـــداد صـــلاح الديـــن الكركوكلي فبرز عددها الأول في ٣ كانون الأول سنة ١٩١٣م.

مكتب:

جريدة أدبية عربية تركية أصدرها في بغداد المحامي يونس وهبـــي أفندي فبرز عددها الأول في أواخر كانون الأول سنة ١٩١٣م.

صدى الإسلام:

جريدة سياسية عربية أصدرها في بغداد عطاء الله أفندي الخطيـــب فبرز عددها الأول في ٢٣ تموز ١٩١٥م.

المجـــــــــلات

زهيرة بغداد:

مجلة أدبية شهرية أصدرها في بغداد الآباء الكرمليون فبرز عددهـا الأول في صفر سنة ١٣٢٣هـ يقابلها ٢٥ مارت سنة ١٩٠٥م وكـانت تطبع في(الجلاتين).

الأيمان والعمل:

مجلة دينية على غرار مجلة(زهـيرة بغـداد) أصدرهـا الآبـاء الكرمليون المذكورون فبرز عددها في أواخر صفر سـنة ١٣٢٣هـ يقابلها سنة ١٩٠٥م.

تنوير أفكار:

مجلة دينية سياسية كانت تصدر في بغداد مـرة فـي كـل شـهر صاحبها عبد الهادي الأعظمي ومديرها المسؤول نعمان الأعظمي فبرز عددها الأول في ٢٠ شعبان سنة ١٣٢٨هـ يقابلها سنة ١٣٢٦ رومية.

العلوم:

مجلة علمية أدبية صحية تاريخية أصدرها في بغداد رزوق عيسى فبرز عددها الأول في ٢٧ شوال سنة ١٣٢٨هأ يقابلها أول تشرين الثاني سنة ١٩١٠م.

لغة العرب:

مجلة شهرية أدبية أصدرها في بغداد الأباء الكرمليون فكان الأب أنستاس ماري الكرملي صاحبها والشيخ كاظم ألدجيلي مديرها المؤول فبرز عددها الأول في غرة رجب سنة ١٣٢٩هـ يقابلها تموز سنة ١٩١١م.

الرياحين:

مجلة أدبية تهذيبية أخلاقية كانت تصدر في بغداد مرة في كل شهر موقتا صاحبها إبراهيم منيب الباجه جي ومديرها ومحررها إبراهيم صالح شكر فبرز عددها الأول في غرة جمادى الأول سنة ١٣٢٢هـ يقابلها ١٥ مارت سنة ١٣٢٩ رومية.

الحياة:

مجلة شهرية سياسية اقتصادية تاريخية اجتماعية أصدراها في بغداد إبراهيم حلمي العمر وسليمان الدخيل فبرز عددها الأول في غرة صفر سنة ١٣٣٠هـ يقابلها كانون الثاني سنة ١٣٢٧ رومية.

الرصافة:

مجلة دينية تاريخية علمية أصدرها في بغداد السيد محمد صادق الأعرجي فبرز عددها الأول في جمادى الأولى سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م.

جهاد :

مجلة علمية أدبية أصدرها في بغداد باللغة التركية عثمان عزت آل كاتب الفارسية فبرز عددها الأول في أول نيسان سنة ١٩١٣م.

شمس المعارف:

مجلة عربية علمية أدبية تاريخية أسبوعية أصدرها في بغداد إبراهيم صالح شكر فبرز عددها الأول في ٢٥ نيسان سنة ١٩١٣م.

سبل الرشاد:

مجلة دينية علمية اجتماعية فلسفية تاريخية أصدرها في بغداد محمد رشيد الصفار فبرز عددها الأول في ١٨ آذار سنة١٩١٢ م.

الغرائب:

مجلة فكاهية ذات روايات غرامية ووقائع تاريخية أ صدرها فـــي بغداد المعلم داود صليوا فبرز عددها الأول في شباط سنة ١٩١٣م.

مقتبسات:

مجلة علمية اجتماعية أصدرها في بغداد عيسى أفندي ريـــزه لـــي باللغتين التركية والعربية فبرز عددها الأول في ٦ جمادى الثانية ســـنة ١٣٣٢هـــ يقابلها أول مايس سنة ١٩١٤م.

النور:

مجلة علمية أدبية تاريخية أصدرها في بغداد السيد محيـــي الديـــن فيض الله الكيلاني ومديرها المسؤول عبـــد الجبـــار أفنـــدي ســـعد الله السكوتي فبرز عددها الأول في غرة شعبان سنة ١٣٣٢هـــ يقابلها ســـنة ١٩١٤م.

(بانك كورد) صدى الكرد:

مجلة أدبية أصدرها باللغتين التركية والعربية في بغداد جمال الدين بابان فيرز عددها الأول في ١٣ ربيع الأول سنة ١٣٣٢هـ يقابلها سنة ١٩١٤م.

الألقاب العثمانية

في الدولة العثمانية ألقاب متعددة أولها(خان) بمعنى الحاكم وقد ألحقت هذه الكلمة بأسماء سلاطين آل عثمان للاحترام مثل السلطان عبد الحميد خان ابن السلطان عبد المجيد خان، ومنها (باشا) مكونة من باش آغا والآغا الرئيس وقد استعملت عنواناً في الدولة العثمانية لأصحاب المناصب من عسكريين وملكيين والوزراء، ومنها(بك) بمعنى الكبير والحاكم والرئيس وهي عنوان لابناء الذوات ولأصحاب المناصب والرتب الملكية والعسكرية المتوسطة،ومنها(أفندي) وهي عنوان لأسماء صغار الموظفين في الدولة وتلحق بأسماء أولاد السلاطين للاحترام، وفي سنة ١٣٢٧هـ يقابلها سنة ١٩٠٩م قرر مجلس التركي إلغاء ألفاظ التعظيم وبهذا زالت عثرة كبيرة في أسلوب التحرير والكتابة في الدوائر التركية.

العرائض في اللغة العربية:

كانت الحكومة العثمانية لا تسمح باللغة العربية في مخابراتها الرسمية ما عدا الجرائد والمجلات وبين الناس وبعد إعلان

المشروطية(الحرية) وردت الأوامر بأن العرائض التي تقدم إلى دائرة العدلية يصح أن تقدم باللغة العربية ولما انتشر الخبر في بغداد فرح الناس فرحاً لا مزيد عليه لاسيما كتاب العرائض لأن أكثرهم لا يحسنون الكتابة باللغة التركية ولو أنهم يتكلمون بها.

النقود العثمانية الذهبية:

كانت النقود المتداولة في العهد العثماني في بغداد متوفرة وحسنة التداول في طليعتها النقود الذهبية وذو الخمس ليرات يساوي الآن عشرين ديناراً وذو الليرتين والنصف يساوي الآن عشرة دنانير وذو الليرة الواحدة يساوي الآن ثلاثة دنانير ونصف والنصف ليرة يساوي الآن ديناراً وسبعمائة وخمسين فلساً والربع الليرة يساوي الآن ثمانمائة فلس.

النقود العثمانية الفضية:

أما النقود الفضية مجيدي الواحد يساوي الآن ريال ٢٠٠ فلس ونصف مجيدي يساوي الآن درهمان ١٠٠ فلس وربع مجيدي يساوي الآن درهم ٥٠ فلساً وذو القرشين يساوي الآن عشرين فلساً وذو القرش الواحد يساوي الآن عشرة فلوس، وهنا أود أن انبه القارئ أن كل قرش صحيح يساوي أربعة قروش رايج وهذا يساوي عشرة بارات بمعنى أن القرش الرايج وهو من النيكل. والشيء الغريب في بابه هو أن الحكومة

العثمانية كانت موافقة على تداول العملة الأجنبية وخاصة العملة الإيرانية وهي(قران) ويسمونه أهل بغداد(منكنه) بالكاف الفارسية ونصف(قران) وربع(قران) ويسمى(أم قمري) وأم ست فلوس وتسمى(بيجوة) و(شاهية) وهي من النحاس، والعملة الإنكليزية(روبية) الهندية فقط وان الحكومة العثمانية إذا أرادت أن تبيع الملح –والملح يومذاك لا يباع بالأسواق كما هو اليوم – والذي يشتري الملح يجب عليه أن يشتري بالعملة العثمانية ولا يباع بالعملة الأجنبية وبقي هذا الأمر إلى أن نزحت الحكومة العثمانية عن بغداد، وبعد أن أعلن الحكم الوطني في بغداد اخذ بعض الأعراب البدو يجلبون الملح على ظهور الجمال ويبيعون بالطرق بدون معارض يعارضهم.

وفي سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي حسين جلال بك وردت أوراق نقدية عثمانية للتداول بها وأقسامها الليرة مائة قرش صحيح ونصف الليرة خمسين قرشاً والربع ليرة خمسة وعشرين قرشاً وذي العشرين قرشاً وذي القرشين وذي القرش الواحد.

وكان مصير هذه النقود التدهور الفظيع ولذلك ساءت الحالة في بغداد وبلغ أهلها الضيق والجهد وكانوا يعانون الأمرين من جراء النقود والتعامل بالأوراق النقدية وأنها لا فرق بينها وبين الذهب وهددوا بلزوم تقديم الذهب إلى(رئيس لوزام الفيلق) ومن وجد عنده هدمت داره ومنع التعامل بالنقود المعدنية(النيكل) وأمروا بتداول الأوراق النقدية الصغيرة وأنها لافرق بينها وبين الذهب وأشتدت الأزمة على اليهود في أخريات الحرب العظمى وكان يضيق معاون الوالي فائق بك ومدير الشرطة سعد الدين بك الخناق عليهم كلما هبط سعر الأوراق المالية

التركية وينسبان هذا الهبوط إليهم وإلى تلاعبهم بسعرها وأجبرت الحكومة التجار أن يبدلوا الليرة الورق بالذهب وعينت مقدارا على كل تاجر في كل شهر.

وقبضت الحكومة قبل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سرا تنكيلا شنيعا وجدعت أنوفهم وقطعت آذانهم وسملت عيونهم ثم وضعتهم في أكياس والقتهم في نهر دجلة، ومهما كان من ظلم العثمانيين لليهود في أبان الحرب فانهم قد استفادوا في تجارتهم فائدة عظيمة واثرى كثيرون منهم لأن مقاليد التجارة بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع وارتفعت الأسعار ارتفاعا هائلا.

مجلس المبعوثين(النواب):

وعلى أثر إعلان الحكومة العثمانية(الحرية) وتنفيذ أحكام الدستور فقد أعلنت أجراء الانتخابات النيابية وقد جرى بكل هدوء وسكينة فحاز أكثرية الأصوات الذوات الآتية أسماؤهم فأصبحوا(نوابا) وكانوا يسمون النواب(مبعوثان) فمن ولاية(بغداد) إسماعيل حقي بابان والحاج علي الألوسي وساسون حسقيل، وعن ولاية(الديوانية) السيد مصطفى نور الدين الواعظ وشوكت باشا بن رفعت بك، وعن ولاية(كربلاء) الحاج عبد المهدي الحافظ، وعن ولاية(البصرة) السيد طالب النقيب وأحمد باشا الزهير، وعن(المنتفك) (الناصرية) رأفت السنوي وخضر لطفي، وعن ولاية (الموصل) محمد علي حافظ وداود اليوسفاني، وعن

مدينة(السليمانية) الحاج ملا سعيد كركوكلي زاده، وعن مدينة(العمارة) عبد المحسن بك السعدون وعبد المجيد الشاوي.

وبعد أن أخذ المبعوثان أي النواب أهبتهم للسفر إلى استانبول ليمثلوا أمة العراق في مجلس النيابي العثماني غادروا بغداد يوم الجمعة ١١ ذي الحجة(عيد الأضحى) سنة ١٣٢٦هـ ووصلوا استانبول في ٩ المحرم سنة ١٣٢٧هـ وقد نظم الشاعر معروف الرصافي في هؤلاء المبعوثان النواب أبياتا وهي:

يا أهل بغداد متى ينجلي   هذا العمى عنكم وهذا الفتور
قد أعلن الدستور لكنكم   لم تظفروا منه ولا بالقشور
يقول من شاهد مبعوثكم   سبحان من يبعث من في القبور

خلع السلطان عبد الحميد ونصب محمد رشاد:

في يوم الثلاثاء ٧ ربيع الثاني سنة ١٣٢٧هـ يقابلها سنة ١٩٠٩م انعقد المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين وبعد المذاكرة رأوا من المصلحة خلع السلطان عبد الحميد وإنزاله عن عرش السلطنة وإجلاس ولي العهد السلطان محمد رشاد الخامس نجل السلطان عبد المجيد وبعد تلاوة الفتوى واعطاء القرار بالخلع انتخب المجلس هيئتين هيئة تبلغ السلطان عبد الحميد بالخلع وهيئة تبلغ السلطان محمد رشاد بالبيعة.

ثم توجه أعضاء المجلس العمومي من الأعيان والمبعوثين إلى محل المبايعة وهو دائرة(السر عسكر) وحضر محمد رشاد وأول من بايعه شيخ الإسلام والصدر الأعظم وتلاهما أعضاء المجلس العمومي من

الأعيان والمبعوثين ثم وكلاء الدولة والـــوزراء والعلمــاء والمشــائخ وأجريت المراسيم المعتادة والاحتفال العظيم وأطلقت المدافع ١٢١ طلقة وعندما وصل الخبر إلى بغداد أطلقت المدافع أيضـــا وزينـــت المـــدن ورفعت الرايات وعم الفرح والسرور في جميع أنحاء البلاد وقد تشــاءم الناس من سلطنة محمد رشاد وأصبحوا يقولون(إذا حكم رشـــاد ســبى العباد) ودامت سلطنته أيام الحرب العظمى إلى ما بعد ســـقوط بغــداد واحتلال البريطانيين لها وكان واليا في بغداد حين ارتقاء السلطان محمد رشاد عرش السلطنة الوالي نجم الدين ملا وهو من الولاة المخضرميـن أدرك العهدين عهد الاستبداد وعهد الحرية.

الوالي ناظم باشا:

المشهور أن الوالي ناظم باشا من الولاة الذيـــن خلــدت مــآثرهم وأعمالهم في تاريخ الولاة الذين قدموا إلى بغداد، وجدير بنا البحث فـــي أيام حكمه وما نجم عنها من إصلاحات شاملة ورقي زاهر دخل نـــاظم باشا بغداد بعد أن تطلعت إليه الأنظار واشرأبت أليه الأعناق وذلك يـوم الخميس ٢٥ ربيع الآخر سنة ١٣٢٨هــ يقابلها سنة ١٩١٠م وهو مزود بصلاحيات واسعة فيما يختص بالولايـــات الثـــلاث بغــداد الموصـــل والبصرة ولم يحل ببغداد بعد الوالي مدحت باشـــا واليـــا نـــال شـــهرة واكتسب ذكرا كناظم باشا ولما تربع على دست الولاية اتصل برؤســـاء بغداد وسبر غورهم وجس نبضهم وشمر عن ساعد الجد والعمـــل وأول عمل عمله جدد الحياة العسكرية في الدولة لأنه كما نعته الوالي ســليمان

تنظيف بك بأنه أكبر جندي في الجيش العثماني، وأخذ ينظم الجيش وزوده بأسلحة حديثة الطراز وجدد ألبسته وجعل له معسكرا خارج بغداد وجمعه فيه ومنح الجنود رواتبهم المتأخرة، وكان قبل إعلان الدستور في حلول مواسم الأعياد يهجم الجنود على أسواق بغداد لنهب ما في الحوانيت لعدم دفع الرواتب لهم ويسمى هذا النهب(فرهود) ثم أمر الوالي ناظم باشا بجمع العساكر أي الجنود وأخذ يعمل لهم بين الآونة والأخرى(مناورة) أي تدريبا عسكريا وذلك في شمال باب المعظم في محل محطة قطار شمالي بغداد الحالية ولم أنس ليلة من ليالي المناورات وقد تعالى بها هدير أصوات المدافع والرشاش وأزيز الرصاص وصراخ الجنود المتوالي وبذلك أرهب الناس والعشائر وأمنت السبل وساوى بين القوي والضعيف والغني والفقير.

فتاوى العلماء:

وأحسن عمل عمله ناظم باشا وهو من باكورة أعماله مهمة العشائر ورفع غوائلها فلقد استطاع أن يحصل على فتاوى من علماء الحنفية والجعفرية بقتل الذي يتجاهر بالظلم والذي يستولي على أموال الناس بطريق النهب والسلب بحجة الغزو وإصدار هذه الفتوى عن أبناء الحنفية مفتي ولاية بغداد العلامة محمد سعيد الزهاوي والعلامة الشيخ غلام رسول من علماء الهند المقيم في بغداد ونقيب أشراف بغداد السيد عبد الرحمن النقيب العلامة السيد نافع الطبقجه لي والعلامة الشيخ عبد الوهاب النائب مدرس جامع منورة خاتون والعلامة السيد محمود شكري

الآلوسي مدرس جامع الحيدرخانة والعلامة الشيخ محمد سعيد مدرس جامع الإمام الأعظم وعن علماء الجعفرية العلامة الشيخ كاظم الخراساني من النجف والعلامة الشيخ عبد الله المازندراني من النجف أيضا والعلامة السيد محمد القزويني من الحلة والعلامة الشيخ محمد حسين من كربلاء والعلامة الشيخ محمد باقر من كربلاء أيضا والعلامة السيد إسماعيل الصدر من الكاظمية.

وكانت لهذه الفتاوى الأثر العميق في نفوس أبناء العشائر فسكتوا مدة بقاء الوالي ناظم باشا في بغداد وعادوا إلى ما كانوا عليه من الغزو والتمادي في السلب والنهب.

وعلى أثر إصدار هذه الفتوى أمر في جمع العشائر كلها في بغداد وكان يوم اجتماعهم يوما مشهودا أغدق فيه على رؤسائهم النعم وخلع عليهم الخلع فأحبه الجميع وأطاعوه وناهيك عن محبة أهل بغداد له وانه إذا مر في سوق بغداد وأزقتها تقف له الجماهير حبا به وخشية منه!

تنظيف الطرق:

ومن أعماله التي سجلت بمداد الفخر والإعجاب تنظيم أزقته الضيقة وعدم طرح أوساخ(زبالة) البيوت فيها وعمل عربائن خشبية أعدت لحمل تلك الأوساخ ونقلها خارج المدينة بعد أن كانت تحمل بواسطة الحمير والذي مكلف بحمل الأوساخ يقف صباحا في المحلة وبيده(جرس) كبير يدق به دقات متوالية تنبيها لذوي البيوت ليخرجوا ما لديهم من الأوساخ فيتناولها ويلقيها في العربة المعدة لحمل الأوساخ

وهكذا تعود أهل بغداد على تلك الحالة المفيدة لما أمر بوضع ما يستخرج من المراحيض في علب(تانكيات) من الصفيح وطرحه في المحل المعد له بدلا من وضعه في(الظروف) المعمولة من جلود الغنم التي تحمل بواسطة الحمير بوضع يستلفت النظر.

الكلاب السائبة:

ولا ننسى كلمة(الحبل) والتي مضى عليها عدة سنوات والحبل هو الذي تربط به الكلاب السائبة التي يقبض عليها وإيداعها بمحل اعد لها قرب مقبرة اليهود ببغداد والشيء المضحك أن كل كلب في ذلك العهد يسمع كلمة(حبل) يهرب فترى الأولاد الصغار حينما يشاهدون كلبا ينادون(حبل حبل) فيهرب الكلب لمجرد سماعه هذه الكلمة.

فتح شارع النهر:

ولم تكن أعمال الوالي ناظم باشا مقتصرة على هذا فقط بل تعددت إلى مشاريع عمرانية أخرى منها فتح شارع النهر وأمر بفتحه على القنصلية الإنكليزية وشطرها شطرين وهذه القنصلية يرجع تاريخها إلى سنة ١٧٩٧م وتتمتع بامتيازات لم يبلغها غيرها من القنصليات فلها ١٢ قواسا وعدد من الجنود المسلمين الهنود يبلغون ٦٠ جنديا وكان تحت تصرف هذه القنصلية باخرة صغيرة يقال لها(كوميت) وأهل بغداد يسمونها(مركب كمد) وكانت ملازمة لهذه القنصلية ليلا ونهارا.

جمع العشائر لعمل السد:

وأمر الوالي ناظم باشا بجمع العشائر لعمل سد ضخم وبضمنهم عمال بغداد وهذا السد يحيط بمدينة بغداد من شرقيها ليقيها من الغرق وقد سمى هذا السد باسمه وإلى الآن يسميه أهل بغداد(سدة ناظم باشا) وبهذا العمل ساعد أبناء العشائر وأهل بغداد مساعدة كانوا أحوج الناس أليها.

الإفطار في رمضان:

وأحسن عمل له يشكر عليه فقد مر في عهده رمضانان ولم نرَ من يتجاهر بالإفطار في رمضان فكل من تراه الشرطة(البوليس) مفطر تجلبه إلى مركزها وبعد أن تجلده عشر جلدات تحكم عليه المحكمة بالحبس لمدة شهر فكان لرمضان في زمنه حرمة عظيمة ومكانة مرموقة.

عزل ناظم باشا:

روعت بغداد بعزل والي بغداد ناظم باشا وقد وقع النبأ وقوع الصاعقة على أهل بغداد فقامت المظاهرات وكثرت الاحتجاجات من قبل أهل بغداد وفي مقدمتهم الوجيه عبد القادر باشا الخضيري وقد ضحى بمال كثير وهو في دائرة البرق والبريد يخابر استانبول ويندد

بعزل هذا الوالي المصلح وكان الواسطة بينه وبين الحكومة في استانبول مبعوث الحلة العلامة المرحوم السيد مصطفى نور الدين الواعظ الذي بذل كل ما في وسعه في إبقاء ناظم باشا واليا على بغداد ولكن إرادة(الباب العالي) في استانبول أصرت على عزله وفي يوم الجمعة ١٦ ربيع الأول سنة١٣٢٩ هـ يقابلها سنة ١٩١١م أودعت وكالة ولاية بغداد إلى الفريق يوسف باشا بناء على عزل الوالي ناظم باشا ويا ليت كنا نعلم ما هو السبب عزل هذا المصلح الكبير.

لقد تكاثرت الأقوال وتباينت الحجج فمن قائل يقول أن عزله كان إرضاء للحكومة الإنكليزية لهدم قنصليتها وآخر يقول من ازدياد الشغب الذي حصل عليه من جراء قضية(سارة خاتون) بنت أوانيس أسكندر الأرمنية وفحواها أن أحد الضباط من أعوان ناظم باشا أحب(سارة خاتون) وأراد أن يتزوجها فامتنعت عن ذلك فتدخل بالأمر ناظم باشا فحدثت شكاوى عليه وكثرت الأحاديث ولما لم يجد أعداء ناظم باشا غير هذه القضية ذريعة يشوهون بها سمعته جعلوها وسيلة للتنديد بأعماله ولقد انتهز الشاعر جميل الزهاوي هذه الفرصة فنظم قصيدة بعنوان(طاغية بغداد) هاجمه فيها ويصف بها قضية (سارة خاتون) الأرمنية ولا عجب من الزهاوي إذا ما هاجم هذا المصلح فان الاتحادية هي التي دفعته إلى هذه الثورة النكراء تجاه ناظم باشا وفي يوم الثلاثاء صباح ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م غادر ناظم باشا بغداد قاصدا استنبول ولسان حاله يقول:

لا تلم كفي إذا السيف نبا   صح مني العزم والدهر أبى

قتل ناظم باشا:

وبعد وصول ناظم باشا إلى استانبول ولامر يريده الله عين وزيــرا للحربية خلفا للمرحوم محمود شوكت باشا شقيق الأستاذ حكمت سـليمان ولم يكد ناظم يتمتع بالحكم حتى غاله القدر المحتوم وفي ١٥ صفر سنة ١٣٣١هـ يقابلها كانون الأول سنة ١٩١٣م اغتيل فشق نعيه في جميـع الممالك التركية عامة وبغداد خاصة وبكاه الكبير والصغير لما له مــن المحبة في قلوب أهل بغداد ورثاه الشاعر عبد الرحمن البناء بقصيــدة بعنوان(شهيد الحق) وقد أرخ بها عام وفاته وهي:

بكينا دما لا بالدمــوع السواجم عليك شهيد الحق يا خيــر ناظم
بكينا فابكينا العــداة كرامــة عليك ذكاء المـجد بـدر الأكارم
بكينا فابكينا الامــاجد رحمــة عليك أبا الإصلاح رب المراحـم
أناظم عقد المجد والفخر ضوالنهى عليك اضطربنا كاضطراب الاراقم
أناظم سالمت الزمــان بعفــة ولم تدر أن الدهر غير مســالم
أناظم لو تدري بفقدك ما جـرى فقد بدلـت أفراحنــا بالمآتــم
أناظم ما فزنا برؤيــاك مــرة وما قد كسبنا غير عض الاباهم
أتى فوق جنح البرق نعيك طائرا فلله صيت طائر في العوالــم
ولا جئتنا يا ذا(التلغراف) مخبـر قضى ناظم نحبا بضربة ظالـم
فما جئتنا إلا .وطــارت نفوسنــا شعاعــا تلبيــه بغير قــوادم
كفاه افتخارا قائد الجيش قد قضى شهيدا ولم يقتل بحرب المخاصم
وراح لدار الحق بالحــق فائــزا ولم يلتفت نحو الخطوب الهواجم
وخاطر في نفس علينا عزيــزة وبالعز قد وافى الردى غير سادم

له الهمة الكبرى بكـل ملحمـة وكان سديد الرأي ماضي العزائم
وقد رامت البلقان تغضب ملكنا فقام له مثـل الشجا بالغلاصـم
عليه سلام الله ما ذكـر أمـرؤ وما قد بكت مثواه عين الغمائـم
عليه سلام الله مـا قـد تمايلت غصون وما هبت هبوب النسائم
عليه سلام الله مـن خير أمـة تنوح أسى لا مثل نوح الحمائـم
عليه سلام من قلوب حزينـة جروح بها لـم تلتئم بالمراهـم
عليه تحيات العراق وأهلـه مضمخة من ماء ورد الكمائـم
عليه من الزوراء آلف تحيـة عليه شذاهـا ترتدي باللطائـم
سأنظم في علياه در مدامعـي بعقد ولاء زين في سلك ناظـم
أناشدكم يا أمة الفخـر والعلـى بحريـة شيدت بخيـر دعـائـم
فمذ أعلن الدستور وانشق نوره فهل قد قضى أرخ شهيدا كناظـم

الوالي جمال باشا:

كان الوالي جمال باشا كسائر الولاة الذين اشتغلوا منصب الولاية في بغداد وكانت الأخبار ترد من حين لآخر عن حركاته في طريقه إلى بغداد حتى وصل يوم السبت أول يوم من شهر رمضان سنة ١٣٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م.

وأول عمل قام به تأييد ما قام به الوالي ناظم باشا ونشر بيانا أعلنه للعشائر وجمعهم في بغداد كما فعل ناظم باشا مهددا لهم بأن الغزو أمـر مرذول لا يجوز الأقدام عليه ووعد في بعض المشاريع التي سيقوم بـها ومنها إنشاء جسر حديدي ببغداد وجسور أخرى وكـان قصـده بـهذه

المواعيد تطمين الآهلين وهي(كمواعيد عرقوب) وسرعان ما جهز قــوة عسكرية بقيادة(اليوزباشي) سليمان عسكري الذي صار مؤخـــرا قــائد الجيش في الحرب العالمية فقام بإرهاب العشـــائر وتنكيـل رؤسـائها وصارت تحصل الضرائب بالقوة وفي عهد جمال باشا أعلنت إيطاليــا الحرب على الدولة العثمانية في ١٨ شوال سنة ١٣٢٩هـ يقابلها ســنة ١٩١١م وحصلت فــي بغــداد مظــاهرات وتجمــع النــاس فــي دار الحكومة(السراي) وابدوا السخط والاستنكار من أعمال إيطاليــا فتكلــم الوالي جمال باشا بخطاب وخطب الشاعر جميل الزهاوي وحث النــاس على الجهاد.

لقد كان جمال باشا- كما وصفه الأمير شكيب أرسلان- ذكي الفؤاد متوقد الذهن سريع الفهم ماضي العزم مهاب الطلعة ولكنه كان ســريع الانفعال متكهرب الأعصاب مغرما بالمجد مولعا باكتساب الذكر البعيــد متغطرسا جبارا مفتونا بأن يوصف بالجبروت محبا للانتقام والبطـــش، ولقد جنت الدولة العثمانية جناية كبرى على نفسها وعلى العرب والترك معا بأن سلمته زمام سوريا مدة الحرب تسليما مطلقا فمضى في شهواته وأهوائه غير حاسب ولا مراقب ولا ناظر شيئا من العواقب وقد قضــى على أحرار العرب في الشام وبهذا عرف بالســفاح وان الذيــن قتلــهم أبرياء من جناية الدولة ولم يكن لهم ذنب سوى وجودهم فـــي الحــزب المعارض لحزب الاتحاد والترقي والقانون العثماني لا يعــرف حــزب الاتحاد وإنما يعرف السلطنة العثمانية مع العلم أن أحرار العرب الذيــن فتك بهم لا يوجد لفريق منهم وثائق خطية ولاقرائن قطعية توجب الفتـك بهم وقد برر جمال باشا هذا العمل من بـــاب القتــل السياســي وهــذا

الإغراق في التشفي والتعذيب لا مبرر له ولا يؤيده قانون ولا يقره عدل ولاأنصاف!

وفي مدة ولايته في بغاد اشتهر بالمخازي والموبقات وعكف على رقص(الدانص) مع(مدامة) مدير البانق العثماني وكان يقيم في قصر عبد القادر باشا الخضيري على نهر دجلة قرب(الدباغخانة) وبيته مجاورا لبيت جمال باشا.

استقالة جمال باشا:

وبعد قبول استقالة الوالي جمال باشا من منصب ولاية بغداد سافر إلى استانبول من طريق حلب في عصر يوم السبت ٤رمضان سنة ١٣٣٠هـ يقابلها ١٧آب سنة ١٩١٢م وهناك نال وظائف عديدة منها متصرفيات وولايات حتى ارتقى إلى وزارة البحرية فذهب إلى سورية قائد جبهة فهاجم(قناة السويس)وكان نتيجة هجومه الخيبة والفشل فعاد إلى وزارة البحرية وبعد متاركة(موندروس) تغيب عن استانبول وقضى مدة في أوربا ثم سافر إلى الأفغان لتنظيم الجيش وبعد ذلك عاد إلى(برلين) عاصمة المانية ليرى أسرته وفي أثناء عودته إلى الأفغان ظفر به الأرمن في(تفليس) واغتالوه مع ولديه، وهكذا انطوت صحيفة هذا السفاح.

أهم الحوادث في بغداد

شاه إيران:

في يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٢٨٧هـ يقابلها سنة ١٨٧٠م حل ببغداد ناصر الدين شاه لزيارة العتبات المقدسة وقد حل ضيفا على الحكومة العثمانية أيام الوالي مدحت باشا وكان الاحتفال بقدومه باهرا فاستقبله الجند من خانقين وقد بنى له قصرا في حديقة المجيدية ليكون له مسكنا طيلة إقامته في بغداد.

سقوط مطر في الصيف:

في يوم السبت ١٢ شعبان سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م أيام الوالي عبد الرحمن باشا سقط مطر في بغداد بالصيف ومثل هذا المطر لم يقع إلا نادرا وقد أرخ عام سقوطه والدي مصطفى العلاف بقوله:

في الصيف غيث قد هما   أرخ(بغير محله)

١٢٩٥

قحط وغلاء :

وفي أيام الوالي عبد الرحمن باشا سنة ١٢٩٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٠م حصل قحط وغلاء في بغداد وشمل ولايات كركوك والسليمانية والموصل وكان غلاءا خطرا حتى أصبحت جثث الموتى مكدسة بالطرقات والأسواق كما أن البنات والأولاد بيعت بثمن بخس لعدم قيام أهلها بمعيشتها وسمي هذا الغلاء بمجاعة(البرسيمة) أي جوعان باللغة الكردية، لان الكرد حينما نزحوا من كركوك والسليمانية فرارا من الجوع الذي أصابهم ودخلوا بغداد صاروا ينطقون بكلمة(برسيمة) أي جوعان.

الهيضة(أبو زوعة) :

لقد ابتلى الله هذا البلد الأمين(بغداد) بكوارث عديدة منها القحط والغلاء والغرق والوباء وآخر ما حل به هو مرض الهيضة(ابو زوعة) كما يعبر عنه، وفي سنة ١٣٠٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٩م ظهرت الهيضة في بغداد أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وبظهور هذا المرض الفتاك غلقت الأسواق وتعطلت الأعمال وفر الكثير من الآهلين وبضمنهم اليهود وأكابر البلد إلى القرى المجاورة لبغداد واستمر هذا المرض ٣٠ يوما وبلغ مقدار الوفيات كل يوم ما ينوف على المائة وثلاثين الأمر الذي احدث قلقا عظيما واضطرابا بين سكان بغداد .

المشير رجب باشا:

في يوم ٩شوال سنة ١٣٠٨هـ يقابلها سنة ١٨٩٠م وصل إلى بغداد المشير رجب باشا قائد(آلتنجى اوردوى) أي الفيلق السادس فاستقبل بحفاوة بالغة من قبل أهل بغداد.

كان المشير رجب باشا ضابطا في بغداد قبل تعيينه قائدا وعرف أهل بغداد مزاياه واعماله الطيبة.

وكان في أيامه الفريق شعبان باشا آمر لواء كركوك وقد نقله المشير رجب باشا إلى كركوك، ومن النكات الظريفة التي جرت بين المشير رجب باشا وبين الفريق شعبان باشا وهي بعد مدة من نقل شعبان باشا إلى كركوك طلب من المشير رجب باشا نقله إلى بغداد لانه سئم المقام في كركوك فاجابه رجب باشا بجملة لطيفة بالعبارة التركية وهي:(رجب جقماز ايسه شعبان كره مز) بمعنى لايدخل شعبان ما لم يخرج رجب!

كنز نقود عباسية:

في أيام الوالي نامق باشا الصغير عثر يوم السبت سنة ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م على شاطئ دجلة من خضر الياس بجانب الكرخ على دفينة(كنز) وكيفية العثور عليها أن قفافا اسمه صالح بن خلف المشهداني مر من هناك حينما أراد العبور بقفته إلى جانب الرصافة فصادف(بستوقة) وعند لمسها بغرافته انكسرت فانصبت النقود الذهبية

منها واندفعت في النهر وقد أخبرت الحكومة بالأمر وأمرت الغواصين بإخراج النقود الذهبية من الماء وبنتيجة إحصائها بلغت ثلاثة آلاف قطعة من المسكوكات العباسية، وقد أرخ والدي مصطفى العلاف عام العثور على هذا الكنز الثمين بقوله:

ورب كنز دام في مخبأ   به صروف الدهر تعتز
واليوم لما أن بدأ ظاهرا   أرخته قد ظهر الكنز
١٣١٧هـ

اهتزاز في بغداد:

في ليلة ٧جمادي الآخر سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا حدث اهتزاز في بغداد مرتين متواليتين وقد استولى الخوف والرعب في قلوب الناس وصاروا لايامنون على حياتهم بسبب هذا الحادث المفزع.

سقوط وفر(ثلج) :

في ٢٠المحرم سنة ١٢٢٩هـ يقابلها سنة ١٩١١م أيام الوالي جمال باشا اجتاحت بغداد موجة وفر(ثلج) مصحوبة ببرد شديد وتعطلت حركات السير والمرور وقد بدأ الوفر يتساقط كالقطن المندوف طول الليل فغشى جميع الطرق وكافة سطوح الأبنية والنخيل والأشجار وكسا قبب الجوامع والمآذن حلة بيضاء وأصبحت تزهو بمنظرها الجذاب

ووضعها الغير منتظر وتكرر سقوط الوفر في يوم الاثنين صباحا من ذلك الشهر ومثل هذا الحادث الغريب لم تألفه بغداد من زمن بعيد!

سكة حديد بغداد:

في صباح يوم السبت سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢ م أيام الوالي جمال باشا احتفل بوضع الحجر الأساسي لسكة حديد بغداد في جانب الكرخ وهذه هي سبب النزاع الحاصل بين الدولة الألمانية والدولة البريطانية وقد حضر الاحتفال كافة رجال الحكومة العثمانية من عسكريين وملكيين وقناصل الدول وكان الاحتفال عظيما ما شاهدت بغداد مثله.

حريق في خان النفط:

وفي مساء يوم السبت ٢٣ جمادي الأولى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق هائل في بغداد بخان النفط الواقع في محلة العوينة العائد إلى السيد محمد السيد محسن آل العطار وهم السادة الحسنيون المعروفون في بغداد ودام إلى يوم ٣٠ من الشهر أي إلى يوم السبت كان ما التهمته النار يربو على ثلاثة عشر ألف صندوقا من النفط و٢٥٠ صندوقا(اسبرتو)و٢٠٠ صندوقا من(البانزين) وقد كنا نشاهد صفائح النفط تتطاير بعد الانفجار في الجو وهذا اعظم حريق في بغداد عرفته الحكومة العثمانية.

حريق ثان في معمل العباخانة:

في يوم الجمعة ١٤ جمادي الأخرى سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا شبت نار في معمل العباخانة العسكري الذي أسسه الوالي مدحت باشا ودام أربع ساعات وقد احترقت جميع الأقمشة المخزونة فيه وبعد الجهد المتواصل أخمدت النيران وتقدر الأضرار التي نجمت من جراء هذا الحريق بخمسة آلاف ليرة ذهب عثمانية.

حريق ثالث في سوق الشورجة:

في يوم الجمعة ٢٧رجب سنة ١٣٣٠هـ يقابلها سنة ١٩١٢م أيام الوالي جمال باشا حدث حريق ثالث في خان عبد العزيز في سوق الشورجة التهمت النار جانب سوق العطارين مقابل(خان الدجاج) وامتدت النار إلى جامع مرجان وقد بذل أهل بغداد همة تشكر لإنقاذ هذا التراث الخالد ولولاهم لذهب أكلة سائغة لهذا الحريق وقد دام هذا الحريق نحو أسبوع وتقدر الخسائر التي تكبدها الحاج عبد العزيز نحو اثني عشر ألف ليرة عثمانية، ومن سوء حظ الوالي جمال السفاح أن هذه الحرائق حدثت أبان حكمه في بغداد.

استشهاد محمود شوكت باشا:

في يوم ٦رجب ١٣٣١هـ يقابلـها ١٥ حزيـران سـنة ١٩١٢م روعت بغداد بنبأ خطير ومصاب عظيم وهو اغتيـال بطـل الحريـة محمود شوكت باشا وكيفية اغتياله بينما كان راجعا من وزارة الحربيـة ذاهبا إلى الباب العالي وصلت سيارته إلى منعطف شارع(ديوان يولـي) فرأى السائق نعشا محمولا على الأكتاف يحف في تشيعه خلـق كثـير فاضطر على توقيف السيارة احتراما إلى الميت وعندما وصل حـاملو النعش إلى محل وقوف السيارة وإذا بالرصاص يدوي في الفضاء ومـن جرائه أصيب محمود شوكت باشا فخر صريعا؟! وقد قتل معه مرافقـه كما اصبح ذلك الشارع خاليا من الناس رغما على انـه مـن أمـهات الشوارع في الأستانة ولا يخلو من الازدحام المستمر ولم يبقى فيه سوى النعش مطروحا على الأرض وقد كان خاليا. هذه حادثة استشهاد بطـل الحرية محمود شوكت باشا الذي لهج الناس به وكثر إطراؤهم فيه.

نال محمود شوكت باشا شهرة لم ينلها أحد من قبله فلقد اعتلى هـذا البطل كرسي الصدارة العظمى وتقلد وزارة الحربية في وقت كانت شقة الخلاف متسمة بين حزبين متطاحنين هما حزب الاتحاد والترقي وحزب الائتلاف ونتيجة ذلك التطاحن اغتيل ونال رتبة الشهادة في ٦رجب سنة ١٣٣١ هـ يقابلها ١١حزيران سنة ١٩١٣م وقد نعته الحكومة العثمانية فوقع نبأ نعيه في بغداد وقوع الصاعقة واعترى أهلـها الدهشـة لـهذا الحادث المؤلم والمصاب الجلل وقد رثاه الشاعر معـروف الرصـافي بقصيدة وهو إذ ذاك في استنبول وهي:

لقد بت مطروف النواظر بالسهـد ... تقلبني فـوق الفـراش يد الوجـد
تساورني رقشاء من لاعج الجوى ... ويقدح في قلبي الأسى واري الزند
فأرقب تغو ير النجـوم بمقلــة ... ترقرق فيهـا الدموع منفرط العقد
أقول وفرع الليل أسحم والأســى ... يدب دبيب السم في العظم والجلد
متى يسفر الصبح الذي أنا راقب ... أليس قميص الليـل عنه بمنـقد
إلى أن رأيت الفجر قد لاح خيطه ... كما أصلت السيف الجراز من الغمد
فما أنــا إلا غفــوة فخيالــة ... لدى العالم العلوي في ربوة الخلد
رأيت كأني قمـت حـول سرادق ... من النور مرفـوع الدعائم ممتـد
أقاموا لواء الحمـد فوق عمـاده ... وخطو علـى حافاته سورة الرعد
وقد أشرقت ملء السمـوات حوله ... قناديل خضر تستنيـر بلا وقـد
وقد لاح لي محمود شوكت جالسا ... به فوق كرسي الجلالــة والمجد
وفي يده سيف أجيـد صقالــه ... على أنه من صنـعة الله لا الهند
وفي الرأس تاج بالثنـاء مرصع ... فويق جبين مشـرق بسنا الحمـد
وقد جللته بـردة سنـدسيــة ... ومن تحتها درع إلهيـة السـرد
وبين يديه زمرة من ملائــك ... مجنحة الأيدي غرانقـة مـرد
تهنئة بالفوز طـورا وتـــارة ... تحييه بالغـض الطري من الورد
وقد قام من حول السرادق موكب ... عظيم به اصطفت ألوف من الجند
فلمــا رآنــي واقفـا بحيالــه ... وقد كنت بين الجند معتزلا وحدي
أشار أن اقرب يارصافي مالــنا ... نراك وحيدا قـد وقفت علـى بعد
فجئت وجسمي قد تغشته رجفــة ... كما يرجف المقرور من شدة البرد
فقمت لديه وانحنـيت أمامــه ... فقبلت بالتعظيم حاشيـة البـرد
فقال لقد آنست إذ جئت إننــا ... عهدناك من زوارنا مخلـص الود

ولا ترتجف هـــون عليك فأنمـــا نزلت قرين الأمن في منزل السعد
فأبلغ تحياتي إلى الوطـــــن الذي سعيت إلى إعلائه باذلا جهـــــدي
وقل لبنيه إنني لســـــت حـــاقـــدا عليهم فمثلي لا يميل إلى الحقـــد
وإني لما أن تمثلـــت قائمـــــــــا بديوان ذي العرش الذي جل عن ند
طلبت لهم عفوا مـــن الله سابغـــا وقلت له يارب لا تخزهم بعـــدي
أيا رب أني قد قصدت نجاحـــهم فحقق لهم يا رب ما كان من قصدي
وأني لارجو منك مرحمـــــة لهم وإن قتلوني ظالمــــين على عمد
فاني أرى موتـــي بخدمة أمتـــي حياة به طعـــم الشهادة كالشهـــــد
ألا فاهدهم يارب للمجد والعلـــى فما من مضل في الأنام لمن تهدي
وقال أتدري من هم الجند انهــــم من استشهدوا في حرب أعدائنا اللد
ألم ترهم دامين حتـــى كأنمــــــا تسربل كل لبـــدة الأسد الــــــورد
فسوف يجول الله آداب صـــدعهم واغزوا العدى فيهم على الضمر الجرد
وأذن في الحي المـــــؤذن غدوة وأحسست في رؤياي بردا على كبد
وأصبحت لم أملك بوادر عبـــــرة تخط سطور الدمع في صفحة الخد
سأبكي واستبكي الجيوش على فتى فقدناه فقد الغيث في الزمن الصلد
فتى كان في أفق الـــوزارة كوكبا به في دجى الخطب الخلافة تستهدي
وقد كان في وجه الخطوب تبسما إذا عبست يوما بأوجههــــا الربد
وما مات محمود الخصال وإنمـــا تنقل من هذا الفنــــاء إلـــى الخلد
لئن غيبت عنا مرائيه فـــي الثرى فما غيبت عنا معاليـــه فـــي اللحد
وما هو إلا السيف قد كان مصلتا على الدهر وهو اليوم قد قرفي الغمد
سيبقى له الذكر الجميل مؤبـــــدا تمر به الأيام حاليـــة الأيـــــــدي

* * *

وقد أرخ عام استشهاده والدي مصطفى العلاف بقوله:

نعى في ليلة ظلمـــــاء نـــاع   وشر النعــــى في سود الليالــي
وروع قلبنا بعظيـــم خطـــب   به بغداد باتـــت فــي وبـــال
فأنكرت الحـــوادث وهــي شؤم   ومثلي بالحوادث لا يبـالـــي
أمحمود الخصال يمـــوت غدرا   وهمته رقــت أوج المعالـــي
فلا عجـــا إذا ما أرخـــــوه   أكيد موت محمـــود الخصـــال

١٣٣١ هـ

* * *

العلماء المبرزون قبل الدستور العثماني

العلامة الشيخ داؤد النقشبندي:

هو أبن السيد سلمان بن السيد جرجيس النقشبندي ولد سنة ١٢٢٦ هـ.

كان رحمه الله كعبة الآمال وحجة دامغة لفحول الرجال من المحدثين بالرواية والسند وقد توجه لبيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومنه عرج إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الأعظم مجمد صلى الله عليه وسلم ولما رآه بعض أحبته من أهل المدينة قالوا له مولانا قد اشتعل المبيض بالمسود وبدا أثر الذبول على الخد بمدة فراق سبعة عشر سنة فقال:

لقد ظهر المشيب بدا صغارا	وغصن شبابنا أضحى قشيبا
فلا عيب إذا شبنا فهذا	زمان يجعل الولدان شيبا

وقال أيضا:

أقول لأحباب ولعت بحبهم	بطيبة حيا الله ذيالك المغنى
ظننتهم نشوب الود من بعد بعدكم	ليوم السوى هيهات شبنا وما شبنا

وفي طيلة حياته ظل مواظبا على وعظه وإرشاداته وطريقته النقشبندية.

وفي سلخ رمضان سنة ١٢٩٩هـ يقابلها ١٨٨١م أيام الوالي تقي الدين باشا لبى نداء ربه فعظم مصابه وشيع جثمانه بموكب فخم من

رجال الحكومة والأهلين ودفن في جامع الست نفيسة بجانب الكرخ، وقد أرخ عام وفاته الشيخ محمد أمين الجبوري بقوله:

قد قل غارب سيف الدين وانثلما   وانهد ركن بني الإسلام وانهدما
وطود علم جليل دك جانبه   وشامخ من عماد الفضل قد قصما
وشارق من سماء المكرمات هوى   يا طالما كان نورا يكشف الظلما
واغرورقت أعين الإسلام باكية   والدين حزنا على خديه قد لطما
وأدمن العلم قرع السن من ندم   وعض إصبعه حتى قد انصرما
بآخر الصوم قد نادى مؤرخه   داود بالخلد وافى أرحم الرحما
١٢٩٩هـ

اغتيال النائب نجم الدين:

هو الشيخ نجم الدين نائب الباب أي نائب قاضي الشرع الشريف، كان رحمه الله عالما غريراً وشهما غيورا لا تأخذه في الحق لومة لائم، وكان حادث اغتياله حادث مؤلم أبكى العيون وأدمى القلوب وكيفية اغتياله في نهار الثلاثاء ١١ ربيع الأول سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م أيام الوالي تقي الدين باشا تصدى له المجرم الكاتب.بمحكمة الشرعية مصطفى أفندي وضربه بخنجر فأرداه قتيل، وبعد محاكمة القاتل مصطفى أفندي قد ثبت جرم القتل لنائب الباب نجم الدين وعرض على الذات الشاهانية وبعد صدور الفرمان مؤرخا ١٢ رمضان سنة ١٣٠٥هـ المتضمن قتل القاتل وكان قتله على مشهد من الناس في أيام الوالي مصطفى عاصم باشا وفي يوم السبت ١٩ جمادي الأخرى سنة

١٣٠٥هـ يقابلها سنة ١٨٨٧م نفذ الحكم في القاتل وقطع رأسه الرجل المسمى طه بن ناعور من محلة العوينة في بغداد ومن شدة ازدحام الناس الذين حضروا لمشاهدة قطع راس المجرم سقطت السوق الصغيرة المتصلة بجامع الاحمدية المشهور بجامع الميدان وهلك من جراء ذلك رجل يهودي وامرأة مسلمة.

وقد كان العلامة المفتي فيضي الزهاوي يعترف بقدرة المرحوم النائب نجم الدين الفقهية ولما جاء إلى المحال الذي اعد فيه(الفاتحة) وعند دخوله ارتجل بيتا وهو:

يا له من نجم سعد أفلا   أفلا نبكي عليه أفلا

العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي:

هو أبن احمد أفندي بن حسن بك بن رستم بك بن كيخسرو بن مير سليمان باشا، ولد سنة ١٢١٢هـ في زهاو وكان رحمه الله عالما شهيرا ومفسرا نحريرا وله بذلك قوة فائقة، ومما يدل على ذلك ما قاله الشاعر عبد الغفار الأخرس:

أرى في لفض هذا الشهم معنى   ينبئ عن مدى علم عظيم

ومهما زدته نظرا بفكري   رأيت نهاه قسطاس العلوم

ولطول باعه وعلو منزلته العلمية عين أولا مدرسا في المدرسة العلمية التي أنشأها سليمان باشا سنة ١٢١٦هـ.

وبعد استعفاء أمين أفندي الكهية من منصب الإفتاء في بغداد عين للإفتاء وبذلك قال الشاعر عبد الباقي العمري:

قد قيل لي إذ رحت انشد عندمـــا شاهدت دين محمد يتجـــدد
في مذهب النعمان في الزوراء قد أفتى الإمام الشافعي محمـــد

وقال أيضا:

تالله ما غلط الأميـــن محمـــد من منصب الإفتاء باستعفائه
لكن رآك به حريـــا فالتجـــى لنزوله بالطوع من إفتائـــه

وظل يدافع عن الدين الحنيف ويقطع دابر الملحدين إلى أن وافـ الأجل المحتوم سنة١٣١١ هـ يقابلها سنة ١٨٩٧م وقد شـيع جثمانـ تشييعا عظيما يحف به رجال الحكومة والأهليين ودفـن فـي مدرسـ السليمانية وقد رثاه تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النـائب بقصيـ وهي:

سأبكي على فيضي وتبكي الأفاضل وينعيه ناد للعلى والمحافـــ
وتذرف عين المجد بعـد وفاتـــه دموعا مدى الأيام طل ووابـل
وكيف وربع العلم امحل روضـه وعود الأماني حسرة البين ذابل
يعز على أهل العراق بأسرهـــم إمام إلى تلك المقابـر راحـا
فمن يكشف الكشاف بعـــد ذهابه ويهدي لتهذيب الملا وهو كافل
غدت بعده أهل المقاصـد لم تنـل من الهدي ما كانت إليه تحاول
يحق لهم أن يسكبوا فيـض مدمـع لرحلة من تطوى عليه المراحل
فلو كان داعي الموت يرضى به الفدى فدته صناديد سـراة أفاضـل
ومذ قد توارى عيلم العلم فـي الثرى عجبنا لكون الطود في اللحد نازل
فجيد العلى بالأمس كـان مزينـا فاصبح عار حليه وهو عاطـل
فقدنا هماما كان كالبحـر صـدره يفيض لدينا من علاه جـداول
فكم أحجمت أسدا لديه قســاور بيوم نزال لم يرعها منـازل

يريك علوما لم يجد من يصونهـــا | سواه لهذا ساجلته الــــلأفاضل
له الحكم طبع والفضيلـــة شانــــه | حليم عن الجاني إلى السلم مائل
فليت لنا الأيام تنجــــــب مثلـــه | إمام له تعنو السراة الأوائـــــل
على هذه الدنيا العفا بعـد موتــــه | فليس بها إلا غرور وباطــــل
تعادي أولي المجد الاثيــل أصالة | ويرضى بها غر لئيم وجاهــل
وكل جديد للبـــلاء معـــــــرض | (وكل نعيم لا محالة زائـــل)
فيا قبر قد واريت بحرا مـــن العلى | يضيق به رحب الفضا وهو سائل
ومن طبق الدنيا الوسيعـــة فضله | وتزهو إذا ما حل فيها المحافل
قضى نحبه والخلد كانت مقيلــــه | يساوره عفوا من الله كامــــل
سقى جدثا قد ضم قبر أمامنــــــا | سحابا من المولى المعظم شامل

العلامة الشيخ عبد الوهاب الحجازي:

هو ابن الشيخ عبد الفتاح الحجـازي مفتـي البصـرة ولـد سـنة ١٢٤٨هـ يقابلها سنة ١٨٣٢م كان رحمـه الله أقـوى العلمـاء بيانـا واجودهم حكمة وبرهانا ولذلك اختير من بين أقرانـه وعيـن مدرسـا يدرس العلوم على اختلافها بمدرسة جامع الخاتون التي أنشـأتها مـع الجامع سنة ١٢٦٧هـ يقابلها سنة ١٨٥٠م منورة خاتون زوج سـليمان باشا ثم تقلب في وظائف عديدة منها القضاء الشرعي في كثير من مدن العراق كالحلة والناصرية والسليمانية ثم عين أمينا للفتوى في بغداد ثـم نائب قضائها الشرعي ثم منصب الإفتاء في مدينة البصرة كما أنـاطت به وظيفة مدير المعارف ونظارة الأوقاف وعلى ذلك منحته الحكومـة

العثمانية مقابل خدماته الجليلة التي خدم بها الدين الحنيف و الأمة من ناحية العلم والقضاء وسام(السلطنة العثمانية) ورتبة(باي تخت) وفي سنة ١٣١٣هـ يقابلها سنة ١٨٩٥م أيام الوالي الحاج حسن باشا أنشبت المنية فيه أظفارها بمدينة البصرة وكبر موته لدى البصريين حتى تجمهروا في باب دائرة الأشراف ووجوه القوم ورجال الحكومة مشيعين جثمانه ودفن في تربة حسن البصري وقد أرخ عام وفاته تلميذه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

قبر ثوى علم الهدى بصفيحة فغدا سحيق المسك فيه رجامه
علامة العلماء والفضل الذي نشرت على كل الورى أعلامه
من كان للشرع الشريف مشيدا علما محكمة به أحكامه
عجبا لقبر ضم طود مكارم وسحاب فضل لا يجف رهامه
مفتي الأنام وقدوة الإسلام للدين الحنيف قوامه ودعامه
فعلى أبو الندب الأمين بحق لل مجد المؤثل أن تجر لمامه
وله لسان الفضل نادى معلناً أرخ بجنات الخلود مقامه
١٣١٣هـ

السيد سلمان النقيب:

هو ابن السيد علي النقيب ولد سنة ١٢٥٠هـ يقابلها سنة ١٨٣٤م تولى منصب النقابة بعد وفاة والده وهو الذي بنى المجد لآل الكيلاني في بغداد كان رحمه الله شهما وبطلا مقداما يستلين القلوب بلين الجانب وحسن المجالسة رحب الساحة أنيس المجلس مكرما لأهل العلم محبا

للشعراء والأدباء عطوفا على الأرامل والفقراء لا ترى العين منه إلا ما يسر القلب ويشرح الصدر، حج بيت الله الحرام في سنة ١٢٩٦هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م الذي خرج فيه بموكب هيبة وعظمة حتى أن جميع البغال التي حملت أثقاله هي ملكه مع خدمها وتقدر بمائة بغل وقد رافقت الحكومة بخدمته(بلوكا) أي سرية من الجندرمة بقيادة مخلص بك(آلاي بكي) أي رئيس الفرقة وبعد أن أدى فريضة الحج تشرف بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم توجه إلى استانبول وقابل السلطان عبد الحميد وأنعم عليه برتبة استانبول والوسام المجيدي من الدرجة الأولى وبعد عودته إلى بغداد عين رئيسا للجنة إدارة الأملاك السلطانية(السنية) وفي سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م توجه مرة ثانية إلى استانبول بناء على طلب السلطان عبد الحميد وبصحبته ولده السيد داود ضياء الدين فأنعم عليه السلطان رتبة(القاضي عسكر في الأناضول) ثم رفع إلى رتبة(القاضي عسكر في روم ايلي) وهي منتهى المراتب العلمية كما أحسن عليه بالنيشان(العثماني المرصع) وبمدالية من الذهب والفضة وقد أنعم على أولاده وأخوته بالرتب العلمية وكانوا يتجاوزون أثنين والثلاثين رجلا وفي سنة ١٣٠٤هـ يقابلها سنة ١٨٨٦م عاد إلى بغداد.

ومن أعماله الخيرية إنشاؤه في محلة(السنك) ببغداد مسجدا ولما كملت عمارته سنة ١٣١١هـ يقابلها ١٨٩٥م وأرخه بعض الأدباء بقوله:

يا نقيبا لم تزل خير فتى	خصك الله برشد وهدى
أروع الله الخير الذي	بلغ الوفاد منه المقصدا
فزت مذ شيدت يوما مسجدا	بنعيم دائما طول المدى

وترى الإسلام لله بـــــــــه　　ركعا طورا وطورا سجـــدا
فعلى نهج الهدى قـــد أرخوا　　وعلى تقوى أقمت المسجدا
١٣١١هـ

وفي سنة ١٣١٢هـ إنشاء سقاية(سبيل خانة) يردها العطاشا ولمـــا تم تشييدها أجرى إليها الماء من نهر دجلة وقد أرخ عام بناءها بعـــض الأدباء بقوله:

سيد القوم وفخـــر النقبـــا　　من له فوق الثريا نسب
رضـى الله علـــى أفعالـــه　　وبه يعلو العلى والرتب
بالندى يمناه أجرت موردا　　جملة الوراد منه تشرب
فإذا قيل لعمري دجلـــــة　　ماؤها عذب فرات طيب
قلت بالواحد لطفا أرخوا　　سلسبيل القادري أعذب
١٣١٢هـ

ودام كهفاً للأرامل والأيتام حتى وافاه الأجل المحتوم فـــي ١٤ ذي الحجة سنة ١٣١٥م يقابلها سنة ١٨٩٦هـ وقد شيع جثمانـــه بموكـــب اشترك فيه جميع سكان بغداد ورجال الحكومة ودفـــن فـــي الحضـــرة الكيلانيه في حجرة خاصة وقد أرخ عام وفاته الشاعر شـــهاب الديـــن الموصلي بقوله:

هنا قادري الجد جاور جـــــــده　　بتربته للحشر يغشاه رضـــــوان
على فقده عبد الحميد بملكـــــــه　　له أسف قد بثه وهو سلطـــــــان
مضى في سبيل الحق والمجد مجده　　إلى سائر الدنيا له سار إعــــلان
مناقبه الحســـــنى وآثاره التـــــي　　له الدهر حتى ينتهي الدور احسان
قد اختار عن دار الفنا دائم البــقا　　بدار نعيم ليس تفنيه أزمــــــان

مع الله منه الصدق قد صح ارخوا ثوى بالتهاني مقعد الصدق سلمان
١٣١٥ هـ

العلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي:

هو ابن الإمام العلامة أبو الثناء السيد محمود شهاب الدين الآلوسي صاحب(تفسير روح المعاني).

ولد ١٢ محرم سنة ١٢٥٠هـ كان رحمة الله جوزي زمانه في الوعظ وقد بلغ في حسن التذكير والإرشاد النهاية، وقد تولى في شبابه بعلمه وفضله ونبله القضاء في بلاد متعددة حمد عليها وحبب إلى القلوب وفيه يقول بعض أدباء الحلة:

تصفا الشريعة للواردين فقد جائها اليوم نعمانها
وقد كان مطروفة عينها فنال الشفا فيه انسانها

وفي سنة ١٢٩٥هـ يقابلها سنة ١٨٧٨م قصد بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج ومر بطريقه على مصر القاهرة، لطبع(تفسير روح المعاني) وفي سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م ذهب إلى استانبول لإعادة ما اغتصبته يد الجور من حقوقه إلى نصابه ولما وصلها كان موضع تقدير السلطان عبد الحميد وأنعم عليه بمراتب عالية وأصدر أمره بإعادة مدرسة مرجان إليه وبعد أن قضى فيها سنتين رجع إلى بغداد وتصدر التدريس بعنوان رئيس المدرسين وقد هنأته الشعراء وأرخت توجيه المدرسة إليه بقصائد عديدة منها قول شهاب الدين الموصلي:

وافى وعرفانه والعلم عــــــرفه على رجال ذوي علم وعـــــرفان
موظفا قد أتى لكن بمدرســــــة قديمة العهد من إنشاء مــــرجان
وظيفة قبله كانـــــت لـــوالده بموجب الشرط شرط الواقف الباني
واليوم قد عاد مقبول الجناب إلى بغداد باليمــــن مشمولا بإحسان
وفي صكوك العلى والعلم أرخــه سجل تدريس مرجان لنعــــمان
١٣٠٢هـ

وظل يقرط الآذان بوعظه ويخبر الأشعار بتأليفه حتى أتاه اليقيـــن صبيحة يوم الأربعاء ٧ محرم ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩مأيام الوالي نامق باشا الصغير وشيع جثمانه تشييعا مهيبا إلى مقره الأخير في جامع مرجان.

العلامة محمد آل جميل:

هو ابن العلامة عبد الغني آل جميل كان رحمه الله شـــهما هماما وبطلا مقداما وعالما فاضلا وأديبا كاملا ورث الشـــرف العظيم مـــن أسلافه الأمجاد عطوفا على الفقراء أليفا للشعراء لا ينفك عنـــهم ليـــلا ونهار؟ تقلد وظائف مهمة في الدولة أظهر في جميعـــها مـــآثر حميـــدة وأفعال مجيدة وقد تزين صدره بوسامين(وسام العثماني) و(المجيـــدي) لقاء خدماته الجليلة.

توفى فجاءة ليلة الاثنين ٢٦ رجب سنة ١٣١٨هــــ يقابلـــها ســـنة ١٩٠٠م أيام الوالي نامق باشا الصغير وقد عز فقده على جميـــع أهـــل

بغداد الخاص والعام لما له من المنزلة العالية بينهم وقد شـــيع جثمانـــه بالحسرات والدموع ودفن في جامع آل جميل في محلة قنبر علي ببغداد.

وقد رثاه أسعد أفندي الطبقجلي بأبيات أرسلها برقيا من الحلة وهي:

لفقد محمد قد حل خطـــب به بغداد طأطأت الرؤسا
وأن الصبر في عيسى جميل فتى يجلو بطالعه النحوسا
بموت أبيه مات المجد لكــن بأذن الله قد أحياه عيسى

وبعث العلامة السيد محمد القزويني من الحلة هذين البيتين:

لأبي عيسى بكت عين المعالي فهوى في فقده بدر الكمال
فلعيسى أسوة بالمصطفـــــى يتسلى وبمحمود الخصال

السيد حسين آل السيد حيدر:

هو العالم الجليل والزعيم الديني الذي كان مرجعا للجعفريـــة فـــي بغداد ومجلسه كان حافلا برجال بغداد وعلمائها وتجارها وكـــانت داره في محلة صبابيغ الآل مركزا للاجتماعات الدينيـــة والمـــآتم الحســـينية ومدرسة للعلوم المختلفة ومنها تخرج عدد كبير من الأدباء والفضـــلاء وهو من السادة الحسنية التي ينتمي إليها آل السيد عيســـى وآل الســـيد حيدر وآل السيد هادي العطار وآل الســيد راضـــي وآل المرايـــاتي آل حمندي.

جاء إلى بغداد من الكاظمية في عام ١٢٩٥هـ وكيلا عن الإمـــام الكبير السيد محمد حسن الشيرازي(ره) ومن بعده الشيخ محمـــد طـــه نجف. فكان مرجعا للشيعة في مسائلهم الدينية وحل مشاكلهم الخاصـــة.

كان له من الأولاد السيد كاظم وكان عالما فاضلا له مؤلفات خطية سكن الكرخ. ذكره المرحوم الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ممن ذكره من علماء بغداد في كتابه(المثل العليا). توفي سنة ١٣١٣هـ قبل والده.والسيد عبد الكريم الذي خلف والده في مركزه الديني والسيد صادق التاجر المعروف في سوق الشورجة. توفي السيد حسين في سنة ١٣٢٠هـ فشيعته بغداد ونقل مشيا على الأقدام إلى الكاظمية حيث اقبر في حسينية الأسرة فيها. وقد رثاه عدد كبير من الشعراء الشيخ محمد حسن كبة والسيد راضي القزويني والسيد حسون القزويني والسيد محمد صادق الاعرجي وغيرهم.

العلامة الشيخ قاسم البياتي:

هو ابن الشيخ محمد البغدادي البياتي، كان رحمه الله عالما عليما ومفسرا كبيرا ومحققا بارعا وكان في العلم آية كما كان جنة نعيم لا يجوع طالب فيها ولا يعرى وكان ينطبق عليه قول القائل:

يحل عقود المشكلات برأيه   إذا أشكل المعنى الدقيق وعقدا
وأحيا دروس العلم في علم درسه   بدت فيه آثار الفضائل مذ بدا
وافصح من نهج البلاغة منطقا   تخر له الأقلام في الطرس سجدا

وكثيرا ما كان يخطب وده الولاة فلم يفلحوا في مقابلته، وقد أخذ على عاتقه دراسة العلوم على اختلافها حتى توفاه الله تعالى في سنة ١٣٢٥هـ وشيع جثمانه بموكب حافل مشى فيه جميع طبقات الأمة

ودفن في مقبرة العيدروسي، وقد أرخ عام وفاته معــــروف الرصـــافي بقوله:

على قاسم شيخ الطريقة قد بكــت	جواهر فضل ما لها الدهر قاسم
بكاء التقى والعلم والحلــم والنهى	وحسن السجايا والعلى والمكارم
فقدنا الذي قد كان في العلم عيلما	فماجت لمنعاه البحار العيالـــم
لئن قد طواه الموت عنا فذكـــره	مع العلم منشور على الدهر دائم
رزءناه حبرا في الطريقة مرشدا	به اتضحت للسالكين المعالـــم
عفت أربع الإرشاد بعد ارتحاله	وكانت به منها تقوم الدعائـــم
حليف التقى ما دنس الدهر ثوبه	بآثم ولا مرت عليه المحــــارم
ترحل للأخرى وأبقى مناقبــــا	تهنى من الدنيا بهن المواســـم
يصوم نهار الصيف لله طائعـــا	ويحيي الليالي وهو لله قائـــــم
إذا ما بدا للقوم لاحت بوجهـــه	دلائل من نور الهدى وعلائـــم
ولما مضى للخلد قلت مؤرخـــا	لقد بات في أعلى الفراديس قاسم

١٣٢٥هـ

وكذلك أرخ عام وفاته جميل الزهاوي بقوله:

كبير الموت كبار الأعاظـــم	فان بهم عماد الدين قائـــم
أيبقى قائم للديـــن بيـــت	إذا انهدمت من الدين الدعائم
قضى والهفتا من كان يحيـــا	لتزكية النفوس من المآثـــم
قضى العلامة الحبر الذي لـــم	تلد كمثاله أم المكــــــارم
قضى الشيخ الوحيد فقلت أرخ	توفى أشرف الزهاد قاســـم

العلماء المبرزون بعد الدستور العثماني

العلامة مصطفى نور الدين الواعظ

هو ابن السيد محمد أمين الواعظ ابن السيد محمد الادهمي ولد في ربيع الأول سنة ١٢٦٣هـ يقابلها سنة ١٨٤٤م وقد أرخ عام ولادته الشاعر عبد الباقي العمري بقوله آخر بيت من قصيدة:

أضاء من نادى الأمين فأرخوا   بالمصطفى مجد الأمين انتعشا

كان رحمه الله بارعا في كافة العلوم وبالغ القصوى في تحقيق المنطوق والمفهوم رحيما في سيرته شفيعا بحسن طويته لايرد مراجعة مظلوم ولا يخشى بطش ظالم.

نصب مدرسا في مدرسة الخاتونية وهو ابن عشرين سنة وفي سنة ١٢٨٩هـ يقابلها سنة ١٨٧٢م نصب مدرسا وواعظا وخطيبا في مدرسة بمدينة البصرة في الجامع المسمى بابي(منارتين) وعين في ٢٧ ذي القعدة سنة ١٢٩٠هـ يقابلها سنة ١٨٧٣م عضوا في محكمة التميز والحقوق بالبصرة وقد استمر في هذه الوظيفة حتى ١٦ذي القعدة سنة ١٢٩١هـ يقابلها سنة ١٨٧٤م ثم عاد إلى بغداد وفي سنة ١٢٩٧هـ يقابلها سنة ١٨٨٠م عين رئيسا لمحكمة جزاء البصرة وقد سافر إليها في ١٣ شعبان من السنة نفسها وقد بقي فيها حتى جمادي الأخرى سنة ١٢٩٩هـ يقابلها سنة ١٨٨١م ثم استقال منها وفي ٢٠ ذي القعدة سنة ١٣٠٠هـ يقابلها سنة ١٨٨٢م نصب للإفتاء بمدينة الحلة وقد أرخ علم توليته للإفتاء الشاعر أحمد التميمي بقوله:

أني اهني سمى المصطفى بعلا   سما على غارب الجوزا وكوكبها
فلو يروم إلى الفتوى سواه فتى   من البرايا لعمري كان مشتبهـا
يفتي ويوعظ عن علم وموعظة   يصغي لها من غدا للوعظ منتبها
بشرى إلى حلة الفيحاء في علم   وسيدا من كرام الناس أنجبهـا
لما تهنت به نادى مؤرخـه   المصطفى مفتي فيحاء العراق بها
١٣٣٠هـ

وقد أنيطت به رئاسة مجلس المعارف ومديرية الأوقاف علاوة على الإفتاء في مدينة الحلة، وفي سنة ١٣٢٦هـ يقابلها سنة ١٩٠٨م انتخب(مبعوثا) أي نائبا عن مدينة الحلة وسافر مع النواب المنتخبين إلى استانبول وبعد أن انفض مجلس المبعوثان في استانبول رجع إلى بغداد مع زملائه المبعوثين وعاد إلى أسرته الأولى للوعظ والإرشاد وفي يوم الثلاثاء ٢٤جمادي الأولى سنة ١٣٣١هـ يقابلها سنة ١٩١٣م أيام الوالي محمد زكي باشا لبى نداء ربه وبموته أخرس لسان الوعظ وانطفىء مصباح الخطابة وقد شيع جثمانه تشييعا فخما اشترك فيه جميع أهل بغداد ودفن في تكية البكري في محلة باب الشيخ وقد أرخ عام وفاته العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

وأجل خطب غصت الدنيا به   في عصرنا فقد الهمام المصطفى
كنز المواعظ من علت أسلافه   أوج العلى والفرع بالأصل اقتفى
كالبحر علما والسحاب إفادة   فلكم أفاد المستفيد واسعفـا
في كل علم لا يبارى علمه   كشف الغوامض مذ أجاد وألعـا
ناداه داعـي ربه فأجابه   مستبشرا بلقائه مستطفـا

فبكت لفقد حياته أهل النهـــى والكل أصبح واجما متأسفـــا
ولسان حال الوعظ نادى أرخوا من للمنابر مثل نهج المصطفى
١٣٣١هـ

وكذلك أرخ عام وفاته العلامة السيد علاء الدين الآلوسي بقوله:

أسفا لقد حل الحمام بفاضـــل من فقده الزورا بأمر باهـظ
قد كان في علم الشريعة حافظـا ولسنة المختار جد محافـــظ
وله اليراع العضب يرعف ثغره للدين خير مآزر وملاحـــظ
فقضى حقوق العلم غير مقصـر بكتابة وخطابة ومواعـــظ
وبمذهب النعمان جاهد حقبـــة من عمره جهد الغيور اللاحظ
حتى قضى نحبا وسار لربـــه همم المحامد في أمان الحافظ
وثوى جوار أب أبر مجاهـــد في الدين نصار (أمين) حافـظ
تبكي عليه قلوب أرباب النهـى حزنا فقد دهمت برزء غائـظ
كم من لسان يوم مات المصطفى يولي الثناء وبالرائي لافــظ
والدين ناح عليه لما أرخـــوا الدين نواح على ابن الواعـظ
١٣٣١هـ

العلامة الشيخ سعيد النقشبندي:

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الغني العبيدي، كان رحمـه الله في علومه كزق عسل إن فتحت فمه خرج عسل حلو وإن خرقـت جنبه خرج عسل حلو وفتحت يده خرج عسل حلو كله جيد وكله نافع له اليد الطولى في العلوم النقلية والعقلية لا يضاهيه بها أحد ولا يجاريه بها

فرد وكان مدققا ومحققا عن وجوه الاستنباط والأدلة له معرفة كلية بالأحكام الدينية حتى عد في رتبة المرجحين وفوق هذا كله كان يسعى لاستقلال العرب وقد لاقى في هذا السبيل مصاعب جمة وكان رئيسا لحزب(المشور) الذي كانت خطته الوحيدة إرجاع الشريعة الإسلامية إلى حضيرتها الأولى وهذا الحزب تشكل في العهد العثماني بعد إعلان الحرية واستيلاء الاتحاديين في شؤون الدولة في بغداد وتشكل هذا الحزب بكل من الفريق كاظم باشا ومحمد فاضل باشا الداغستاني والسيد عبد الرحمن النقيب والسيد محمود النقيب والسيد عبد الله النقيب وعيسى أفندي آل جميل وعبد الرحمن أفندي آل جميل وعبد الرحمن باشا الحيدري وسالم أفندي الحيدري وجميل أفندي أمين الإدارة ومن أعمال هذا الحزب أن أخذ يقاوم الفكرة اللادينية حتى قضى عليها وفي سنة ١٣١٤هـ يقابلها سنة ١٨٩٦م سافر إلى استانبول بناء على طلبه من قبل المشير توفيق باشا أحد تلامذته بعد أن عرض صفاته إلى المابين ولما حل في استانبول مثل بين يدي السلطان عبد الحميد ومن هناك صدرت الإرادة بإنشاء مدرسة دينية كبرى في مدينة سامراء على أن يكون الشيخ سعيد شيخا للعلم فيها وعلى أثر هذه المنحة الدينية رجع إلى بغداد ولما عاد مر في قاهرة مصر واجتمع بعلمائها الأعلام وقد زار ضريح الإمام الشافعي وهناك ارتجل الأبيات التالية:

أتيت لقبر الشافعي إمامنا — لكي ارتوى من بحره المتلاطم
فلما أتيت القبر شاهدت لجة — علتني علو الست منها بسالم
فنوديت ما هذا عليك بفلكنا — فأنا وضعناها إلى كل قادم

ولما حل ببغداد أنشأت المدرسة بسامراء واكتضت بطلاب العلم وبقي يدرس العلوم فيها حتى وفاة العلامة السيد محمد حسن الشيرازي وفي سنة ١٣١٨هـ يقابلها سنة ١٩٠٠م نقل إلى التدريس في مدرسة الإمام الأعظم أبو حنيفة وقد أرخ عام نصبه مدرسا معروف الرصافي بقوله:

ألا قد سر طالب كل علم ... ومن بذل النفائس في طلابه
صبيحة شرف الزورا سعيد ... بمقدمه المبارك في غيابه
وتدريس العلوم لطالبيها ... لدى النعمان عاد إلى جنابه
هو البحر الخضم بغير حد ... فرائد كل علم في عبابه
فقلت بمعرض التاريخ بشرى ... وأمر الدرس عاد إلى نصابه

١٣١٨هـ

وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها سنة ١٩١٧م نصب شيخا للإرشاد في(تكية الخالدية) وأخذ الناس يفدون عليه من جميع أنحاء العراق للسلوك في طريقة النقشبندية.

وهكذا بقي يناصر الدين الحنيف حتى وافى أجله المحتوم سنة ١٣٣٩هـ بعد احتلال بغداد من قبل الجيوش البريطانية وشيع جثمانه من داره إلى جامع الفضل ودفن في تربة آل النائب وأرخ عام وفاته شقيقه العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب وكتب التاريخ برخامة ووضع فوق باب التربة وهو:

هنيت يا قبر بمن قد حوى ... شريعة المولى الرؤوف الحميد
قد كان يحيي القلب في وعظه ... ويرشد السالك والمستفيد
كان من الأخلاق تمثالها ... وفي التقى قد كان بيت القصيد

مدارس العلم بكت بعـــــده	فهو لعمر الله نعم العميـــــد
أم المعالي عقمت بعـــــده	هيهات أن تأتي مثل الفقيـــد
في روضة الجنات قد أرخوا	حل بدار الخلد فردا سعيـــد

١٣٣٩هـ

وكذلك أرخ عام وفاته مؤلف هذا الكتاب بقوله:

أبعد السعيد يطيـــب المنـــام	فذاك لعمري علينا حـــرام
وكيـــف يطيب الكرى في الدنا	وفيها فقدنا التقي الهمـــام
ناداه اقـــدم إلـــه السمـــا	وابشر فأنت بأعلى مقـــام
فلبـــى النـــداء بتاريخـــه	وأضحى سعيدا بدار السلام

١٣٣٩هـ

العلامة السيد علي علاء الدين الالوسي:

هو ابن العلامة نعمان خير الدين الآلوسي ولد فـــي شـــعبان ســـنة ١٢٧٧هـ يقابلها سنة ١٨٦٠م كان غصنا يانعا من دوحة علم أصلـــها ثابت وفرعها في السماء حج في صباه مع والده وسافر إلى اســـتانبول مرارا منها مرة مع أبيه وتعلم اللغة التركية والفارسية واتقـــن الأولـــى حتى نظم الشعر فيها وانتظم في سلك طلاب النيابة والقضاء ونال منـــها الشهادة ولما توفي أبوه سنة ١٣١٧هـ يقابلها سنة ١٨٩٩م قام مقامـــه وولي تدريس مدرسة مرجان في الرصافة ومدرسة الشيخ صندل فـــي الكرخ ولما أعلن الدستور العثماني والتام المجلس في استانبول انتخبـــه

الشعب العراقي مبعوثا أي نائبا عنه، وله قدم صدق في المطالبة بحقوق البلاد والذود عنها بكل ما أوتي من طول وحول وبقى إلى أن انفض المجلس، وفي سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٦م دعي إلى القضاء في بغداد فزهد فيه وأصروا عليه فلم يجد بدا من تقليده على كره منه وقام به حق قيام.

وما اصدق قوله واحكمه حينما أصرت عليه الحكومة بقبول قضاء بغداد وهو:

إن القضاء هو البلاء فلا تكن ... متعرضا فتصاب في سوء القضا
إذا ابتليت به على كره فقد ... نهج العدالة أنها سبب الرضا
والله عون الحق ينصر أهله ... ويذل من هضم الحقوق واعرضا

وبقي في منصب القضاء يجله الوقار ويكتنفه الجلال وقد صلحت به العباد وانحسم الفساد إلى أن أصابه مرض الفالج ليلة عيد الفطر سنة ١٣٣٨هـ ولم يزل هذا ناشبا أضفاره فيه حتى اختارته المنية ليلة السبت ٨جمادي الأولى سنة ١٣٤٠هـ بعد احتلال بغداد وشيع جثمانه من الاعظمية تحفه طبقات الدوائر الرسمية والعلمية والأهلية ودفن في جامع مرجان.

العلامة السيد محمود شكري الآلوسي:

هو ابن العلامة السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي ولد ١٩ رمضان سنة ١٢٧٣هـ يقابلها سنة ١٨٥٦م توفي أبوه وهو لم يزل في سن

الصبا وتعهده عمه العلامة نعمان خير الدين الالوسي فغذاه غذاء علميا واسقاه من معين علمه الزلال حتى أهلته مواهبه للتدريس فدرس في جامع الحيدر خانة وجامع السيد سلطان علي ولما ذاعت شهرته وطبق الخافقين صيته لاسيما بعد أن ظفر كتابه(بلوغ الأرب في أحوال العرب) بجائزة لجنة اللغات الشرقية المتحدة في(استوكهولم) بدعوة من ملك النرويج قصده المستشرقون(كمرغليث) الإنكليزي و(ماسينون) الافرنسي اللذان اعترفا بفضله وارتفع صوته رحمه الله كمصلح وصار يدوي في المطالبة بتطهير الدين الحنيف مما لحقه من ضياع وقد شن في سبيل ذلك غارات شعواء على الجامدين تعرض من ورائها إلى سخطهم وغضبهم فراحوا يشنعون عليه ويرمونه بتهم شتى هو براء منها حتى أغروا الوالي عبد الوهاب باشا أن يقدم إلى الباب العالي طلبا بنفيه وقد صدر الأمر بأبعاده عن بغداد ومر بطريقه إلى منفاه بمدينة الموصل فقام الموصليون وقعدوا وقابلوا ذلك بالسخط المرير لما للالوسي عندهم من المكانة السامية وابرقوا للسلطان عبد الحميد يسألونه الصفح عنه واتفق أن أعلن الدستور العثماني فصدرت الإرادة بالعفو وعاد إلى بغداد، ولا ننسى ما للالوسي من المكانة المرموقة والاحترام الشامل عند ولاة بغداد ومنهم الوالي سري باشا فكان لا ينقطع عن الاجتماع به والاسترشاد برأيه فاناط به إنشاء القسم العربي من جريدة الزوراء التي أنشأها الوالي مدحت باشا ولم يغفل الوالي جمال باشا حين عهدت إليه ولاية بغداد عن مواهبه السامية وآرائه الصائبة فانتدبه خلال الحرب العالمية الأولى إلى نجد لمفاوضة أميرها بشؤون سياسية ولم يكن الآلوسي وهو عالم تحرير يصلح بمثل هذه المهام فاخفق فيها وعاد إلى

بغداد وعكف على دراسته وإرشاداته حتى سقوط بغداد من قبل البريطانيين سنة ١٣٣٥هـ فعرضوا عليه قضاء بغداد فزهد فيه ثم عرض عليه أوائل تشكيل الحكومة العربية الموقتة الإفتاء فرئاسة مجلس التمييز الشرعي فالقضاء فالمشيخة الإسلامية فرفض كل خدمة غير العلم الصحيح، وبعد مرض مزمن ألم به طيلة بضع سنوات، وفي ٤شوال سنة ١٣٤٢هـ لبى نداء ربه وقد شيع جثمانه بالحسرات والدموع واشترك في التشييع العلماء ورجال الحكومة والأهلين ودفن بقبرة الجنيد البغدادي بجانب الكرخ واقيمت له(فاتحة) في داره وقد أنشدت فيها قصيدة مع الشعراء الذين أنشدوا القصائد في رثائه وهي:

صبرا وإن كان المصاب جليلا قد طبق الدنيا بكا وعويلا
ويلاه من هذا الزمان فانه لم يدر إلا الغدر والتنكيلا
أبدا يريش نباله لكنه لم يصم إلا أصيدا ونبيلا
لله أي مصيبة ورزية أضحى لها طرف العلو كليلا
يا أيها النبا المغادر دجلة عز الفرات به وعز النيلا
اليوم قد رزء العراق بفقد من مقل الورى سحت عليه سيولا
اليوم بيت العلم طاح عماده فانهار من بعد السمو مهيلا
اليوم أقفرت المدارس وانمحت منها الرسوم وعطلت تعطيلا
اليوم أقفلت النوادي كلها اليوم أصبحت الديار طلولا
اليوم شمل العلم عاد مشتتا مذ بات عقد نظامه محلولا
هيهات بعد(أبي المعالي) أن ترى لعلومه بين الأنام مثيلا
من ذا ترى(للحيدرية) بعده في العلم والتقوى يكون بديلا
ياراحلا والمكرمات تحفه يممت ظلا في النعيم ظليلا

مالي أراك وأنت تسرع في السرى هلا وقفت إلى الوداع قليـــــــلا
ما شيعوا للقبر نعشـــــك وحــده بل شيعوا التكبير والتهليـــــــلا
قد كنت للزوراء أقـــوى ساعد واليوم ساعدها انثنى مشلـــولا
سل الزمان عليك عضبا مرهفــا يا ليت مرهفة انثنى مفلـــولا
مولاي يومك ما اجــل مصابــه أذهلت فيه من الأنام عقـــولا
إني وددت بان أكـــون لك الفدى لو كان يرضى الموت في بديلا
وابيت قبلك في التــراب مغيبــا لو إنني ألقى لذاك سبيـــــــلا
فلا رثتيك ما حييت علـــى المدى ولابكينك بكرة وأصيـــــــــلا

وفي عصر الأربعين ١٣ذي القعدة سنة ١٣٤٢هـ أقيمت حفلــة تابينية كبرى في جامع الحيدرخانة اشترك فيها جماعة مـــن الشــعراء والأدباء وكنت من ضمنهم وقد ألقيت قصيدة في رثاء العلامة الالوســي وهي:

جئنا نقيم بهذا اليـــوم تأبينـــا والدمع كالغيث يجري من مآقينـــا
جئنا نجدد ذكرى ما ألـــم بنـــا من المصاب لو أن الذكر يجدينـــا
جئنا نشاهد آثـــارا مخلـــــدة تهدي إلينا ونهديهـــا لتالينـــــا
جئنا نعزي المعالي والعلـــوم بمن إلى طريق الهدى قد كان يهدينـــا
الله اكبر مات العلـــم واندرســت آثاره وخلت منـــه نواديـــــا
الله اكبر ما للدهــــر يفجعنـــا ما أن نصادقه إلا يعاديـنـــــا
لا تعتبين على دهـــر يفرقنـــا فشيمة الدهر تفريـــق المحبينـــا
يا كوكبا غاب في الأجداث منطفئا وجوهرا بات تحت الترب مدفونا
لئن نسيت عهودا فـــي محبينـــا فنحن لسنا لعهد منــك ناسينـــا
بعدت عنا ولم تسمـــع تحيتنـــا وطالما كنت يا(شكري) تحيينـــا

قم من ضريحك وانظر امة وقفت   تبكي علاك وتبكي العلم والدينا
قم من ضريحك وانظرنا بعين رضا   فنظرة منك بعد اليوم تكفينا
مذ سرت سار الهنا عنا وودعنا   والحزن ظل مقيما في نواحينا
تركت أنجالك الطلاب في جزع   مشتتين مدى الأيام باكينا
كانت أمان لنا يا قوم زاهية   بموت(شكري) لقد ضاعت أمانينا
عزوا المحافل عزوا اليوم(بهجتها)   عزوا المدارس بل عزوا الدواوينا
عزوا تلاميذه الأنجاب قاطبة   وعزوا أسرته الغر الميامينا

العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب:

هو ابن الشيخ عبد القادر بن الشيخ عبد الغني ولد سنة ١٢٦٩هـ كان رحمه الله خاتمة المحدثين وإمام المفسرين لا يجادله أحد إلا أفحمه ولا يناظره جاحد إلا خذله كان رحمه الله آية من آيات العلم ومعجزة من معجزات الأدب ولغزارة علمه أنيط به من المناصب الشرعية والفتاوى العلمية ما هو أهل لها وهي أهل له فضلا على نصبه مدرسا في مدرسة(جامع الخاتون) وواعظا في جامع مرجان في شهور رمضان في كل سنة وفي جامع الفضل عصر كل يوم بعد الصلاة وكانت مجالس وعظه لا تخلو من ولاة وعلماء وقضاة ووجوه واعيان فضلا على جماهير الناس المحتشدة في كل مكان بالجامع.

وظل شيخنا النائب يتمتع بثقة الولاة وبرقى إلى أعلا المناصب بين تدريس وإفتاء وحكم وقضاء، وعضويتي مجلس الإدارة والعلمي نظارة الأوقاف وبذلك أسدى للحكومة خدمة جليلة مما جعل السلطان عبد

الحميد أن يمنحه رتبة(ازمير) بعنوان أقضا القضاة بموجب فرمان شاهاني مؤرخ في يوم الأول من جمادي الآخرة سنة ١٣١٥هـ كما منحه رتبة(الحرمين الشريفين) وهذه أيضا بموجب فرمان شاهاني مؤرخ ٢٤ربيع الثاني سنة ١٣٢١هـ وكذلك منحه السلطان محمد رشاد رتبة(أدرنه) بعنوان اقضى قضاة المسلمين بموجب فرمان شاهاني مؤرخ سنة ١٣٢٥هـ وقد حاز أوسمة مرصعة رفيعة الشان قدمت له بحفلات رسمية.

لقد عاش شيخنا النائب وروحه تواقة إلى الأعمال الخيرية ورفع مستوى العلم فشيد ثلاث مدارس من خالص ماله(الأولى) في محلة الفضل كما نوهنا آنفا(والثانية) جنب دار ضيافته في(الراشدية) واختار لها مدرسا الشاعر معروف الرصافي وخصص له راتبا من خالص ماله(والثالثة) في قرية(الجديدة) ولكرمه الحاتمي وهب تلك المدارس إلى الحكومة لتكون تحت رعايتها فشكرته الحكومة وتقبلتها منه قبولا حسنا وهي لاتزال إلى الآن، وفوق كل هذا فقد دفعته غريزته العلمية والاحتلال ضارب إطنابه في جميع أنحاء العراق للسعي في فتح مدرسة أهلية التي هي اليوم تسمى(مدرسة التفيض) وبعد أن كابد المشاق وجابه الصعاب حصل الاجازة بفتحها وذلك سنة ١٩٢٠م وبعد إخماد الثورة العراقية وتشكيل حكومة وطنية اختير لرئاسة محكمة الصلح ببغداد وهي أول محكمة تشكلت بعد الاحتلال وتعيينه لهذه اكبر دافع على الأخذ بيد الأهليين وخلاصهم من تعسف المحتلين واختير لمنصب رئاسة التمييز الشرعي سنة ١٩٢٤هـ كما اختير لتدريس تفسير القرآن الكريم بجامعة آل البيت وبقي يدرس فيها إلى أن سدت.

إن كثيرا من الناس من يظن أن ليس لشيخنا النائب مؤلفات علمية وهذا خلاف ما يظنون فلقد آلف كتبا قيمة وحواش ثمينة ومنظومات غالية ولكن النفس الخبيثة واليد الأثيمة سرقتها ضمن الكتب التي سرقت من خزانة كتبه وشاء الله أن يفضح ذلك السارق فقد عثر على بعض الكتب المسروقة لدى ملا خضر بائع الكتب في سوق السراي ولما علم شيخنا النائب بذلك قال لاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم وتمثل بهذا البيت بعد أن عرف السارق!

رب من ترجو به دفع الأذى   سوف يأتيك الأذى من قبله

وقيل لشيخنا النائب في حديث جرى بمجلسه العامر حبذا لو أكثرت في التآليف العلمية لأنها هي التراث الخالد فسكت ثم قال مرتجلا:

عاق تدريسي عن التدريس لكن   فبهذا لست أني متأسف

من تلاميذي ألفت كتابا   كل فرد هو بالعلم مؤلف

وهكذا ظل شيخنا النائب يبث العلوم وتعليم الناس معالم دينهم وإرشادهم بالحسنى إلى الخير والسعادة حتى أخذت آثار المرض تبدو عليه فاوهن قواه وفي ظهيرة يوم الخميس ٢٧ ذي الحجة سنة ١٣٤٥هـ فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها وانطوت صحيفة أعماله العلمية من سجل الحياة وفوجئ العالم الإسلامي بخبر وفاته فشق نعيه على جميع الناس وشيع جثمانه بالتهليل والتكبير بصورة ما رأت بغداد مثله واجتازوا به شارع الرشيد حتى انتبهوا به إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني وبعد أداء الصلاة عليه عادوا به إلى مقره الأخير في جامع الفضل ودفن في الروضة المقابلة لروضة الإمام محمد الفضل

واقيم له مجلس فاتحة في الجامع المشار إليه وقد تليت في مجلس الفاتحة عدة قصائد لجمهرة من الشعراء وقد أرخت عام وفاته بقولي:

أي رزء أودى بشعب العراقي ومصاب قد عمّ في الآفاق
هو فقد الإمام العالم الحبر وشيخ العلوم بالاتفاق
قد قضى نحبه وراح مطيعا ومجيبا لدعوة الخلاق
ياله الله من فقيد عظيم قد رقت روحه لأعلى المراق
فهنيئا له بدار نعيم قد خلت من دسائس ونفاق
علمه الجم بعده سوف يبقى كبقاء السواد في الأحداق
لم يمت فضله وقد أرخوه فضل عبد الوهاب بالصحف باق
١٣٤٥هـ

وبعد مضي أربعين يوما لوفاة شيخنا المرحوم عبد الوهاب النائب أقيمت له حفلة تأبين كبرى في جامع الفضل اشترك فيها خيرة الشعراء والكتاب وقد ألقيت فيها قصيدة وهي:

ترحل صاحب الفضل العميم وخلف في القلوب لظى الجحيم
مضى عنا وكان العيش غضا بجانب ذلك الفذ الرحيم
ومادت راسيات الأرض حزنا عليه وقد هوت زهر النجوم
وقد فاضت عليه كل عين ولم تنج القلوب من الكلوم
ووجه الشمس أضحى مكفهرا يمثل صورة الخطب الجسيم
وبيت الفضل أمسى وهو قفر فليس بربعه غير الرسوم
فلا نطق سوى نوح فجيع ولا صوت سوى ناع مقيم
بكى العلم الشريف على شريف بكى الرأي الحكيم على حكيم
بكى الوطن العزيز على عزيز بكى العزم الشديد على الزعيم

بكى الكــرم المضاع عليه دومـــا بدمـــع قــد حكى هــطل الــغيوم
فلا عجـــــب إذا ما راح يــبكي فقــد يــبكي الكريم علـــى كريم
فــقل للشـــاتمين من الأدانـــــي شمـــــاتــتكم عــلى خطاء عظيم
فــلــم يرحــل لأمـــر دنــيــوي ولــكن حــن للوطــن الــقديــم
وقــــل للحــادثات مـــن الليالي لــقد بــلــغت ويحك ما ترومي
فبعد النائب الشهـــم المـــــفـــدى فــمن يـــرعى الجوار من الحريم
وبعـــده مـــن يــحيـــى الوفد عنا ويلقى الـــضيف بالثغر البــســـيم
وبعده مـــن يرد الخطـــب عـــنـــا ويـــدفـــع عـــدلـــه كــيد الخصيم
وبــعده مـــن يرى أمر الأيامـــي ومـــن يـــرثـــى إلـــى حال اليتيم
ومـــن للشرع بعـــد أبـــي(حسين) ومـــن للـــعلم بعد أبـــي الــعلوم
ومـــن للشعر بـــعد أبـــي(علاء) وصـــوت الشعر أصبح في وجوم
ومـــن للزهد بـــعد أبــــي(كمال) ومـــن يـــحمي حمى الدين القويم
ومـــن للفضل بـــعد أبـــي(جلال) وصرح الفضل أصبح كالـــهشيم
أبـــا(حسن) إذا مـــــا غبت عنـــا فــذكرك(خالد)عـــند الـــعـــموم
لـــقد عـــفــت الحياة ونـــحن فيها نكابد لـــوعـــة الـــعيش الـــذميم
وحـــقـــك مـــا الـــحياة حياة عز تـــطيـــب لكل شيــطان رجـــيم
خيار النـــاس تلـــقاهـــم نـــيامـــا علـــى مضض كأصحـــاب الرقيم
فــكيف يـــطيب عـــيش في بلاد يـــذل بها الـــكريم إلـــى الـــلئيم
تـــنعم فـــي الجنان فـــأنت فـــيها مـــدى الأيـــام في عيـــش نـــعيم

الشيخ محمد حسن كبة:

هو العالم الأديب والشاعر الأريب والرجل الفذ الذي جمع من الصفات ما لا يمكن لغيره فقد عرف انه من العلماء الأعلام ومن الفقهاء المبرزين في بغداد.وانه أديب نابه وشاعر مخلق دلت مساجلاته الشعرية التي كانت تجري بينه وبين أقرانه من فطاحل الشعراء كالحبوبي والعمري والسيد حيدر الحلي من مساجلات أدبية وقصائد شعرية ومراسلات نثرية تدل على بعد غوره +وتضلعه في هذه الفنون.وما كتاب العقد المفصل الذي ألفه الشاعر المعروف المرحوم السيد حيدر الحلي في الشيخ محمد حسن كبة.والذي يعتبر بحق انه من خيرة كتب الأدب التي الفت في العراق ومن يرجع إلى الكتاب المذكور الذي طبع في عام ١٣٣١هـ في بغداد يجد فيه مرجعا خصبا للحركة الأدبية في العراق عامة وفي بغداد خاصة في القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر الهجري. كان لأسرته الكريمة التي أحرزت في بغداد خاصة مكانة مرموقة ونفوذا كبيرا في المجتمع ولدى الولاة وأرباب الدوائر. لما لها من أياد كبيرة على الناس وخيرات كثار تشهد لهم ماتركوه من آثار لاتزال حتى اليوم يشار لها بالبنان. فما هذه الخانات التي أنشئت في القفار لتكون مأوى لقوافل الزائرين لمراقد الأئمة الأطهار. يجدون فيها الماء والسكن والامان.

وكان لهذه الأسرة دور كبير في خدمة الحركة الأدبية أثناء القرن المنصرم فقد تبنوا الأدب، وكان عميدهم المرحوم والد المترجم الحاج محمد صالح المتوفى سنة ١٢٨٨هـ واخوته المهدي المولود سنة

١٢١٩هـ والمتوفى سنة ١٢٧١هـ والحاج محمد رضا المولود سنة ١٢٤٥هـ والمتوفى سنة ١٢٨٢هـ والحاج مصطفى المولود سنة ١٢٥٥هـ.

كان لهؤلاء فضل يذكر ومكانة مرموقة في الوجاهة والتجارة ولكن الشيخ محمد حسن عرف بالفقه والشعر والأدب.

ولد المرحوم في رمضان سنة ١٢٦٩هـ. ولدى انصرافه عن التجارة إلى دراسة الفقه سكن مدة في سامراء أيام الشيرازي الكبير وبعده درس على الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية وقضى اكثر من عشرين عاما منقطعا عن التأليف في الفقه والأصول،وتوفي في الحادي عشر من رمضان سنة ١٣٣٦هـ وكان لوفاته وقع شديد وأسف عظيم من الجميع.

كانت له مساجلات شعرية وقصائد مشتركة بينه وبين أقرانه من الشعراء تجد ذلك في كتاب العقد المفصل وديوان الحبوبي وديوان العمري.وشعر المترجم جامع بين الرقة والمتانة ونقاء الديباجة والجزالة تقرا فتحس كأنك تقرا ابن سناء الملك وتارة كأنك تقرا أبا فراس الحمداني.

هكذا وصفه الدكتور مهدي البصير في كتابه(نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر).ومن شعره متشوقا إلى بغداد:

أرحها أيها الحادي على مغنى ببغداد
وطارحها أحاديث هوى فت بأعضاد
وقرط سمع داعيها بإنشاء وإنشاد

بـــحـيث رياضـــها بـــــاد   وألـــــفـــي زهــــرة الــنـــادي
بـــروحـــي أنـــت مـــن ألــف   وان عــــــز لــــــك الــفــادي
فــصـــل مــضـــناك تــغـلـيسا   وزور مـــــن غـــــير مـــيعاد
هـــزأت فــلـيس غــير المـجد   لــــي ألـــفــــا بـــبـــغـــداد

الشعراء المبرزون في عهد الدستور العثماني

جميل صدقي الزهاوي:

شاعر عبقري وفيلسوف عظيم ولد سنة ١٢٨٠هـ يقابلها سنة ١٨٦٣م أيام الوالي نامق باشا الكبير تربى في بيت علم بكنف والده العلامة محمد فيضي الزهاوي مفتي العراق فكان جميل الشاعر وكان جميل الفيلسوف وبعد إعلان الدستور العثماني استبشر جميل خيرا بإعلانه فسافر من بغداد والقى عصا ترحاله في استانبول دار السلطنة العثمانية وعين أستاذا في المكتب الملكي أي المدرسة الملكية للفلسفة ومدرسا في جامعة(دار الفنون) للآداب العربية.

ولم تدم إقامته هناك لمرض ألم به فعاد إلى بغداد واشترك في الانتخابات النيابية مرشحا عن حزب الاتحاد والترقي فاز بالأولى بنيابة(المنتفك) والثانية ببغداد ووقف وقفته المشهورة في ساحة مجلس النواب باستانبول في جلسة ٢٩حزيران سنة ١٩١٤م مطالبا إدخال اللغة العربية في المحاكم التي تشكل في ولاية بغداد وقد لقى المتعصبون من(المبعوثان) أي أعضاء مجلس النواب هجوما عنيفا من الزهاوي ففي ذات مرة كان المجلس يبحث في ميزانية البحرية فقرر أن تخصص مبالغ إلى موظفين يقومون بتلاوة بعض الأحاديث النبوية الشريفة من(البخاري) دفعا للخطر الذي يداهم الأسطول العثماني فاعترض الزهاوي على ذلك وقال بتهكم أيها السادة أن البواخر تسير بالبخار

وليس بالبخاري فضج المحافظون سخطا واستنكارا، وخطب الزهاوي في مناسبة أخرى فقال لقد جاء في الآية الكريمة(إن الأرض يرثها عبادي الصالحون) ليس هم العباد النساك إنما القصد هم الصالحون لأعمارها فارتفعت أصوات المعممين تطالب بإخراج هذا الزنديق من المجلس، ومع هذا لم تلهه لاهية عن طلب حق العرب المغصوب وهو في المجلس رغما على نزعته الاتحادية ولما شبت نار الحرب العالمية الأولى وخرج العراق من الحكم العثماني ودخل في حكم الإنكليز راح الزهاوي يسايرهم ويجاملهم فمدح الإنكليز ليبعد عن نفسه تهمة الولاه للعثمانيين فيقول:

أحب الإنكليز واصطفيهم لمرضي الإخاء من الأنام
جلو في الملك جلوة كل ظلم بعدل ضاء كالبدر التمام
تبصر أيها العربي واترك ولاء البعض من قوم لئام
ووال الإنكليز رجال عدل وصدق في الفعال وفي الكلام

وقد لازم الزهاوي أواخر أيامه سخط عميق ولم ينفك لسانه من التذمر إلى أن وافاه الأجل المحتوم وذلك سنة ١٣٥٥هـ يقابلها سنة ١٩٣٩م وشيع جثمانه إلى مقره الأخير في مقبرة الإمام الأعظم فوقف الشاعر معروف الرصافي على حافة قبره وأبّنه بأبيات وهي:

أيها الفيلسوف قد عشت مضني مثل ميت وصرت بالموت حيا
سوف يبقى بين الورى لك ذكر ناطق بالبقاء لم تخش شيا
أنت في الفضل عشت حيا وميتا حزت في الحالتين ذكرا عليا
سوف ابكي عليك شجوا وأني كنت أبكيك في الحياة شجيا

وقد أرخت عام وفاته بقولي:

لاتندبوا شيخ القريض فانه ... يغنيه منكم في الممات عويل
فلقد تولته العناية فاغتدى ... له في فراديس الجنان مقيل
طوبى له في جنة قد ازلفت ... رضوانها للمتقين يقول
مذ تاب تاب الله عنه أرخوا ... نال الرضاء من الإله جميل
١٣٥٥هـ

معروف الرصافي:

لقب الشاعر معروف الرصافي نسبة إلى جانب الرصافة بمدينة بغداد ولد سنة ١٢٩٣هـ يقابلها ١٨٧٦م أيام الوالي عبد الرحمن باشا وبعد أن ترعرع ونشا ٠ التحق بالمدارس العلمية وقد غلب عليه حب الشعر فقرضه فكان ريحانة أوانه وجمانة أقرانه.

وقد ظهر في شعره الكوني والفلسفي نزعات قوية دالة على عمق تفكره كما أبان شعره الوصفي عن دقة وقوة تصوير الأشياء أما شعره السياسي والاجتماعي فهما غنيان بالعواطف القوية الجياشة التي تدل على انه كان سياسيا بل كان من الطراز الأول في جيله يتمنى الخير لبلاده ولقومه بل للعرب جميعا وفي سنة ١٣١٨هـ يقابلها ١٩٠٠م أيام الوالي نامق باشا الصغير عين مدرسا للآداب واللغة العربية في مكتب الإعدادي العسكري وظل مواضبا فيه حتى إعلان الدستور العثماني فطلبه صاحب جريدة(إقدام) التركية للتحرير في جريدة عربية باسم(الإقدام) تضاهي جريدة(إقدام) التركية فذهب إلى استانبول وبقي

مدة فيها ثم عاد إلى بغداد لعدم إصدار الجريدة المذكورة وظل يواصل سعيه ويناضل بكل جدارة واخلاص فانتخب(مبعوثا) أي نائبا عن لواء(المنتفك) ولما أعلنت الحرب العالمية الأولى ودخل الحلفاء إلى استانبول وبعد إعلان الهدنة في ٢٦المحرم سنة ١٣٣٧هـ يقابلها ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨م خرج من استانبول وحل في الشام، وفي سنة ١٩٢١م رجع إلى بغداد وبقى فيها إلى الحكم الوطني. وقد آلى على نفسه الأبية أن لا ينخدع بزخرفة الدينار العراقي، وبعد أن سئم المقام في بغداد اختار مدينة(الفلوجة) مسكنا له، وفي أواخر أيامه عاد إلى بغداد وسكن في الاعظمية يعاني البؤس والشقاء متمسكا بعقيدته إلى أن داهمه المرض، وفي ربيع الثاني سنة ١٣٦٥هـ يقابلها سنة ١٩٤٥م توفي وشيع جثمانه بدموع الأدباء وحسرات الشعراء ودفن في مقبرة الإمام الأعظم حسب وصيته وقد أرخت عام وفاته بقولي:

قضى رب القوافي الغر نحبا ... فوالهفي على رب القوافي
قضى من بعدما قد كان فيها ... يحلق بالقوادم والخوافي
قضى والفقر حالفه بعنف ... يلازمه بوضع غير خاف
أقول لمعشر نبذوه جهرا ... أما فيكم له خل موافي
امثل الشاعر المعروف يبقى ... رهين البيت في عيش كفاف
فقم واندب مآثره وأرخ ... بعدم مات معروف الرصافي
١٣٦٥هـ

العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي:

علم من أعلام الفضيلة والعرفان يرفرف عاليا في الأدب الرفيع يرد طرفه حاسده النجم الوهاج الرائي إليه خاسئا وهو حسير.

علم شامخ سامي الذرى قمته أفنان الفنون الجميلة واعشوشبت في سفوحه أزهار العلم والأدب النضير.

عالم فاضل اعترفت الحقيقة له بلسان القلم الذي هو باريه بأنه في بديع بيانه قل من يجاربه في مبتكرات معانيه.

هذا هو فتى النجف الأشرف ولد في ٦ رمضان المبارك سنة ١٣٠٦هـ ونشأ في بيت علم وأدب في حجر من أورثه شمما واباء.

شب الشبيبي وأستهل دراسته العلمية على كثير من العلماء الأعلام حتى أصبح دعامة من دعائم النهضة العلمية والوطنية في العراق وانتدب أثناء أنعقاد الصلح في مهمة خطيرة الشأن في الحجاز فقام بأدائها خير قيام على أثر وصوله إلى مكة المكرمة في ٦ذي الحجة سنة ١٣٣٧هـ ثم فارق الحجاز إلى الشام وغرضه درس المسألة العربية هناك وظل فيها إلى أن نشبت الثورة العراقية ففارق دمشق قافلا إلى العراق بطريق البادية يوم الأربعاء ١٤صفر سنة ١٣٣٩هـ يقابلها ٢٧تشرين أول سنة ١٩٢٠م ووصل بغداد في ١٠ربيع الأول سنة ١٣٣٩هـ حيث أقبل على استئناف العمل المثمر في الدرس والبحث والتفكير والتأليف،وهو ألان يتمتع بحياة علمية زاهرة في بغداد.

ومن غرر قصائده الشعرية قصيدة(باطل الحمد ومكذوب الثنا)وهي:

فتنة الناس وقينا ألفتنا   باطل الحمد ومكذوب الثنا

رب جهم حوّلاه قمــــــرا | وقبيح صيراه حسنـــــــا
أيها المصلح من أخلاقنـــا | أيها المصلح الداء هنـــــا
كلنا يطلب ما ليـــس لــه | كلنا يطلب ذا حتى أنــــا
ربمـــا تنجبنـــا مخضـــرة | أربع في الأصل كانت دمنا
لم تزل ويحك يا عصر أفق | عصر ألقاب كبار وكنـــى
حكم الناس على الناس بمـــا | سمعوا عنهم وغضوا الاعينا
فاستحالت وأنا من بعضهـــم | أذني عينا وعينـــي أذنـــا
اخطا الحق فريق بائـــــس | لم يلومونا ولامـــوا الزمنـــا
إننا نجني علـــى أنفسنـــــا | حين نجني ثم ندعو من جنى
بلغ الناس الأمانــــي حقـــه | وبلغناها ولكــــن بالمنـــى

* * *

خسرت صفقتكم من معشر | شروا العار وباعوا الوطنا
ارخصوه ولو اعتاضوا به | هذه الدنيا لقلت ثمنـــــا
يا عبيد المال خير منكـــم | جهلاء يعبدون الوثنـــــا
إنني ذاك العراقي الـــــذي | ذكر الشام وناجى اليمينـــا
إنني اعتد نجدا روضتـــي | واری جنة عدني عدنـــــا

* * *

أيها الجيل اكتشفت لي حاضرا | كلما خرب ماضيك بنـــــى
ينهض الشعب فيمشـــــي قدما | لو مشى الدهر إليه ما انثنى
حالة النفس التي تسعدهـــــا | وتريها كل صعب هينــــا
ففقير مـــن عنـــاه طمــــــع | وغني من يرى الفقر غنى

الحاج عبد الحسين الازري:

شاعر وكاتب جال جولة في ميدان الصحافة قبل الحرب العالمية الأولى فظهر كاتبا فاضلا وحام حول الشعر بعد الحرب فاسمعنا شعرا معجبا أنسانا أن ناظمه كاتب مجيد وترى قصائده التي ينظمها وينشدها في محافل العراق رنة استحسان لما تضمنته من العواطف الرقيقة والاحساسات الطيبة فضلا عن سلاستها واتساق معانيها.

ولد الازري في ربيع الأول سنة ١٢٩٨هـ ونشأ فيها وقد تخرج في حداثته من المدارس الابتدائية ثم درس على الشيخ شكر قاضي الجعفرية شيئا كثيرا من علوم الأدب والدين ونظم الشعر وعمره ١٥سنة ودخل حزب(الائتلاف) بعد إعلان الدستور واشتغل في الصحافة وانشأ في سنة ١٩٠٩م جريدة(الروضة) وفي سنة ١٩١٠م انشا جريدة(مصباح الشرق) وفي نفس السنة انشا جريدة(المصباح الأغر) وقد نفي إلى بلاد الأناضول(قيسرى) مع من نفي من الأحرار والمنورين لاشتغاله في القضية العربية وانضمامه إلى حزب(اللامركزية) الذي كان مركزه في بيروت وهو يحسن اللغة الفرنسية وكان يمقت السفور ويتحامل عليه ويناصر الحجاب ويرغب فيه وعلى اثر قصيدة(المرأة في الشرق) التي نظمها المرحوم معروف الرصافي وانشدها على أحد مسارح بغداد نظم قصيدة بعنوان(الكتاب والحجاب) وهي:

أمنازل الخفرات بالزوراء	لازعزعتك عواصف الأهواء
قري فانك للفتاة أريكة	ضربت سرادقها على النجباء
لا تحزني مما رماك به الهوى	ظلما وظنك معقل الإسراء

أين الاسارة من عفاف طاهر أين المعاقل من كناس ظبـــاء

* * *

أكريمة الزوراء لا يذهــب بــك النهج المخالف بيـئة الزوراء
أو يخدعنك شاعــر بخيالـــــه أن الخيال مطيــــة الشعـــراء
حصروا علاجك بالسفور ومادروا أن الذي حصروه عـــين الداء
أولم يروا أن الفتـــــاة بطبعهـــا كالماء لم يحفظ بغيــر إنـــــاء
من يكفل الفتيات بعـــــد ظهورها مما يجيش بخاطـــر السفهـــاء
ومن الذي ينهى الفتى بشبابـــــه من خدع كل خريـــدة حسنـــاء
ليس الحجاب بمالغ تهذيبهـــــــا فالعلم لم يرفع علـــى الأزيـــاء
أولم يسغ تعليمهن بــــــدون أن يمـــلان بالأعطاف عين الرائي
ويجلن مابين الرجال سوافـــــرا بتجـــاذف الأرداف والأثـــــداء
فكأنما التهذيب ليس بممكـــــــن إلا إذا برزت بـــدون غطـــــاء
وكأنما الإصلاح عز بنـــــــاؤه ما لم يشيد مســـرح بنســـــاء
أن المسارح لا تدير شؤونهـــــــا من كلفت برعــــاية الأبنـــــاء
مثل بها دور الفضيلة أنهـــــــا تغنيك عن تمثيــل دور أبـــاء
وانظر إلى شان المحيط وأهلــــه كيلا تفوتك حكمـــة الحكمـــاء

* * *

نص الكتاب على الحجاب ولم يبح للمسلمين تبرج العـــــــذراء
قل لي فماذا يصنع العلماء لـــو نزهتهم عن سيرة الجهـــــلاء
ماذا يريبك مـــن حجاب ساتـــــر جيد المهاة وطلعة الذلفـــــــاء
ماذا يريبك مـــن أزار مانـــــع وزر الغواد وضلة الأهـــــواء
ما في الحجاب سوى الحياء فهـــل من التهذيب أن يهتكن ستر حياء

هل في مجالسة الفتاة سوى الهوى لو اصدقتك ضمائر الجلساء
شيد مدارسهن وارفع مستوى أخلاقهن لصالح الأبناء
وافحص عن الأخلاق قبل حجابها اوما سمعت بطائر العنقاء
اسفينة الوطن العزيز تبصري بالقعر لا يغررك سطح الماء
وحديقة الثمر الجني ترصدي عبث اللصوص بليلة ليلاء

وظل الازري يمرح في رياض الشعر ويطير في سماء خياله إلى أن توفي في ١٧ كانون الأول سنة ١٩٥٤م ودفن في النجف الاشرف.

عبد الرحمن البناء:

كان البناء شاعرا مطبوعا -كما وصفه الأستاذ محمد بهجة الأثري-وكان ينظم الشعر في الفخر والمديح والرثاء والتهاني ولما أعلن الدستور العثماني اخذ ينظم القصائد السياسية والاجتماعية وسطع نجمه فكان ثالث اثنين لجميل الزهاوي ومعروف الرصافي فنال منزله شجعته على مثابرة النظم.

وبعد أن طبع ديوانه الجزء الأول ذاع صيته واشتهر وظل يكافح ويناضل حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني وحينما اندلعت نار الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ م ساهم فيها واعتلى منابر الحفلات واخذ يزأر بوجه المحتل غير هياب ولا وجل، وعلى هذا لقب(بشاعر الاستقلال) حتى أقعده المرض المزمن وظل رهين داره يعاني الآلام التي ألمت به، وفي ٥شوال سنة ١٣٧٤هـ يقابلها سنة ١٩٥٥ توفي

رحمه الله عليه وريثته بقصيدة أرخت بها عام وفاته وطبعت بعد مضي أربعين يوما لوفاته بجريدة الزمان وهي:

خرست لسعيك ألسن الفصحـــاء   وبكت لفقدك أعين الأدبـــاء
وروى الرواة حديث شعرك مرسلا   متحليا بروائع الإنشـــاء
شعر به أوحى نهاك فصغتـــه   من مصدر الإلهام والإيحـــاء
شعر رصين محكمات آيـــه   قد ركبت من جوهــــر الآراء
في حسن مطلعه ومسك ختامـــه   يبدو كقطر سحابة وطفـــاء
قد زاحم الشعري العبور شعـاره   وعلت مكانته على الجـــوزاء
صوت فيه في المحافل داعيـا   أيام كان الصوت للأعـــداء
كم صك مسمعهم بقوة لفظـــه   واطـــال محنتهم بحســـن أداء
واراع(لندن) في صواعقه التـــي   أرسلتها تترى بلا إبطـــاء
دافعت عن شعب نشأت بربعـــه   حرا بلا زهو ولا خيـــلاء
عاهدت نفسك أن تكون له الفدى   والشعب لا يرقى بغير فـــداء
وبنيت صرح المجد في عليائـــه   والفخر كل الفخــر للبنـــاء
اذهب لقد قضيت واجبك الـــذي   أديته للشـــعب خيـــــر أداء
اذهب فذكرك في البرية خالـــد   كالبـــدر يسفر واضــح الـــلألاء
اذهب أخي فأنني بك لاحـــق   فلقد سئمـــت بذي الحياة بقائـــي
ما كان ظني أن يداهمك الردى   قبلي وظني أن تصـــوغ رثائـــي
لا تعتبن على الزمان فانـــــه   زمن غدا يمشي مع الجهـــلاء
فلئن قضيت العمر بين معاشـــر   قد قابلوك بغلظة و جفـــاء
ولئن شقيت وما بلغت مأربـــا   فالحر دوما مبتلى بشقـــاء
ما كنت وحدك في البلاد مضيعا   فيها تقاسي العيش في برجـــاء

لك في(الرصافي) أسوة وبغيره   من خيرة الأدباء والشعـــــــراء

*   *   *

يا ساكن الصحراء بيـــن دوارس   والصمت ملء جوانب الصحراء
ومعانق الأكفان في طي الثـــرى   بعد اعتكار الليلة الظلمــــــــاء
فارقت دنيا أرهقتك بجورهــــا   وغنمت اجر الغارة الشعــــــواء
مرت عليك الأربعون وأنت في   نوم عميق بعد طول عنــــــــاء
نم ملء جفنك أمنا ومنعـــــما   ناء عن الشحناء و البغضـــــاء
في مرقد يكفيك من حسناتـــــه   أن ليس جنبك في الحديث مرائي
في ساحة الفردوس بين رياضها   في المقعد الأسمى مع الشهـداء
أرخت بيتا بالعلاء مقـــــــره   رفعت قواعده إلـــى أنـــــاء

١٩٥٥م

إعلان الحرب العالمية

تعيش بغداد في هذا الـــدور باطمئنـــان ورخـــاء مســـتمر وفـــي ١١رمضان سنة١٣٣٢ هـ يقابلها ١٣آب سنة١٩١٤ م بينمـــا النـــاس آمنون وعاكفون على صلاتهم معتزين بصيامهم إذا الحكومة العثمانيـــة تفاجئهم بإعلان النفير العام بمناسبة إعلان الحرب العالمية المعروفة عند أهل بغداد(بالسفر بر) وقد شاهدنا على الجدران ألواح مخطوطة بـــالقلم العريض(سفر برلك وار) أو(وان) وصورت تحت هذه العبـــارة ســـيف وبندقية متعانقان وتحتهما صورة مدفع وسرعان ما غير أهـــل بغـــداد كلمة(سفر برلك) بكلمة(سفر علك)إشارة إلى الهزيمة وان هـــذا الســـفر المشؤوم لم يزل عالقا في أذهان العراقيين عامة والبغداديين خاصة فلقـد ذهب ضحيته ماينوف على العشرين ألف جندي قادهم حسام الدين باشـــا إلى ساحة(ارضروم) للخوض في غمار الحرب مـــع(روســـيا) فكـــانوا فريسة الأمراض الفتاكة والبرد القارص، وهـــذه المصيبـــة العظمـــى والطامة الكبرى تركت رنة حزن واسى في بيوت بغداد عامة.

غرق بغداد:

في أيام الوالي جاويد باشا والحرب مشتعلة نارها وفي محرم ســـنة ١٣٣٣هـ يقابلها ١٥تشرين الأول سنة ١٩١٤م ارتفعت مناسيب نـــهر دجلة ارتفاعا هائلا استولى الماء على طرق بغداد بصورة لم يسبق لـــها مثيل وباتت بغداد على شفا جرف الغرق وفي منتصف الليل حصلـــت

ضجة والناس يستفزون إخوانهم وابناء وطنهم لمقاومة الماء الذي غمـو الدور والمساكن وقد حصل الغرق من جهة الباب الشرقي وكانت حالـة مؤلمـة فقـد صـادفت أيـام احتـلال مدينـة البصـرة فـي أيـدي البريطانيين،وسبب غرق بغداد أن عزت الفارسي رئيس بلدية بغداد قـد أمر برفع السد القديم الذي كان حاجزا لمنع مجيء المـاء إلـى بغـداد وعلى اثر رفع ذلك السد هجم تيار الماء الصاخب على محلة باب الشيخ واغرق بعض دورها المجاورة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني واخـذ يتدفق بسرعةِ هائلة على المحلات المقابلة لجامع الشيخ عمر السهرودي حتى غمر المقابر وبعض الدور وكلما حاول الأهلون أن يضعوا سدا فلم يفلحوا واخذوا يعملون سدودا في الأزقة والطرق ومـاهي الأ غمضـة عين حتى دخل الماء إلى محلة العزة وانساب إلى سوق الفضل فـهناك عاد الصراخ والضجيج والبكاء والعويل.

شيخ سعيد النقشبندي يخطب بالناس:

وقد رأيت المرحوم الشيخ سعيد النقشبندي شقيق العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب واقفا بين جموع النساء والأولاد المحتشدة وهو يحثـهم على حمل التراب ووضعه على السد الذي أقيم واذكر انه ألقى خطبـة ارتجالية لم أتمكن من ضبطـها وقـد بكـى وأبكـى النـاس وحمـل التراب(بجبته) ولما رآه الناس وهو يحمل التراب استماتوا علـى السـد والطبول تضرب والصراخ قائم والبكاء والعويل بالغان أشدهما ولكن(لا عاصم اليوم من أمر الله) فقد جرف الماء ذلك السد واندفق حتى وقف

خلف مدرسة الفضل الابتدائية اليوم ولو لم ينخفض نهر دجلة لكان الوضع على غاية الخطورة وقد ترك أصحاب البيوت التي غمرها الماء اكثر أمتعتهم في البيوت وذهبوا إلى ما شاء الله فمنهم من لجأ إلى الجوامع ومنهم من ذهب إلى جانب الكرخ ومنهم من لاذ بأقربائه البعيدين عن الخطر وقد شاهدت الأثاث البيتية مكدسة في الماء والناس في غنى عنهم وبمناسبة هذا الغرق الفضيع أرخ عامه عبد الرحمن البناء بقوله:

عوذت داري ومن قد حل ساحتها بقل أعوذ برب الناس والفلق
عام به الماء في تشرين حين طغى على الرصافة قد أرخت(بالغرق) ١٣٣٣هـ

إعلان الجهاد:

وبعد أن سقطت مدينة البصرة بيد البريطانيين أصدرت المشيخة الإسلامية في استانبول فتوى شرعية في كافة الممالك الإسلامية وفي جوامع بغداد عامة وذلك في ٢٧ المحرم سنة ١٣٣٣هـ ومضمون الفتوى مداهمة الخطر المحدق بالبلاد الإسلامية وتدعو إلى لزوم الجهاد والنفير العام بوجه الأعداء، وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان(الوطن والجهاد) يستنهض بها همم المسلمين على الجهاد ويحثهم على الدفاع والذود عن حياض الوطن وهي:

يا قوم أن العدى قد هاجموا الوطنا فانضوا الصوارم واحموا الأهل والوطنا
واستنفروا لعدو الله كل فتى ممن نأى من أقاصي أرضكم ودنا

واستنهضوا من بني الإسلام قاطبة   من يسكن البدو والأرياف والمدنا
واستقتلوا في سبيل الذود عن وطن   به تقيمون دين الله والسننـا
واستسلموا للعدا بالصبر واتخـذوا   صدى العزائم في تدميرهم جننا
واستنكفوا في الوغى أن تلبسوا أبدا   عار الهزيمة حتى تلبسوا الكفنـا
أن لم تموتوا كراما في مواطنكـم   متم أذلاء فيها ميتـة الجبنـا
لا عذر للمسلمين اليوم أن وهـوا   في هوشة ذل فيها كل مـن وهنا
ولا حياة لهم من بعدما جبنـوا   كلا وأي حياة للـذي جبنـا
عار على المسلميـن اليـوم انهم   لم ينقذوا مصر أو لم ينقذوا عدنا
قل للحسينين في مصر رويدكمـا   قد خنتم الله والإسـلام والوطنا
شايعتما الإنكليز اليوم عن سفـه   تالله ما كان هذا منكما حسنـا
قد بعتما الدين والدنيا مجازفـة   فكنتما في البرايا شر من غبنـا
لا تفرحا بالوسامين اللذين همـا   طوقا اسارة مصر فيكما اقترنـا
قد مثلا منكما للناس قاطبـة   عجلا أضل الورى من قبل أو وثنا
مازان صدركما شيئـا يحملهما   بل اصبحا في كلا صدريكما درنا
أن الحمية لم تنظـر بمقلتهمـا   إلى وساميكما إلا بكت حزنـا
ماكان أغلاهما إذ قد غدت لهمـا   خزائن النيل في أيدي العدا ثمنـا
ستندمان ولا يجديكمـا أبـدا   إذ تقرعا السن أو أن تقبضا الذقنا
حتى تعود إلى مصـر كرامتها   ويطهر النيل من ماء بـه اجنا
لازلت يا وطن الإسلام منتصـرا   بالجيش يزحف من أبنائك الامنا
يرد عنك يد الأعـداء خاسـرة   ويكشف الغم عن افقيك والمحنـا
سعديك من وطن جلت مفاخـره   عن الزوال فلا يخشى بلى وفنـا
تالله أن معاليك التي سلفـت   تعيي الفصاحة والتبيان واللسنـا

كم قد أقمت على الأيام من شــرف ... لنا وانبت في نبع العلا غصنـــــا
أنا نحبك حبا لا انتهــــــاء لـــه ... يستغرق الأرض والأكوان والزمنا
نفديك منا بأرواح مطهـــــــــرة ... اخلصن الله فيك السر والعلنـــا
إذا دهتك من الأيـــــام داهيــــة ... فلا رعى الله عيناً تالــف الوسنا
وان فتنت بإحدى المزعجات نرق ... منا الدماء إلى أن تخمد الفتنـــا
فقر عينا وطب نفسا وعش أبــدا ... وفز بما شئت من حمد وطيب ثنا
ورب مستصحب قد قال يخبرني ... أن العدو على ارض العراق دنا
فقلت دع عنك هذا انه خبـــــر ... سواه يبعث في أحشائي الشجنـا
أن العراق لعمر الله مسبعــــــة ... تواثب الأسد فيها من هنـا وهنا
دون الوصول إليه كل مشعلـــة ... شعواء تترك وجه الشمس مكتمنا
فان فيه رجالاً من بنى مضـــر ... إذا تحارب لا تستشفع الهدنـــا
قوم لقاح أبوا أن يخضعوا أبــدا ... إلى الملوك وان أعطوهم المؤنا
تحملوا كل عبث في حياتهـــم ... إلا الصغار وإلا الضيم والمننـا
لو أن أماتهم منت على أحـــد ... منهم بألبانها لم يشربوا اللبنـــا
هم المغاوير أن صالوا بملحمـة ... فلا يرون لهم غير المنون منى
بنوا فاعلوا بناء المجد وارتفعوا ... به على كل من قد شاده وبنـــى
فكيف تقعد عن حرب العدا فئـة ... أبت سوى العز مأوى والعلى كفنا

☆ ☆ ☆

وقد سافر عدد غير يسير تلبية للجهاد في سبيل الله والإسلام علـــى اثر تلك الفتاوى الشرعية. أتذكر منهم السيد عبد الكريم آل السيد حيـدر وجماعة في معيته منهم الحاج سلمان أبو التمن والحاج داؤد أبو التمـن وغيرهم من الوجوه والأشراف.

أول طائرة إنكليزية فوق بغداد:

وفي يوم الأربعاء ٢٧ذي القعدة سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م شاهد أهل بغداد أول طائرة إنكليزية تحوم في سماء بغداد فأخذهم الرعب والخوف من مشهد تلك الطائرة وإنها غدت حديث كل اثنين ولم يحدث منها ما يكدر الأمن.

إعدام أشخاص صلبا في بغداد:

وفي سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م اعدم أشخاص صلبا في محلة راس القرية ببغداد ومنهم التاجر يوسف شكوري وكامل عبد المسيح وقد احدث صلبهم رهبة في قلوب أهل بغداد وقد شاهدت على صدر كل واحد منهم(فرمان) درج فيه ثبوت جريمة التجسس التي اقترفوها.

القائد الألماني غولج باشا:

وفي أواخر المحرم سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م ورد إلى بغداد القائد الألماني فوندرغولج باشا وعين لقيادة الجيش السادس وأجريت المراسيم المعتادة له وكان هذا القائد معروف بعمله وقدرته الحربية ومن المشهور عنه أن فيلقه في جبهة(الفلاحية)دحر جيش الإنكليز المرابط فيها فظل القائد غولج باشا يشدد الخناق بخططه

الحربية على الجيش البريطاني المرابط هناك حتى توفي في ٢٦جمادي الأخرى سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م على اثر مرض ألم به لازمه عدة أيام وجرى دفنه باحتفال رسمي مهيب اشترك فيه جميع رجال الدولة العثمانية من عسكريين وملكيين ودفن في المحل الذي اعد له في باب الشرقي محل بيع البانزين اليوم ثم نقل إلى مقره الأخير وانطوت صحيفة هذا القائد العظيم.

انتحار القائد سليمان عسكري:

وبعد إن جرح القائد سليمان عسكري بك في هجومه الذي شنه على الإنكليز نقل إلى بغداد للتداوي في المستشفى العسكري(خستة خانة المجيدية). ولم يمكث في المستشفى غير أيام قلائل حتى عاد إلى سلحة الحرب وقد شوهد هذا القائد راكبا عربة ولا يزال مضطربا من جرحه ينتقل من مكان إلى أخر فيسوق الجيش ويدربه وبعد أن راى الجيش علي شفا جرف هرب مولي الأدبار وان معنويته قد ضعفت انتحر سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سنة ١٩١٥م وانمحى اسم هذا القائد من صحيفة أعماله المملوءة بالأغلاط الحربية.

استشهاد محمد فاضل باشا الداغستاني:

في ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٣٤هـيقابلها سنة ١٩١٥م نال رتبة الشهادة الفريق المجاهد محمد فاضل الداغستاني بعد أن أبلى بلاء حسنا

في ساحة الحرب رضى به الله والوطن.ومحمد فاضل باشا غني عـــن التعريف فهو اشهر من نار على علم في بسالته وبطولته وان صحـــائف أعماله الناصعة تشهد له أمام الله.

وقد نقل جثمانه من ساحة الحرب إلى بغداد وأجريت له المراســـيم العسكرية وحضر تشييع جثمانه جميع رجال الدولـــة مـــن عســـكريين وملكيين وعزلت الأسواق وبكاه الناس بدموع الحزن والأسى لما كـــانوا يعهدون به من شهامة عربية والحرص على مصالحهم وقد اشترك فـــي تشييع جنازته نساء جميع محلات بغداد على اختلافهن وشاهدت جمهرة من النساء خلف النعش صارخات حاسرات يندبن قائلات(وين أبـــو داؤد وينه) ودفن في مقبرة الإمام الأعظم وقد أرخ عام وفاته العلامة الشـــيخ عبد الوهاب النائب بقوله:

أن القبور تباشرت بمحمـــد — الفاضل الندب الكريم الأمجـــد
في النشأتين له عظيم مفاخر — ودم الشهادة شاهد بالمقصـــــد
ذاك الذي بذل الحياة لدينـــه — ويلي عليه وويل كل موحـــــد
جبل تسير به الكرام لقبـــره — أسفا على هذا الأمير الأوحـــد
قالت ملائكة السماء فأرخوا — هذي الجنان إلى الشهيد محمد
١٣٣٤هـ

الوالي خليل باشا:

بعد أن نجح القائد نوري الدين باشا في مسعاه بانسحابه إلى(سـلمان باك) لم يرق للقيادة العامة إبقائه في منصبه وعين القائد خليل باشا واليا

لولاية بغداد وقائدا للجيش وذلك في ٦ربيع الأول ١٣٣٤هـ يقابلها ١٢ كانون الثاني ١٩١٦م وفي أيامه الأولى اندحر الجيش الإنكليزي في معركة(سلمان باك) مغلوبا وحوصر في الكوت. ومما قاله الشاعر عبد الرحمن إبراهيم المصري في هذه المناسبة:

يا قائدا جيش العراق لك الثنا	والحمد والشكران والإطراء
بك لا بغيرك نسترد بلادنا	وبسيف عزمك تسحق الأعداء
واليك قال الخير انشد قائلا	أرخ تعود البصرة الفيحاء
	١٣٣٤هـ

وفي هذه السنة كنت جنديا إجباريا في مستشفى الاعظمية وتسمى(اعظمية غروب خسته خانه سي) برتبة(زرنال جاووشي) أي عريف وعلى الانتصار الذي أحرزه جيشنا نظمت قصيدة قرأتها في المستشفى بحضور الأطباء وجميع الجنود وهي:

قد عقدنا آمالنا بالخليل	وحمانا من كل شر وبيل
دحر الإنكليز دحرا فصاروا	مثل عصف من اللظى مأكول
في سيوف وفي مدافع حرب	وشظايا القتهم في عويل
ما دروا في عريننا أسد حرب	رابضين من كل شهم نبيل
أشبعوهم من القنابل ضربا	طرحتهم إلى الرقاد الطويل
أيها الإنكليز هلا اكتفيتم	من فساد الأفعال والتضليل
كم غدرتم وكم خدعتم شعوبا	بنفاق لنيلة المأمول
أنبئونا يا زمرة الغي جهرا	افهل جاء ذلك في الإنجيل
فاقطعوا للوصول كل رجاء	من فرات ودجلة والنيل
واثقوا بانتصارنا فهو حق	آية النصر مالها من بديل

انزل الله فـــــي كتـــــاب | وحيه جاء للنبي الرســـــول
كيف لا والإسلام اومض نورا | من(رشاد) الأنام والتبجيـــل
ملك خصه الكريم بنصـــــر | ماله في العصور في تحويـل
ملك قبلت يديه ملـــــــوك | فاحتمى عرشهم من التقبيـل
غرس العدل في البلاد وساوى | بين عال في ماكه وضئيـــل
طود حلم يكاد يستعبد الـــد | هر بعزم وحد ســـيف صقيل
حازم الرأي ذو مراس شديـد | ثابت الجأش ماله مـــن مثيل
نشره العلم في الخلائق شمس | نجمه الفتح ماله من أفـــول
ثبت الله عزم جيش رعـــاه | في جميع البلاد والدردنيـــل
وبفضل الإله يبقى مليكـــا | دائما أمــــنا بظل ظليـــل

* * *

والشائع عن الوالي خليل باشا انه انهمك انهماكا شائنا في بعـــض المومسات في بغداد فاستولت عليه ولعبت بعقله وألهته عن الأمر المـهم الذي أنيط به وانه قال لها وهو نشوان:(أنا قائد الجبهة وأنــت الحــاكم المطلق علي) ولم يتجنب مثل هذه الألفاظ التي لا تليق بمنصبه بصفتـه والي ولاية بغداد وقائد الجيش. هذا هو خليل باشا وقـــد توفـي سـنة ١٣٧٧هـ يقابلها سنة ١٩٥٧م في استانبول.

تسليم الجيش الإنكليزي المحصور في الكوت:

وبعد أن حاول الجيش الإنكليزي المحصور في الكوت التخلص من الانحصار فلم يفلح واخيرا في أوائل رجب سنة ١٣٣٤هـ يقابلها سـنة

١٩١٦م سلم الجنرال(طاوسند) ومعه خمسة جنرالية و٢٧٧ ضابطـــا و ٢٧٤ضابطا هنديا و ١٣٣٠٠جندي وبذلك عم الفرح والسرور في جميع أنحاء البلاد العثمانية لاسيما في بغداد فقد كان يوم ورودهم إلي بغـــداد عيدا من الأعياد.

أنور باشا في بغداد:

وبعد أن سلم الجيش الإنكليزي المحصور في الكـــوت وفـــي ١٧ رجب سنة ١٣٣٤هـ يقابلها ١٩ مايس سنة ١٩١٦م وصل بغداد وكيـل القائد العام وناظر الحربية أنور باشا وأجريت له المراســيم العســكرية ومكث في بغداد ستة أيام تفقد فيها جبهة الحرب وزار العتبات المقدســة وأهدى ضريح الإمام الأعظم وضريح الشيخ عبـــد القــادر الكيلانـــي مصاحف ثلاثة رصعت بالماس والياقوت وعاد إلى استانبول.

جادة خليل باشا:

كان في نية العثمانيين من قبل فتح(جادة) أي شـــارع فـــي بغـــداد ولكنهم لم يتجرؤا على فتحه لما كان يكلفهم من المبالغ الطائلـــة ولمـــا أعلنت الحرب وجدوا أن الفرصة قد حانت لفتحه أذلا يستطيع أحـــد أن يعارضهم ولما شرعوا في فتحه ظلموا كثيرين من الناس وجاروا علـــى الضعيف والذين قدروا أن يرشو من بيده الأمر وجد لهم آلف عذر لعدم هدم داره والتعرض لها، وقد فتح هذا الشارع في أيام الوالي خليل باشـا

ويبتدئ الشارع من الباب الشرقي وينتهي في باب المعظم وقد جرى افتتاحه في ٢٢ رمضان سنة ١٣٣٤هـ يقابلها ٢٣ تموز سنة ١٩١٦م أي شارع خليل باشا وبني بالجدار المطل على الشارع من جامع السيد سلطان علي وبعد احتلال بغداد رفع ذلك اللوح وسمي(شارع الرشيد) وقد نظم الشاعر معروف الرصافي قصيدة بعنوان(الشارع الكبير) يصف بها هذا الشارع وهي:

نكب الشارع الكبير ببغداد ... ولا تمشي فيه إلا اضطرارا
شارع أن ركبت ثنيه يوما ... تلق فيه السهول و الاوعارا
تترامى سنابك الخيل فيه ... أن تقحكن وعثه والخيارا
فهي تحثو فيه التراب على إلا ... وجه حثوا وتقذف الاحجارا
لو ركبت البراق فيه أو البرق ... نهارا لما أمنت العثارا
تحسب العابرين فيه سكارى ... من عناء تنسموه غبارا
ساطعا يملا الفضا مستطيرا ... حاملا في ذراته الاقذارا
مستجيشا من الجراثيم جيشا ... مسيطرا عرمرما جرارا
هو أن رش جاش وحلا وإلا ... جاش نقعا على الوجوه مثارا
تصهر الشمس فيه ادمغه القوم ... إذا هم تخبطوه نهارا
وإذا ما مشيت في جانبه ... فتجنب رصيفه المنهارا
وإذا ما أرسلت إلى الاطرا ... ف لحظا أنكرته انكسارا
لاترى ما يسرك بالصنعة ... حسنا ويبهج الابصارا
بل ترى العين فيه كل جدار ... تكره العين أن تراه جدارا
فجدار عال وفي الجنب منه ... متدان تقيسه أشبرا
ودكاكين كالافاحيص تمتد ... يمينا بطوله ويسارا

أين هذا من الشوارع فـــي الأمصار زانت بحسنها الامصارا
عبدوها ومهدوها فجـــاءت لا اعوجاجا فيهـــا ولا ازورارا
واعدوا بهن كل رصيـــف يحمه السير فوقه من ســـارا
أقاموا لهم بها كل صـــرح مشمخر بناؤه اشمخـــرارا
فعلى الجانبين كل بنـــاء خيل في الحسن كوكبا قد أنـــارا
ثم لم يكتفوا بذلك حتـــى غرسوا في ضفافها الاشجـــارا
فوقتهم ظلالها وهج الشمـــس وسر اخضرارها الانظـــارا
هكذا فلتكن شوارعنا اليـــوم وإلا فما عمرنا الديـــارا

طيارات إنكليزية تلقي قنابل على بغداد:

في يوم ٢٦ ربيع الأول سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م ظهرت ثلاث طائرات إنكليزية فوق بغداد وألقت عليها عدة قنابل ألقيت واحدة على(قشلة البيادة) ثكنة المشاة وقد سقطت وراء دائـرة البلديـة أمانـة العاصمة اليوم في دار أيوب جلبي فخربتها وكسرت زجاج شبابيك الدار المجاورة لها وواحدة سقطت في (القلعة) ثكنة المدفعيـة فـي الميـدان أصابت رجلا فقتلته وآخر جرحته وقد احدث وقع تلك القنـابل ضجـة عظيمة في بغداد الأمر الذي جعل السكان لا يـأمنون علـى أنفسـهم وساورهم الخوف والرعب من جراء ذلك.

سقوط بغداد بيد الإنكليز:

وهكذا شاءت إرادة الله أن تذهب(دار السلام) بغداد عاصمة العباسيين ضياعا ويحتلها الأعداء عنوة فأمرت الحكومة العثمانية بنقل ما لديها من سجلات مهمة ونقود إلى مدينة سامراء. وفي ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ يقابلها سنة ١٩١٧م صدر الأمر للموظفين بالنزوح عن بغداد وكنت أنا من النازحين مع الجنود(الخسته خانه) المستشفى وعندما وصلنا إلى سامراء شاهدت تلك المدينة الصغيرة وهي تموج بالموظفين العسكريين والملكيين والجنود أيقنت أن بغداد قد ضاعت من أيدي العثمانيين وبقيت في المستشفى والجرحى والمرضى ينهالون علينا وغصت المستشفى بهم وكثرت الوفيات منهم ولعدم وجود كفن(خام) لتكفينهم كنا ندفنهم بملابسهم الملطخة بالدماء رحمهم الله أسكنهم فسيح جناته مع الشهداء الأبرار.

وفي يوم الأحد ١٧ جمادي الأولى سنة ١٣٣٥هـ يقابلها ١١ آذار سنة ١٩١٧م فوجئنا بخبر سقوط بغداد على أيدي الجيوش الإنكليزية! فوقع وقوع الصاعقة علينا وبعد ساعات ظهرت طيارات في سماء سامراء ورمت القنابل على محطة القطار ومن فزعنا لذنا في ضريحي الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام وذهبت أنا ولذت(بغيبة) الأمام المهدي عليه السلام ووقفت وقلت والدموع تذرف من عيني:

فقم لها يا إمام المسلمين فقد
آن الأوان وخذ في كفك العلما

واصرخ على الشرك وأعلن الجهاد وقل

وا احمداه ترى الغبرا تفيض دما

وعلى اثر سقوط بغداد نظم الشاعر معـــروف الرصـــافي قصيـــدة بعنوان(نواح دجلة) وهي:

هي عيني ودمعها نضـــــــــاح   كل حزن لمائها يمتـــــــــاح
كيف لا اذرف الدموع وعــزي   بيد الذل هالك مجتـــــــــاح
قد رمتني يد الزمان بخطـــب   جلل ما لليله إصبـــــــــاح
حيث غمت علي وجه سمائـــي   ظلمات تخفى بها الأشبـــاح
وتوارى عن أعيني مضمحــــلا   شرف في مواطني وضـــــاح
يوم أمسيت لا حماة تذود الضيم   عني ولا ظبي ورمـــــــــاح
فأنا اليوم كالسفينة تجــــري   لاشراع فيها ولا مــــــــلاح
ضقت ذرعا بمحنتي فتـــراءت   قيد شبر إلى الفجاج الفســـاح
نحت حتى رئي العدو لحالـــي   واعتراني من العويل بحـــاح
فمياهي انسكاب دموعـــــــي   وخريري هو البكا و النـــواح
اوما تبصر اضطرابي إذا مـــا   خفقت فـــي جوانبـــي الأرواح
ليس ذا الموج في موجا ولكــن   هو مني تنهـــد وصيـــــــاح
أن وجدي هو الجحيم ولـــولا   ادمعي أحرقتني الاتــــراح
لو درى منبعي لما أنا فيــــه   من أسى جــف ماؤه الضحضاح
عله قــد درى بذاك فهـــــذا   هو باك ودمعــه سفـــــــاح
أين أهل الحفاظ قـــد تركونـي   نهبة في يد العــدو وراحـــوا
برحوا وادي الســلام عجــالا   افجد براحهــم أم مــــــزاح
ما لهم يبعدون عني انتزاحـــا   وعزيز منهــم علي انتـــزاح

اوما يعلمـــون أن حريمـــــــي   للمعادين بعدهم مستبــــــــاح
فلئن يبعـــدوا فان فــــــــؤادي   لاليهم بوده طمــــــــــــاح
تركوني مـــن الفراق أقاســـــي   ألما ما تطيقــــــــــه الأرواح
لو رأوني سبيا بأيدي الأعـــــادي   لبكوا مثلما بكيــت وناحـــوا
لا مسائي بعد البعاد مســــــاء   يوم بانوا ولا الصباح صبــاح
أتمنى بان أطير إليهــــــــــــم   بجناح وأين مني الجنـــــاح
أنا ادري بأنهم بعد هجـــــــري   لم يذوقوا غمضا ولم يرتاحوا
بل هم اليوم عازمون على الزحف   بجيش به تغص البطــــــاح
أن تأنوا فرضة الليث تأتــــــي   بعدها وثبة له وكفــــــاح
كيف يقضون من إغاثة وادزانــه   من ودادهم اوضــــــــاح
فعليه من فخر عثمان تــــــاج   وله راية الهلال وشــــــاح
أنا باق على الوفاء وان كانـــت   بقلبي ممـــن أود جـــــراح
فإليهم وهنهم اليوم اشكــــــــو   بلغيهم شكايتي يا ريــــــاح

وبعد احتلال بغداد أخذت الجيوش العثمانية تنســحب مــن مدينــة سامراء ووجهتها مدينة الموصل غير ملتفته إلى جنودها أبناء العـــرب فصارت لاتعبا بهم وصاروا يفرون من ســاحة القتــال ومـــن مدينــة سامراء، أما أنا فلم يطب لي الالتحاق بهم وفضلت العودة إلـــى بغـــداد ودخلتها يوم الخميس ١٦ آذار ســـنة ١٩١٧م ولمـــا شـــاهدت وضـــع الاحتلال فيها قلت ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا.

مصير آل عثمان:

ولما ضاع العراق من أيدي العثمانيين دامت سلطنة آل عثمان وهي تنازع سكرات الموت وعلى عرشها لازال السلطان محمد رشاد، وفي سنة ١٣٣٦هـ يقابلها ١٩١٧م توفي وخلفه على عرش السلطنة وحيد الدين ابن السلطان عبد المجيد.

وعند نهوض الغازي مصطفى كمال(اتاتورك) وتشكيل حكومة وطنية وفي ١١ ربيع الأول سنة ١٣٤١هـ قرر المجلس الوطني التركي إلغاء حكومة استانبول وخلع السلطان وحيد الدين من عرش السلطنة، وفي ٢٠ ربيع الأول من هذه السنة اختار المجلس الوطني التركي ولي العهد خليفة باسم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز وهو آخر خليفة من خلفاء آل عثمان.

وبعد المداولة في الأمر قرر المجلس الوطني قراره الأخير بجعل الحكومة العثمانية حكومة جمهورية وإلغاء الخلافة وانتخب الغازي مصطفى كمال(اتاتورك) رئيسا لها وهكذا انقرضت الخلافة التركية ودامت من سنة ٩٢٣هـ إلى سنة ١٣٤١هـ فيكون عمرها ٤١٨سنة هـ وفي خلال هذه المدة طرا عليها من القوة والضعف ما طرا على الخلافة العباسية وقد تداولها ٢٩ خليفة منهم وأولهم السلطان سليمان الأول تاسع الملوك العثمانيين وآخرهم الخليفة عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز، فبهذا انطوت صحيفة آل عثمان من سجل التاريخ وأصبحت كان لم تكن بمنطوق الآية الكريمة قوله تعالى(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل

من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير) صدق الله العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وآله وصحبه الغر الميامين. حصـــل الفراغ منه في منتصف شهر رجب الفـــرد ســنة ١٣٧٧هـــ يقابلـــها ٥ شباط سنة ١٩٥٨م.

الولاة الذين حكموا بغداد

- الوالي مدحت باشا من سنة ١٢٨٦ هـ الى سنة ١٢٨٩ هـ.
- الوالي محمد رؤوف باشا من سنة ١٢٨٩ هـ الى سنة ١٢٩٠ هـ.
- الوالي رديف باشا من سنة ١٢٩٠ هـ الى سنة ١٢٩٢ هـ.
- الوالي عبد الرحمن باشا من سنة ١٢٩٢ هـ الى سنة ١٢٩٤ هـ.
- الوالي عاكف باشا من سنة ١٢٩٤ هـ الى سنة ١٢٩٥ هـ.
- الوالي قدري باشا من ١٢٩٥ هـ الى السنة نفسها .
- الوالي عبد الرحمن باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٦ هـ الى اواخر سنة ١٢٩٧ هـ.
- الوالي تقي الدين باشا مرة ثانية من سنة ١٢٩٨ هـ الى سنة ١٣٠٤ هـ.
- الوالي مصطفى عاصم باشا من سنة ١٣٠٤ هـ الى سنة ١٣٠٧ هـ.
- الوالي سري باشا من سنة ١٣٠٧ هـ الى واخر سنة ١٣٠٨ هـ.
- الوالي الحاج حسن باشا من سنة ١٣٠٩ هـ الى سنة ١٣١٤ هـ.
- الوالي عطا باشا من سنة ١٣١٤ هـ الى سنة ١٣١٧ هـ.
- الوالي نامق باشا الصغير من سنة ١٣١٧ هـ الى سنة ١٣٢٠ هـ.
- الوالي أحمد فيضي باشا من سنة ١٣٢٠ هـ الى سنة ١٣٢٢ هـ.
- الوالي عبد الوهاب باشا من سنة ١٣٢٢ هـ الى سنة ١٣٢٣ هـ.
- الوالي مجيد بك من سنة ١٣٢٣ هـ الى سنة ١٣٢٤ هـ وبقي بالوكالة.
- الوالي حازم بك من سنة ١٣٢٥ هـ الى السنة نفسها.

- الوالي ناظم باشا لعدم اتفاقه مع رئيس الاصلاحات طلب النقل فنقل.
- الوالي نجم الدين ملا من سنة ١٣٢٥ هـ الى سنة ١٣٢٧ هـ وأودعت بالوكالة الى محمد فاضل باشا الداغستاني.
- الوالي محمد شوكت باشا من سنة ١٣٢٧ هـ وفي السنة نفسها عزل وبقي بالوكالة.
- الوالي الفريق ناظم باشا من سنة ١٣٢٨ هـ الى سنة ١٣٢٩ هـ ثم عزل وأودعت الوكالة الى يوسف باشا.
- الوالي جمال باشا من سنة ١٣٢٩ هـ الى سنة ١٣٣٠ هـ.
- الوالي محمد زكي باشا من سنة ١٣٣٠ هـ الى سنة ١٣٣١ هـ.
- الوالي حسين جلال بك من سنة ١٣٣١ هـ وفي السنة نفسها عزل وأودعت بالوكالة الى محمد فاضل باشا الداغستاني.
- الوالي جاويد باشا من سنة ١٣٣٢ هـ الى سنة ١٣٣٣ هـ ثم عزل وأودعت بالوكالة الى معاون الوالي رشيد بك.
- الوالي سليمان نظيف بك من سنة ١٣٣٣ هـ الى سنة ١٣٣٤ هـ.
- الوالي نور الدين بك من سنة ١٣٣٤ هـ الى السنة نفسها.
- الوالي خليل باشا من سنة ١٣٣٤ هـ الى سنة ١٣٣٥ هـ وبهذه السنة احتل الجيش البريطاني بغداد.

المصادر

بلوغ الأرب : للعلامة السيد محمود شكري الالوسي
الروض الازهر : للعلامة السيد مصطفى نور الدين الواعظ
تاريخ العراق بين احتلالين : للأستاذ عباس العزاوي
أعلام العراق : للأستاذ محمد بهجه للأثري
لب الالباب : للأستاذ السيد محمد صالح السهروردي
تاريخ يهود العراق : للأستاذ يوسف غنيمة
قلب العراق : للأستاذ أمين الريحاني
العقد المفصل : للسيد حيدر الحلي
جغرافية العراق : للأستاذ طه الهاشمي
الأدب العصري : للأستاذ روفائيل بطي
ديوان السيد عبد الغفار الأخرس
ديوان السيد عبد الباقي العمري
ديوان السيد جميل صدقي الزهاوي
ديوان السيد معروف الرصافي
ديوان عبد الرحمن البناء
مجلة لغة العرب : للأستاذ انستاس ماري الكرملي
مجلة العلم للأستاذ : هبة الدين الشهرستاني
مجلة الرشاد للأستاذ : رشيد الصفار
مجلة اليقين للأستاذ : محمد الهاشمي

مجلة للأستاذ : احمد عزت الاعظمي

مجلة عصر السلطان عبد الحميد لأبي النصر

مذكرات الجنرال طاوزند

جريدة الزوراء : للحكومة العثمانية

جريدة الرقيب : للأستاذ عبد اللطيف ثنيان

جريدة الزهور : للأستاذ رشيد الصفار

جريدة صدى بابل : للأستاذ داود صليوا

جريدة الرياض : للأستاذ سليمان الدخيل

جريدة صدى الاسلام : للأستاذ عطاء الله الخطيب

تاريخ التعليم في العراق : للأستاذ عبد الرزاق الهلالي

المحتويات

الصفحة

تصدير العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي........................ ٧
المقدمـــة : بقلم السيد ابراهيم الواعظ ٩
تمهيـــــد ١١
تاريــخ بنـــاء مدينـــة بغـــداد ١٣
سيرة الولاة العثمانيين واصلاحات مدحت باشا ١٦
مشاريـــع مدحـــت باشـــا ١٧
جريـــدة الـــزوراء ١٧
طـــرق المواصـــلات ١٨
النقـــل النهـــري ١٩
النقـــل البـــري ٢٢
المتنـــزه العـــام – مصنـــع الغـــزل والنسيـــج ٢٣

المعاهد العلمية :

الكتاتيب – مدرسة الصنائع ٢٤
المدرســـة الرشديـــة – المدرسة الرشدية العسكرية ٢٥
المدرسة الاعدادية العسكرية ٢٥
المدرسة الاعداديـــة الملكيـــة ٢٦
المدرسة الرشدية بجانب الكرخ – المدرسة الحميدية ٢٦
دار المعلميـــن ٢٧
مدرســـة ابتدائيـــة – مدرسة الجعفرية ٢٨
مدرســـة تحفـــة المأموريـــن – مدرسة ابتدائية ثانية ٢٩
مدرســـة الاتحـــاد والترقـــي..................................... ٣٠

مدرسة التهذيب للبنات – مدرسة الكاثوليك للكلدان........ ٣١
مدرسة لورا خضوري ٣٢
المستشفيات :
مستشفى المجيدية ٣٣
مستشفى الغرباء بالكرخ ٣٣
مستشفى الغرباء بجانب الرصافة ٣٤
مستشفى مئير الياس – الاطباء ٣٥
تخطيط بغداد واحوالها العمرانية ٣٧
الرصافة والكرخ ٣٩
ازياء البغداديين ٤١
الحالة الاجتماعية :
المجالس الادبية – لعبة الشطرنج............ ٤٤
المطارحة والمطاردة – المرأة البغدادية ٤٦
الطوائف في بغداد ٤٩
الصناعات :
الندافة وخياطة الافرشة ٥١
صناعة الغزل والنسيج ٥٢
صناعة الحدادة – صناعة النجارة ٥٣
صناعة السلال ٥٤
اسواق بغداد :
سوق البزازين – سوق القزازين.............................. ٥٥
سوق السراجين – سوق الغزل – سوق الصفارين............. ٥٦
سوق الهرج – سوق الصاغة ٥٧

سوق الشورجة – سوق حنون – سوق اليمنجية ٥٨
سوق الميدان – سوق السراي ٥٩
سوق الجديد ٦٠
اشهر المقاهي في بغداد :
مقهى سبع ٦١
مقهى وهب – مقهى عزواي – مقهى كل وزير ٦٢
مقهى القرئخانة – مقهى المميز ٦٣
مقهى البيروتي – مقهى اعكيل – مقهى العنبار..................٦٤
مقهى ملا حمادي – مقهى العبد...............................٦٥
مقهى التبانة ٦٦
نطاح الكباش وعراك الديكة – تربية الطيور ٦٦
عازف الرباب ٦٧
القصاص ٦٨
الحلاقة والحلاقون ٦٩
الشحاذة والشحاذون ٧٠
الزورخانة والرياضة ٧١
محلات بغداد ورؤساؤها ٧٢
الحمامات في بغداد ٧٤
الارواء واسالة الماء ٧٥
ماكنة الثلج – المواد الغذائية وأسعارها ٧٨
الاطعمة الناضجة ٧٩
الاطعمة غير الناضجة ٨٠
باب المعظم ٨١
معرض حيواني – منتزه الميدان ٨٢

طوب أبو خزامة ٨٣
ليلة النصف من شعبان ٨٤
ليالي رمضان المبارك ٨٥
الصينية والمحيبس – العاب القره كوز ٨٦
أيام الاعياد ٨٧
حفلات المولد النبوي ٨٩
مجالس الفواتح والتعازي ٩٢
القراء والمقرؤون المجودون :
الخواجة محمد سعيد ٩٦
الحاج محمد كنبار ٩٦
الحاج أحمد الافغاني – ملا خليل المظفر ٩٧
الشيخ عبد الرزاق الحلاوية ٩٧
الشيخ اسماعيل أمام الباشا ٩٨
الحاج عيسى روحي – السيد جعفر الواعظ ٩٨
الشيخ عبد السلام ٩٨
الملا عمر خطاب الخضيري ٩٩
الشيخ عثمان الموصلي – الشيخ حسين الافريدوني ٩٩
السيد محمود حموشي الموصلي ١٠٠
الشيخ عبد الله الوسواسي الموصلي ١٠٠
الشيخ عبد المجيد ملوكي – الشيخ ابراهيم الرومي ١٠٠
الشيخ محمد أمين الانصاري ١٠١
السيد أحمد المشهور بابن (جمانة) ١٠١
ملا محمد الحاج فليح – الحافظ الشيخ عبد الوهاب ١٠١

ملا عبد الوهاب الحافظ ١٠٢
ملا علي الدرويش – السيد محمد صالح ١٠٢
الحاج محي الدين مكي – السيد اسماعيل ابراهيم الراوي........١٠٣
ملا جاسم الضرير ١٠٣
حفلات الاعراس ١٠٤
حفلات الختان ١٠٥
لعبة الساس ١٠٦

مجالس الانس والطرب :

المقام العراقي والمغنين ١٠٧
الجالغي البغدادي – البستات البغدادية القديمة ١٠٩
رشيد القندرجي ١١٠
يوسف حوريش – نجم الشيخلي ١١١
محمد القبانجي ١١٢
نبذة وجيزة عن مقام البهرزاوي ١١٢
مجيد كركر ١١٤
حسون مصطاف – الحاج سبع القصاب ١١٥
أحمد ملا علي ١١٦
السيد شاكر البناء ١١٦
البستات العراقية الحديثة ١١٦
أغاني اليهود ١١٩
ميدان العبيد ١٢٠
الملاهي وأثرها ١٢١
مقتل نعيم ١٢٢

الراقصات في بغداد ١٢٤
السجون في بغداد :
حبس الاوردي ١٢٧
حبس القلعة ١٢٨
حبس السراي ١٢٩
المخافر ورجال الامن ١٣٢
مشاهير الاشقياء :
عباس السبع ١٣٥
صالح ابن الدهان ١٣٦
طه ابن الخبازة ١٣٧
عمران الشبلاوي ١٣٨
محمود الملقب ممودي ١٤٠
الشقي ممودي يتسلب ١٤١
ابراهيم ابن عبدكه ١٤٢
مقتل ابن عبدكه ١٤٥
سلاح الاشقياء ١٤٦
الجسور في بغداد :
جسر قرارة (كرارة).. ١٤٨
جسر الخر أو المسعودي – جسرا بغداد والاعظمية ١٤٩
عزل نامق باشا ١٥١
الحرب بين ابن الرشيد وابن سعود ١٥٣
تأسيس دائرة الطابو – البريد والبرق ١٥٨
مطبعة دار السلام ١٥٩

اعلان الدستور العثماني (الحرية)........................ ١٦١

الصحافة في بغداد :

الجرائد : ١٦٣

بغداد ١٦٣

العراق – الرقيب – الارشاد – الانقلاب ١٦٤

التعاون – الروضة – الحقيقة – صائب ١٦٥

صدى بابل – الزهور – بين النهرين – فليتخ(أي السيف) ١٦٦

الرياض – يلدرم(أي الصاعقة) – الظرائف – اخوت........... ١٦٧

الرصافة – مصباح الشرق – صائب – سبيل الرشاد ١٦٨

الوجدان – خانجغان – خان الذهب – سيف الحق ١٦٩

البلبل – أفكار عمومية– يكى موده(المودة الجديدة) ١٧٠

كرمه ونرمه(حار وبارد) ١٧٠

الاسرار– الصاعقة – المصباح – دونبد – النوادر ١٧١

المصباح الاغر – الحقوق – المضحكات – القسطاس ١٧٢

تفكر – المعارف – الرياحين – شمس المعارف ١٧٣

النهضة – غنجه اتحاد – مكتب – صدى الاسلام ١٧٤

المجلات :

زهيرة بغداد – الايمان والعمل – تنوير افكار ١٧٥

العلوم – لغة العرب – الرياحين ١٧٦

الحياة – الرصافة – جهاد – شمس المعارف ١٧٧

سبل الرشاد – الغرائب – مقتسبات – النور ١٧٨

بانك كرد (صدى الكرد) ١٧٩

الالقاب العثمانية– العرائض في اللغة العربية ١٨٠

النقود العثمانية الذهبية – النقود العثمانية الفضية ١٨١

مجلس المبعوثين – النواب ١٨٣
خلع السلطان عبد الحميد ونصب محمد رشاد ١٨٤
الوالي ناظم باشا ١٨٥
فتاوى العلماء ١٨٦
تنظيف الطرق ١٨٧
الكلاب السائبة – فتح شارع النهر ١٨٨
جمع العشائر لعمل السد – الافطار في رمضان ١٨٩
عزل ناظم باشا ١٨٩
قتل ناظم باشا ١٩١
الوالي جمال باشا ١٩٢
استقالة جمال باشا ١٩٤

أهم الحوادث في بغداد :

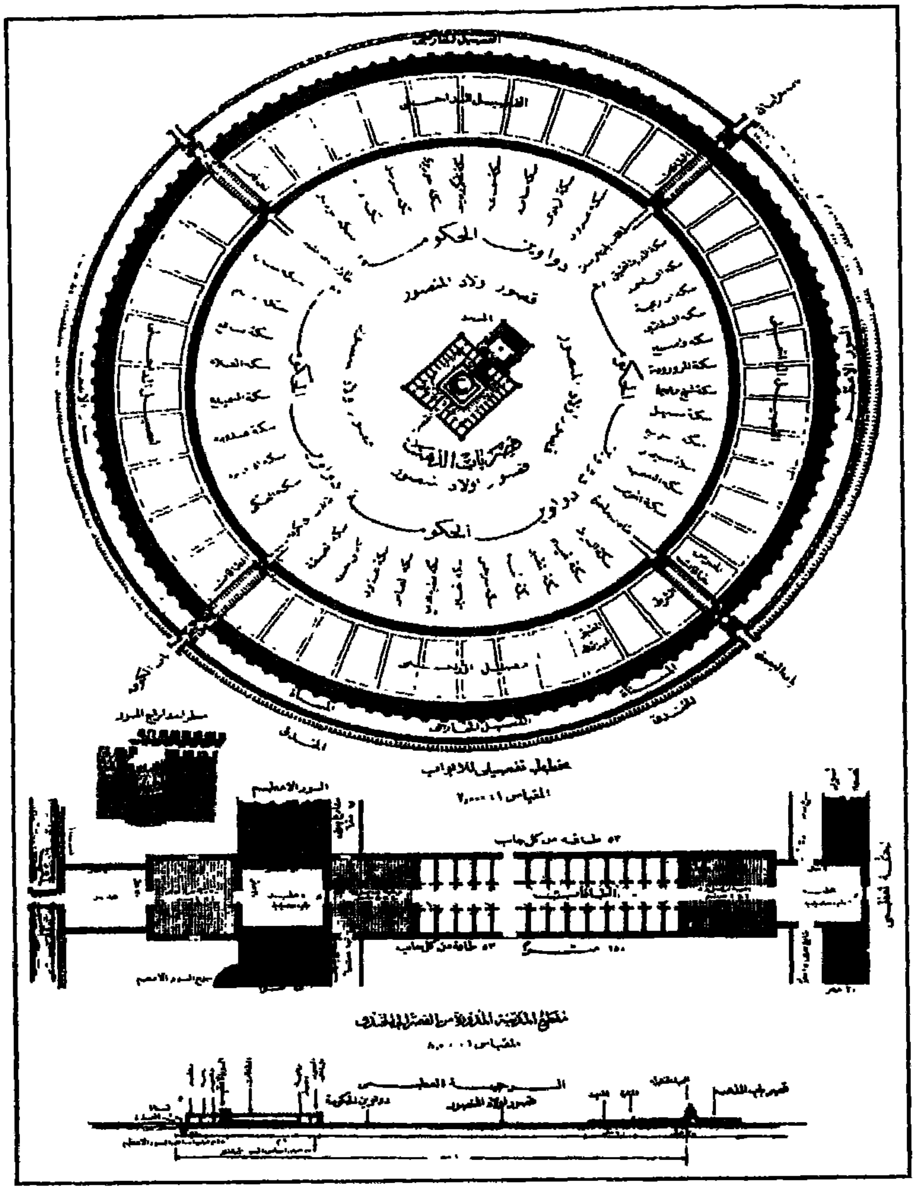
شاه ايران ١٩٥
سقوط مطر في الصيف ١٩٥
قحط وغلاء – الهيضة (أبو زوعة) ١٩٦
المشير رجب باشا – كنز نقود عباسية ١٩٧
اهتزاز في بغداد – سقوط وفر (ثلج) ١٩٨
سكة حديد بغداد – حريق في خان النفط ١٩٩
حريق ثاني في معمل العباخانة ٢٠٠
حريق ثالث في سوق الشورجة ٢٠٠
استشهاد محمود شوكت باشا ٢٠١

العلماء المبرزون قبل الدستور العثماني :

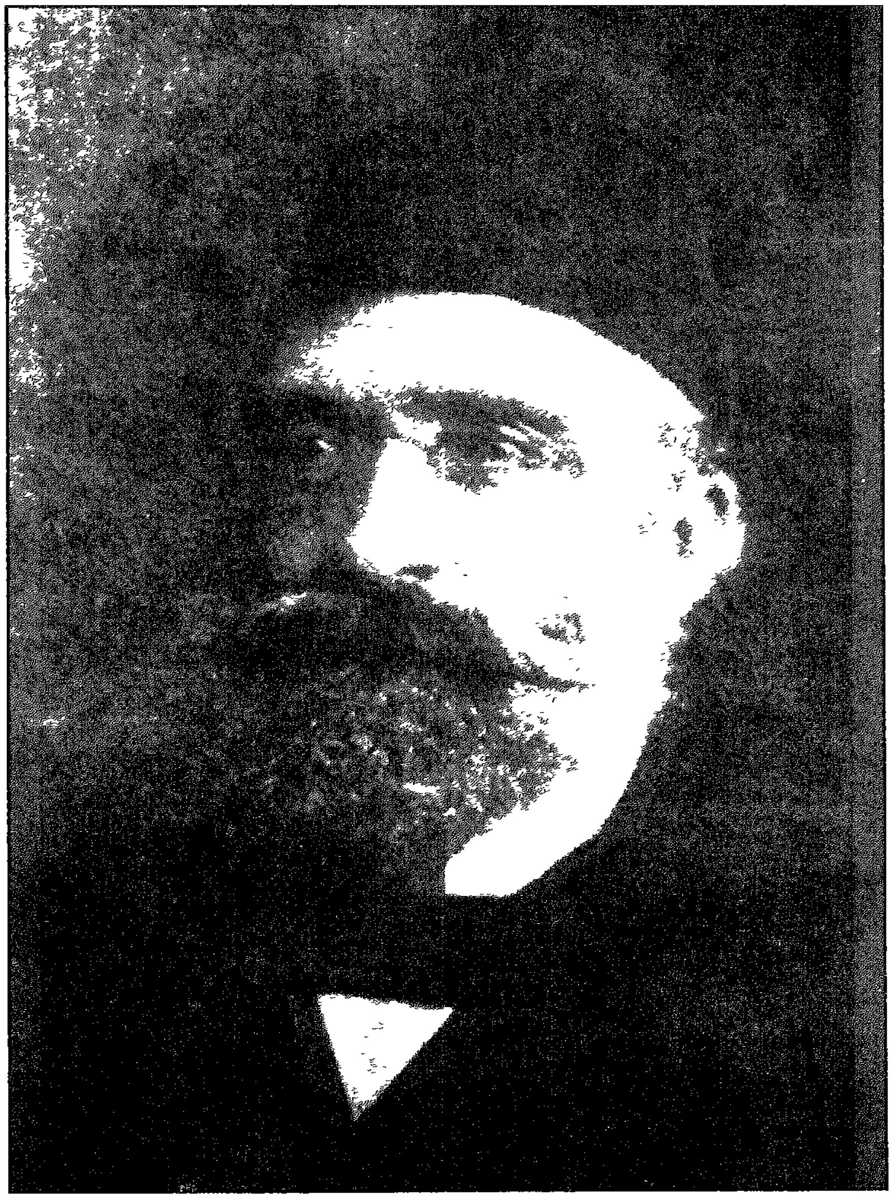
العلامة الشيخ داؤد النقشبندي ٢٠٥
اغتيال النائب نجم الدين ٢٠٦

العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي............ ٢٠٧
العلامة الشيخ عبد الوهاب الحجازي ٢٠٩
السيد سلمان النقيب ٢١٠
العلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي ٢١٣
العلامة محمد آل جميل ٢١٤
السيد حسين آل السيد حيدر ٢١٥
العلامة الشيخ قاسم البياتي ٢١٦
العلماء المبرزين بعد الدستور العثماني :
العلامة مصطفى نور الدين الواعظ ٢١٨
العلامة الشيخ سعيد النقشبندي ٢٢٠
العلامة السيد علي علاء الدين الآلوسي ٢٢٣
العلامة السيد محمود شكري الآلوسي ٢٢٤
العلامة الشيخ عبد الوهاب النائب ٢٢٨
العلامة الشيخ محمد حسن كبة ٢٣٣
الشعراء المبرزون في عهد الدستور العثماني :
جميل صدقي الزهاوي ٢٣٦
معروف الرصافي ٢٣٨
العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي ٢٤٠
الحاج عبد الحسين الازري ٢٤٢
عبد الرحمن البناء ٢٤٤
اعلان الحرب العالمية ٢٤٧
غرق بغداد ٢٤٧
شيخ سعيد النقشبندي يخطب بالناس ٢٤٨
اعلان الجهاد ٢٤٩

أول طائرة انكليزية فوق بغداد ٢٥٢
اعدام أشخاص صلبا في بغداد ٢٥٢
القائد الالماني غولج باشا ٢٥٢
انتحار القائد سليمان عسكري ٢٥٣
استشهاد محمد فاضل باشا الداغستاني ٢٥٣
الوالي خليل باشا ٢٥٤
تسليم الجيش الانكليزي المحصور في الكوت ٢٥٦
أنور باشا في بغداد – جادة خليل باشا ٢٥٧
طيارات انكليزية تلقي القنابل على بغداد ٢٥٩
سقوط بغداد بيد الانكليز ٢٦٠
مصير آل عثمان ٢٦٣
الولاة الذين حكموا بغداد ٢٦٥
المصادر ٢٦٧
المحتويات ٢٦٩
الصور التاريخية ٢٧٩



مخطط لمدينة بغداد المدورة عند إنشائها من قبل الخليفة أبو جعفر المنصور



الوالي مدحت باشا

١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ - ١٨٦٩ - ١٨٧٢م



الوالي عبد الرحمن باشا
١٢٩٢ - ١٢٩٤ هـ
١٨٧٥ - ١٨٧٧ م

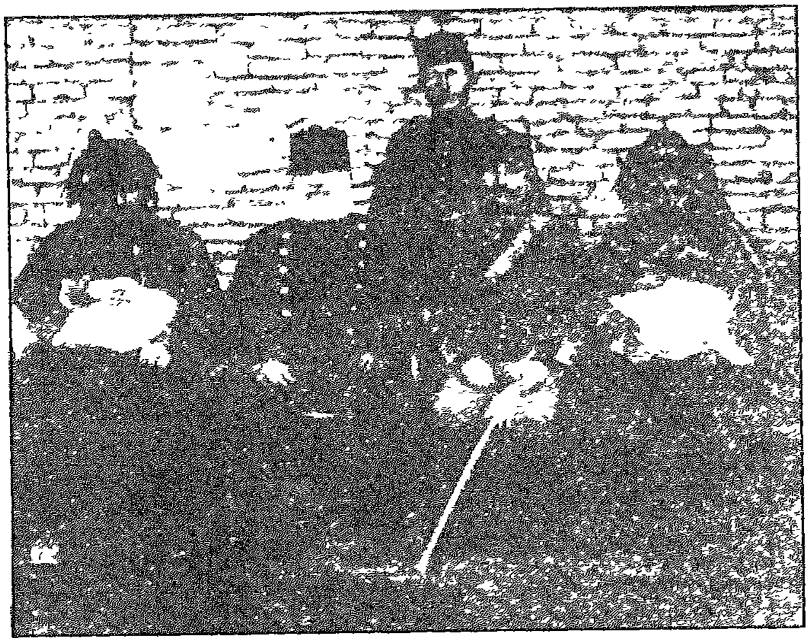


الوالي الحاج حسن
رفيق باشا والي بغداد
١٣٠٩ - ١٣١٤ هـ
(١٨٩١ - ١٨٩٦م)



الوالي ناظم باشا

١٣٢٨ - ١٣٢٩ هـ - ١٩١٠ - ١٩١١م



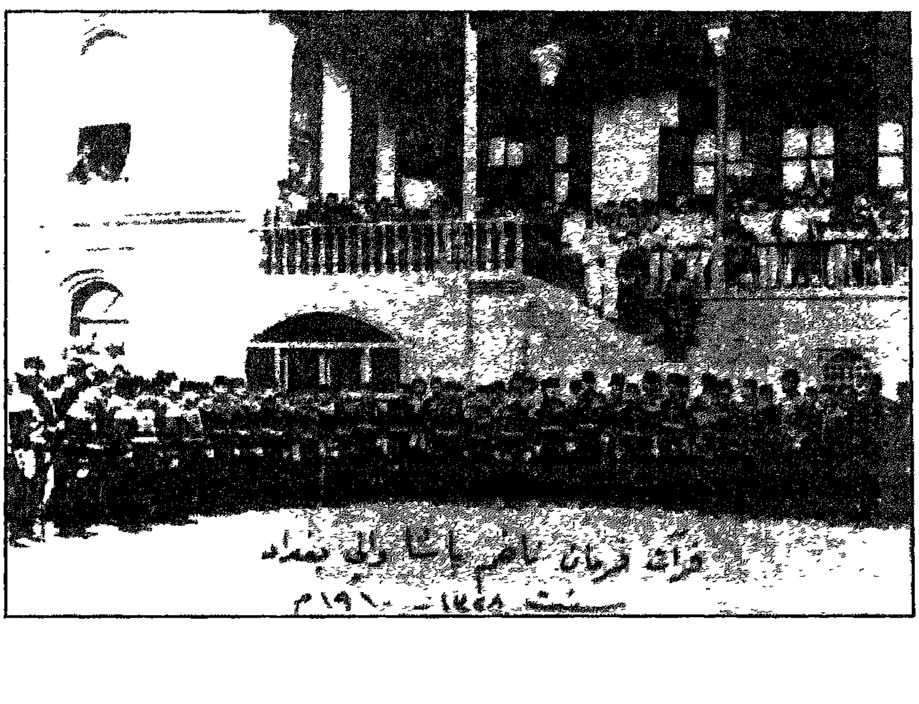
الفريق محمد فاضل باشا الداغستاني نائب والي بغداد (١٩١٣ - ١٩١٤م)
١٣٣١ - ١٣٣٢ هـ وبيمينه فارس أغا من رؤساء بيتدر واخوانه



الوالي سليمان نظيف بك
١٣٣٣ هـ (١٩١٥م)

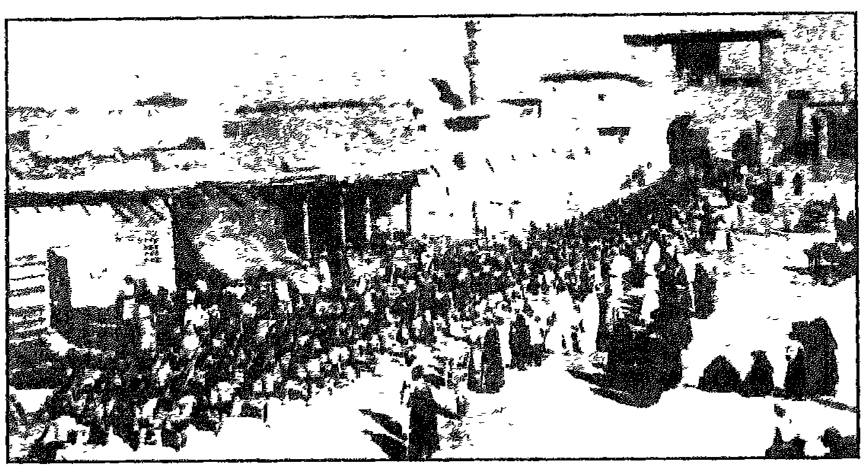


الوالي محمد زكي باشا ١٣٣٠ - ١٣٣١ هـ ١٩١٢ - ١٩١٣ م





الرجل الذي ملأ الدنگچيّة حشمة وهيبة ووقاراً المرحوم عبد الرزاق أفندي آل شاكر أفندي (والد الدكتور سلمان فائق)

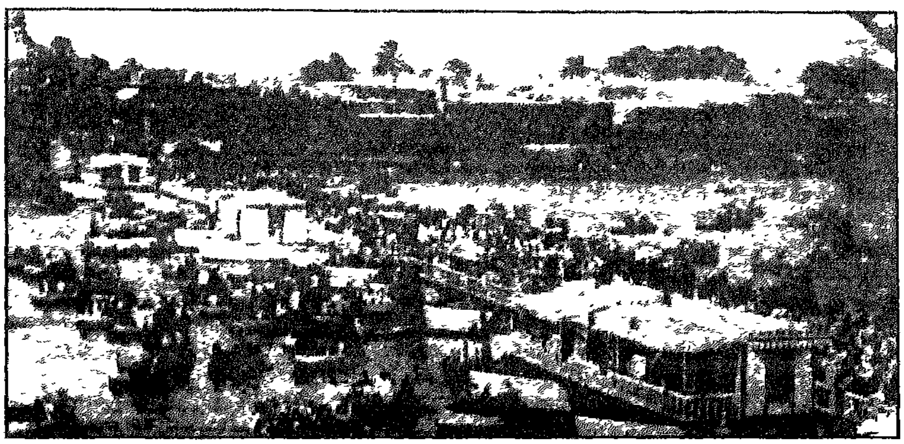


طلائع قوات الجنرال مود وهي تدخل بغداد ١٩١٧م



"ترامواي" بغداد - الكاظمية زمن مدحت باشا

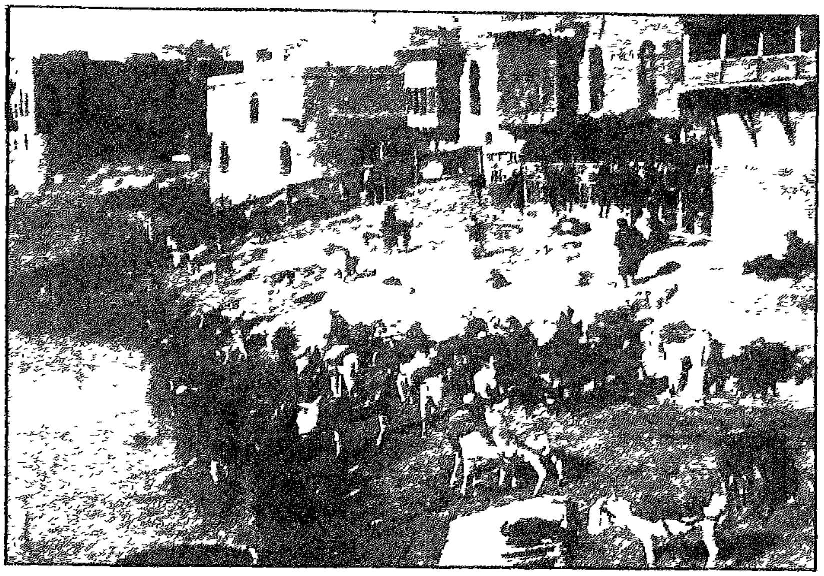
١٢٨٦ - ١٢٨٩ هـ (١٢٨٦٩ - ١٨٧٢م)



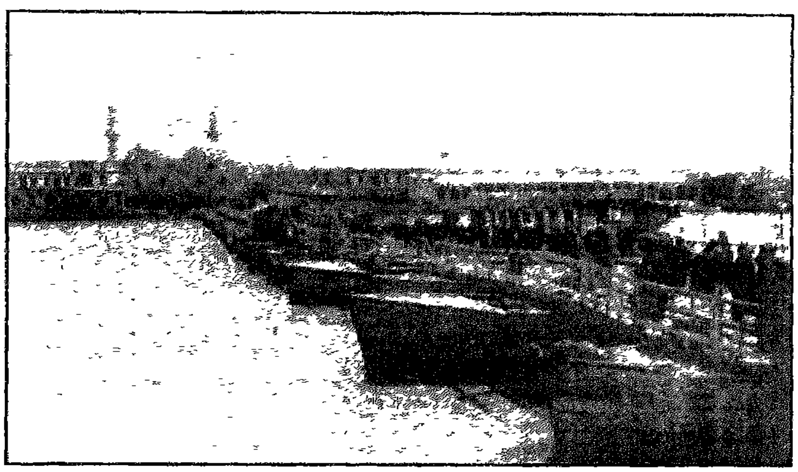
الاحتفال في تدشين جسر بغداد في عهد الوالي نامق باشا
يوم ٢٦ جمادي الاولى ١٣٢٠ هـ (١٩٠٢م)



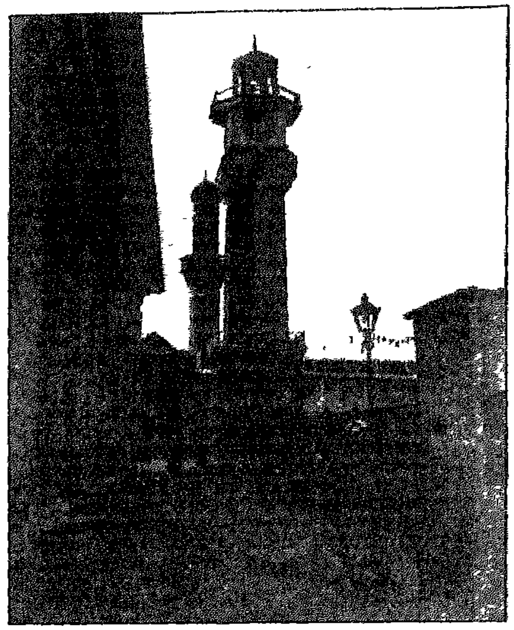
البغدادية ذات الخمار الأسود، التي مرت من عگد الصخر
والدنگچيّة وباب الأغا في طريقها إلى سوگ الصفافير
لتبيّض الچفچير والچمچه والبريج والسلپچة



شريعة سيّد سلطان علي في العهد العثماني، وتستخدم الحمير لنقل كرب ماء الشرب إلى الأهلين، والكفة كواسطة من وسائط النقل النهري، كما تستعمل الشريعة لتعليم السباحة



من الجسور التي كانت قيد الانشاء عند المباشرة بكتابة الكتاب هما جسر ١٤ رمضان في الأعظمية وجسر الرشيد في محلة السنك - شارع الرشيد



تستغرق الرحلة بين
الدنگچيّة وبين مرقد الشيخ
عبد القادر الگيلاني بعربة
(الربل) قرابة الساعة أيام زمان

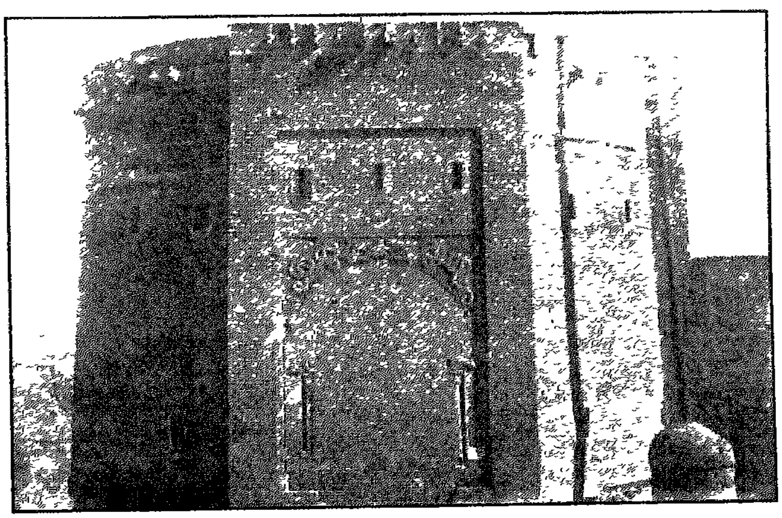


شارع بابا الشيخ، من أهم
شوارع بغداد الأمس وفي
موسم الأمطار يتحوّل إلى
نهر من الأوحال



گهوة الشابندر، مقابل سوگ السراي

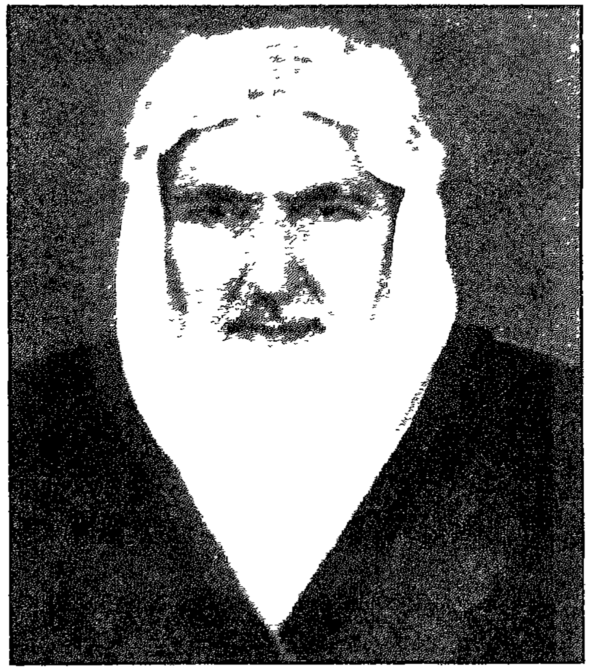
وقد شيدت في موقع مطبعة الشابندر، أول مطبعة عربية - تركية في بغداد الأمس واشتهرت بالمقام العراقي الذي يغنيه رشيد القندرجي



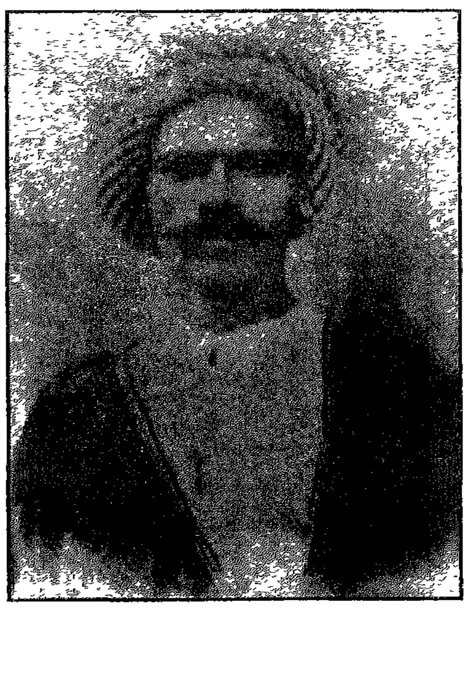
باب الطلّسم، المعروف تأريخياً بباب الحلبة، وهو مخزن البارود الذي فجّره الأتراك ليلة انسحابهم من بغداد في ١١ مارت سنة ١٩١٧



الشاعر معروف الرصافي



المرحوم الشيخ محمد نصيف وهو من أعيان مدينة جدة وعلماؤها



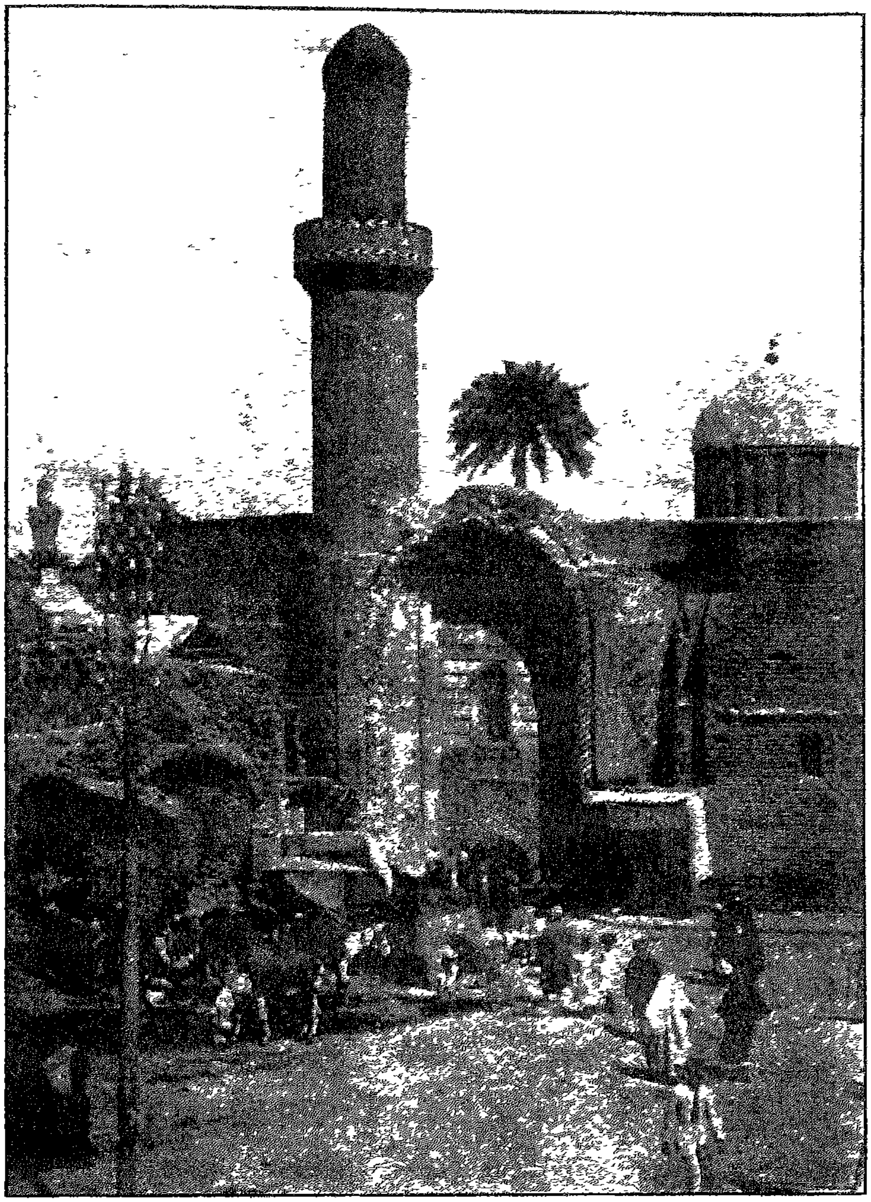
قارئ المقام، نجم الشيخلي (النيّار) بن عبدالله بن صفاء الدين الشيخلي، ولد في بغداد سنة ١٨٩٢ وتوفي فيها سنة ١٩٣٨، وأخذ المقام عن شلتاغ وخليل ربّاز ورحمين نفطار، الذين بدورهم أخذوه عن أستاذهم وعميدهم أحمد زيدان، وهؤلاء وكثيرون غيرهم كانوا يتبارون في المقام في كهورة المميّز التي كانت يومئذ معهداً للمقام العراقي ومنتدىً ليّلياً (نايت كلوب) للجالغي البغدادي!



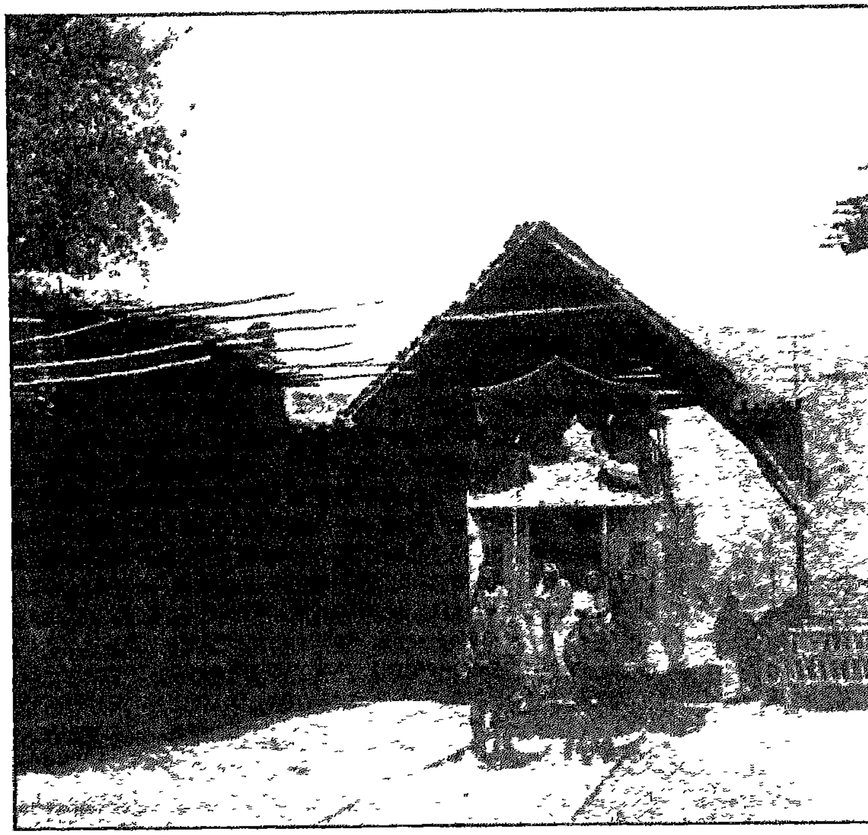
السقا الذي يحمل الكرية علي الحمار وبيده الباكورة، ليوصل
ماء الشرب من الشريعةإلى دور السكن في بغداد الأمس



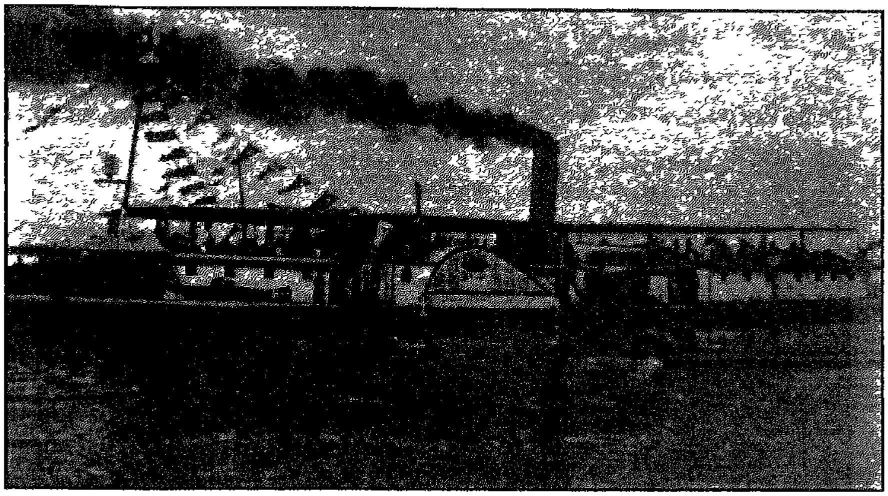
خبز باب الآغا: "حار ومكسّب ورخيص"



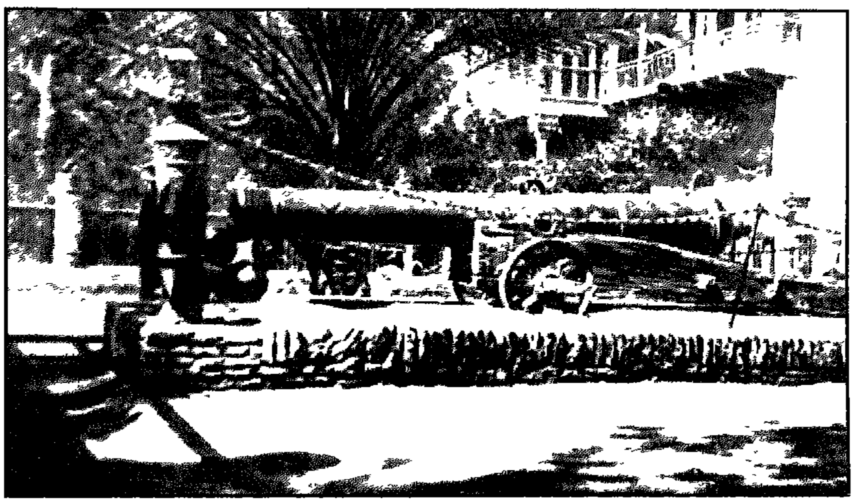
جامع مرجان في أوائل الاحتلال البريطاني لبغداد



گاري الكاظم في بغداد الأمس، الذي يقطع المسافة بين صوب الكرخ والكاظمية بحوالي الساعة يضمنها الانتظار في (گهوة الگاريّات) وتبديل الخيل في (المنطگة)، والتوقف في قصر (أبو الآيل)، والنزول قرب (باب الدروازة) في الكاظمية.



الباخرة حميدية كانت الواسطة النهرية الوحيدة للسفر بين بغداد والبصرة



طوب أبو خزّامة: ان من لم يدخل رأسه في فوهة هذا الطوب لا يحمل (الجنسية البغدادية) الأصيلة. موقعه القديم أمام مدخل (القلعة) الجانبي. إلى الجهة اليسرى منه المدرسة المأمونية وإلى الجهة اليمنى گهوة البقچة (گهوة سيد بكر). موقعه الحالي في ساحة الميدان



الجنود الانكليز في طريقهم إلى الكوت

يعد كتاب «بغداد القديمة» من أهم الكتب النادرة والموثقة التي قام بتدوين أحداثها أولاً بأول الكاتب عبد الكريم العلاّف، وهي الأحداث التي مرت على بغداد منذ عهد الوالي مدحت باشا وحتى الاحتلال الانكليزي عام ١٩١٧م.

عندما تقلب - أيها القارئ العزيز - صفحات هذا الكتاب ستجد فيه صفحات مطوية لفترة مهمة من حياة مدينة بغداد التي بناها الخليفة أبو جعفر المنصور، كيف كانت خلال تلك الفترة. معاهدها العلمية، مستشفياتها، أسواقها، مقاهيها، حماماتها، حفلات المولد النبوي، قراؤها والمقرؤون المجوّدون، مجالس الأنس والطرب، سجونها، مشاهير أشقيائها، جسورها، صحافتها ومجلاتها، أهم حوادثها، علماؤها، شعراؤها، سقوطها بيد الانكليز، ولاتها الذين حكموا بغداد.

إنه كتاب موسوعي جدير بالقراءة لأنه يمثل أهم فترة من تاريخ العراق السياسي.



Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com